٢٢ ـ باب ما جاء في التطير

مصدر تطير يتطير. والطِّيَرَةُ أيضاً ـ بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن ـ مصدر تطير، يقال: تطير طيرة وتخير خيرة ولم يجئ من المصادر هكذا غيرهما، وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظِّباء وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم. فإذا أرادوا أمراً، فإن رَأَوُا الطير مثلاً طار يَمْنَةً، تيمنوا به، وإن طار يَسْرَةً، تشاءموا به، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلبِ نفعٍ أو دفع ضرّ. **قال المدائني**: سألت رُؤْبة بن العَجّاج: ما السانح؟ قال: ما وَلّاك ميامنه. قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره. قال: والذي يجيء مِن أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء مِن خلفك هو القاعد والقعيد.

ولمّا كانتِ الطيرة باباً من الشرك منافياً للتوحيد أو لكماله، لأنها مِن إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ذكره المصنف في «كتاب التوحيد» تحذيراً منها وإرشاداً إلى كمال التوحيد بالتوكل على الله. واعلم أن ما كان معتنياً بها قابلاً بها كانت إليه أسرع من السَّيْل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، ويُنكّد عليه عيشه، فالواجب على العبد التوكلُ على الله ومتابعة رسول الله ﷺ، وأن يَمضيَ لشأنه لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخلَ في الشرك.

قال: وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف].

ش: أول الآية قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ...﴾ الآية. المعنى أن آل فرعون إذا أصابتهم ﴿ٱلْحَسَنَةُ﴾، أي: الخصب والسَّعَة والعافية

ـ على ما فسره مجاهد وغيره ـ ﴿قَالُوا لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي: نحن الجديرون الحقيقون به، ونحن أهله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾، أي: بلاء وضيق وقحط ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابه؛ أصابنا بشؤمهم، كما يقوله المتطير لمن يتطير به. فأخبر سبحانه أن طائرهم عنده فقال: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾. قال ابن عباس: ﴿طَٰٓئِرُهُمْ﴾ ما قضى عليهم وقدر لهم، وفي روايةٍ ذكرها ابن جرير عنه قال: الأمر من قبل ﴿ٱللَّهِ﴾، وفي رواية: شؤمهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ومِنْ قِبَلِهِ، أي: إنما جاءهم الشؤم مِنْ قِبَلِه بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله. وقيل: المعنى أن الشؤم العظيم هو الذي لهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ من عذاب النار لا هذا الذي أصابهم في الدنيا. والظاهر أن هذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٨] أي: أن الكل من الله لكن هذا الشؤم الذي أجراه عليهم من عنده هو بسبب أعمالهم لا بسبب موسى ﷺ ﴿وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾. وكيف يكون ذلك وما جاء به خيرٌ محض. والطيرة إنما تكون بالشر لا بالخير؟!.

وقوله: (﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾) أي أن ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ جهال لا يدرون، ولو فهموا أو عقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى ﷺ شيء يقتضي الطيرة. **وقال ابن جرير**: يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَآ إِنَّمَا﴾ طائر آل فرعون وغيرهم ـ وذلك أنصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشر ـ إلا ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ ذلك كذلك، فلجهلهم بذلك كانوا يتطيرون ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾.

قال: وقوله: ﴿(١٩) قَالُوا طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ...﴾ الآية [يس].

ش: المعنى والله أعلم، أي: حَظُّكم وما نالكم من خير وشر (﴿مَّعَكُمْ﴾) بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا، بل ببغيكم وعداوتكم، فطائر الباغي الظالم معه وهو عند الله كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ

﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء] ولو فقهوا أو فهموا لمَا تطيروا بما جئت به، لأنه ليس فيما جاء به الرسول ﷺ ما يقتضي الطيرة، كأنه خير محض لا شر فيه، وصلاح لا فساد فيه، وحكمة لا عَيْبَ فيها، ورحمة لا جَوْرَ فيها. فلو كان هؤلاء القوم من أهل الفهم والعقول السليمة لم يتطيروا من هذا، لأن الطيرة إنما تكون بالشر لا بالخير المحض والحكمة والرحمة، بل طائرهم معهم بسبب كفرهم وشركهم وبغيهم وهو عند الله كسائر حظوظهم، وأنصبائهم التي ينالونها منه بأعمالهم. ويحتمل أن يكون المعنى ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي: راجع عليكم، فالتطير الذي حصل لكم إنما يعود عليكم، وهذا من باب القصاص في الكلام، ونظيره قوله ﷺ: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم» [خ (٦٢٥٨)، م (٢١٦٣)] **ذكره ابن القيم**.

وقوله: (﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾) أي: من أجل أنا ذَكَّرْناكم وأَمَرْناكم بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له قابَلْتُمونا بهذا الكلام، وتَوَعَّدْتُمونا (﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾) وقال قتادة: ﴿أَئِن﴾ ذكرناكم بالله تطيرتم بنا؟

ومطابقة الآيتين لمقصود الباب ظاهر، لأن الله تعالى لم يَذكرِ التطير إلا عن أعدائه، فهو من أمر الجاهلية، لا من أمر الإسلام.

قال: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامَة ولا صَفَر» أخرجاه [خ (٥٧٥٧)، م (٢٢٢٠)]. زاد مسلم [(٢٢٢٢) عن جابر]: «ولا نَوْء ولا غُول».

ش: قوله: («لا عدوى») **قال أبو السَّعادات**: العدوى اسم من الإعداء كالدَّعْوَىٰ والبَقْوىٰ من الإدْعاء والإبْقاء. يقال: أَعْداه الداء يُعْديه إعداء، وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء. وذلك أن يكون ببعيرٍ جَرَبٌ مثلاً يَتَّقي مخالطتَه بإبلٍ أخرى حَذارَ أن يَتعدّىٰ ما به من الجرب إليها، فيصيبها ما أصابه. **انتهى**.

وفي بعض روايات هذا الحديث: فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرَّمَلِ كأنها الظِّباء فيجيء البعير الأجرب، فيدخل فيها فيجربها كلها؟ قال: «فمن أعدى الأول؟!». وفي رواية في مسلم (٢٢٢١): أن أبا هريرة كان يحدث بحديث: «لا عدوى» ويحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يورد مُمرِض على مُصِحٌّ» ثم إن أبا هريرة اقتصر على حديث: «لا يورد ممرض على مصح» وأمسك عن حديث: «لا عدوى» فراجعوه فيه، فقالوا: سمعناك تحدثه، فأبى أن يعترف به. قال أبو سلمة الراوي عن أبي هريرة: فلا أدري أنسي أبو هريرة أو نسخ أحدُ القولين الآخَرَ. وقد روى حديث: «لا عدوى» جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، والسائب بن يزيد، وابن عمر، وغيرهم، فنِسيان أبي هريرة له لا يضر. وفي بعض روايات هذا الحديث: «وفِرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد»[١].

وقد اختلف العلماء في ذلك اختلافاً كثيراً:

فرَدّتْ طائفة حديث: «لا عدوى» بأن أبا هريرة رجع عنه. قالوا: (والأخبار الدالّة على الاجتناب أكثرُ فالمصير إليها أولى)، وهذا ليس بشيء، لأن حديث: «لا عدوى» قد رواه جماعة كما تقدم.

وعكست طائفة هذا القول، ورجحوا حديث: «لا عدوى» وزَيّفوا ما سواه من الأخبار، وأعلوا بعضها بالشذوذ كحديث: «فر من المجذوم فرارك من الأسد» وبأن عائشة أنكرته كما روى ابن جرير عنها: أن امرأة سألتها عنه فقالت: ما قال ذلك، ولكنه قال: «لا عدوى» وقال: «فمَن أعدى الأول؟!» قالت: وكان لي مَوْلىً به

(١) علقه البخاري (٥٧٠٧)، ووصله أبو نعيم في «المستخرج» بسند صحيح.

هذا الداء، فكان يأكل في صِحافي، ويشرب في أقداحي، وينام على فراشي. وهذا أيضاً ليس بشيء، فإن الأحاديث في الاجتناب ثابتة.

وحملت طائفة أخرى الإثبات والنفي على حالتين مختلفتين، فحيث جاء: «لا عدوى» كان المخاطب بذلك مَن قَوِيَ يقينه، وصح توكله بحيث لا يستطيع أنْ يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى، كما يستطيع أن يدفع التطير الذي يقع في نفس كل واحد، لكن القوي اليقينِ لا يتأثر به، وهذا كما أن قوة الطبيعة تدفع العلة وتبطلها. وحيث جاء الإثبات كان المراد به ضعيف الإيمان والتوكل؛ ذكره بعض أصحابنا واختاره، وفيه نظر. **وقال مالك** - لمّا سئل عن حديث: «فر من المجذوم» -: ما سمعت فيه بكراهية وما أرى ما جاء من ذلك إلا مخافة أن يقع في نفس المؤمن شيء. ومعنى هذا أنه نفى العدوى أصلاً، وحمل الأمر بالمجانبة على حسم المادة وسد الذريعة، لئلا يحدث للمخاطب شيء من ذلك فيظن أنه بسبب المخاطلة، فيثبت العدوى التي نفاها الشارع. وإلى هذا ذهب أبو عبيد وابن جرير والطحاوي وذكره القاضي أبو يعلى عن أحمد.

قلت: وأحسن من هذا كله ما **قاله البيهقي** - وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم - أن قوله: «لا عدوى» على الوجه الذي كانوا يعتقدونه في الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى وأن هذه الأمراض تُعدي بطبعها، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح مَن به شيء من هذه العيوب سبباً لحدوث ذلك. ولهذا قال: «فر من المجذوم كما تفر من الأسد» وقال: «لا يورد ممرض على مصح» وقال في الطاعون: «من سمع به بأرض فلا يقدم عليه»(١) وكل ذلك بتقدير الله تعالى كما قال: «فمن أعدى الأول؟!»

---

(١) خ (٥٧٢٨)، م (٢٢١٨) من حديث أسامة. و: خ (٥٧٣٠)، م (٢٢١٩) من حديث ابن عوف.

يشير إلى أن الأول إنما جرب بقضاء الله وقدره، فكذلك الثاني وما بعده. وروى الإمام أحمد (٤١٩٩) والترمذي (٢٢٤٤) عن ابن مسعود مرفوعاً: «لا يُعْدي شيء» قالها ثلاثاً. فقال الأعرابي: يا رسول الله، النُّقْبة[١] من الجرب تكون بِمِشْفَر البعير أو بذنبه في الإبل العظيمة فتجرب كلها. فقال رسول الله ﷺ: «فمن أجرب الأول؟! لا عدوى ولا هامة ولا صفر، خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومُصابها ورزقها» فأخبر ﷺ أن ذلك كله بقضاء الله وقدره كما دل عليه قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد]. صحيح

وأما أمره بالفرار من المجذوم، ونهيه عن إيراد المُمْرِض على المُصِحّ، وعن الدخول إلى موضع الطاعون، فإنه من باب اجتناب الأسباب التي خلقها الله تعالى، وجعلها أسباباً للهلاك والأذى، والعبد مأمور باتّقاء أسباب الشر إذا كان في عافية، فكما أنه يُؤْمَرُ ألّا يُلْقيَ نفسه في الماء أو في النار أو تحت الهدم أو نحو ذلك مما جَرَتِ العادة بأن يهلك ويؤذي، فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم، وقدوم بلد الطاعون، فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف، والله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر غيره.

وأما إذا قوي التوكل على الله، والإيمان بقضائه وقدره فقَوِيَتِ النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتماداً على الله ورجاء منه ألّا يحصل به ضرر = ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك لا سيما إذا كانت فيه مصلحة عامة أو خاصة، وعلى هذا يحمل الحديث الذي رواه أبو داود (٣٩٢٥) والترمذي (١٨٩٣) أن النبي ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخلها ضعيف
معه في القصعة ثم قال: «كُلْ، بسم الله ثِقَةً بالله وتوكّلا عليه» وقد أخذ

(١) أول شيء يظهر من الجرب.

به الإمام أحمد. وروي ذلك عن عمر وابنه وسلْمان ﷺ. ونظير ذلك ما روي عن خالد بن الوليد مِنْ أكلِ السم ومِن مَشْيِ سعد بن أبي وقاص وأبي مسلم الخولاني بالجيوش على متن البحر. **قاله ابن رجب**.

قوله: («ولا طيرة») **قال ابن القيم**: هذا يحتمل أن يكون نفياً، أو يكون نهياً، أي: لا تتطيروا، ولكن قوله في الحديث: «ولا عدوى ولا صفر ولا هامة» يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها. والنفي في هذا أبلغ من النهي، لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه. وفي «صحيح مسلم» (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي أنه قال لرسول الله ﷺ: ومنا أناس يتطيرون. فقال: «ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم» فأخبر أن تأذّيه وتشاؤمه بالتطير إنما هو في نفسه وعقيدته لا في المتطير به، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده لا ما رآه وسمعه، فأوضح ﷺ لأمته الأمر وبين لهم فساد الطيرة ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصبها سبباً لِما يخافونه ويحذرونه، ولتطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله ونزل بها كتبه، وخلق لأجلها السمٰوات والأرض، وعمر الدارين الجنة والنار بسبب التوحيد، فقطع ﷺ علق الشرك من قلوبهم، لئلا يبقى فيها علق منها، ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار ٱلْبَتَّةَ. فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى واعتصم بحبله المتين، وتوكل على الله، قطع هاجس الطيرة مِن قَبْلِ استقرارها، وبادر خواطرها من قبل استمكانها. قال عكرمة: كنا جلوساً عند ابن عباس فمر طائر يصيح. فقال رجل من القوم: خير! خير! فقال ابن عباس: لا خير ولا شر. فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر. وخرج طاوس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير! فقال طاوس: وأي خير عند هذا! لا تصحبني. **انتهى** ملخصاً.

ولكن يشكل عليه ما رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٢٣) عن أنس مرفوعاً: «لا طيرة، والطيرة على من تطير» فظاهر هذا أنها تكون سبباً لوقوع الشر بالمتطير. **وجوابه**: أن المراد بذلك من تطير تطيراً منهياً عنه، وهو أن يعتمد على ما يسمعه ويراه حتى يمنعه مما يريده من حاجته، فإنه قد يصيبه ما يكرهه عقوبة له، فأما من توكل على الله، ووثق به بحيث علق قلبه بالله خوفاً ورجاء، وقطعه عن الالتفات إلى غير الله، وقال وفعل ما أمر به فإنه لا يضره ذلك. وأما مَنِ اتّقى أسباب الضرر بعد انعقادها بالأسباب المنهي عنها، فإنه لا ينفعه ذلك غالباً كمَنْ رَدّتْه الطيرة عن حاجته خشية أن يصيبه ما تطير به، فإنه كثيراً ما يصاب بما يخشى به.

وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة:

منها قوله ﷺ: «الشؤم في ثلاث؛ في المرأة والدابة والدار» وفي رواية: «لا عدوى ولا طيرة، والشؤم في ثلاث...» الحديث = وفي حديث آخَرَ: «إنْ كان ففي الفرس والمرأة والمسكن» = رواهما البخاري [(٢٨٥٨ و٥٧٥٣ و٢٨٥٩)، م (٢٢٢٥)] فأنكرت عائشة ﵂ ذلك وقالت: كذب ـ والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم ـ من حدث بها ولكن رسول الله ﷺ كان يقول: «كان أهل الجاهلية يقولون: إن الطيرة في المرأة والدار والدابة» ثم قرأت عائشة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد]؛ رواه أحمد (٢٦٠٧٧) وابن خزيمة والحاكم (٢/٤٧٩) وصححه بمعناه. **وقال الخطابي وابن قتيبة**: هذا مستثنى من الطيرة، أي: الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس أو خادم، فليفارقِ الجميع بالبيع والطلاق ونحوه، ولا يقيم على الكراهة والتأذي به فإنه شؤم.

وقالت طائفة: لم يَجزمِ النبي ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة، بل

علقه على الشرط كما ثبت ذلك في «الصحيح» ولا يلزم مِن صِدْقِ الشرطية صدقُ كل واحد بمفردها، وقالوا: والراوي غَلِطَ. **قلت**: لا يصح تغليطه مع إمكان حمله على الصحة، ورواية تعليقه بالشرط لا تدل على نفي رواية الجزم. **وقالت طائفة أخرى**: الشؤم بهذه الثلاثة إنما يلحق مَن تَشاءَمَ بها فيكون شؤمها عليه، ومن توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مشؤومة عليه، قالوا: ويدل عليه حديث أنس: «الطيرة على من تطير» [صب (٦١٢٣)] وقد يجعل الله سبحانه تطير العبد وتشاؤمه سبباً لحلول المكروه، كما يجعل الثقة به والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر. **وقال ابن القيم**: إخباره ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة، ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق أعياناً منها مشؤومة على مَن قارَبَها وسكنها، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر. وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يَرَيَان الخيرَ على وجهه، ويعطي غيرهما ولداً مشؤوماً يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية أو غيرها. فكذلك الدار والمرأة والفرس. والله سبحانه خالق الخير والشر والسُّعُود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركة، ويقضي بسعادة مَن قاربها وحصول اليُمْنِ والبركة له، ويخلق بعضها نحوساً يتنحس بها من قاربها. وكل ذلك بقضائه وقدره كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادّة والمختلفة، كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة، ولَذَّذَ بها من قاربها من الناس، وخلق ضدها وجعلها سبباً لألم من قاربها من الناس، والفرق بين هذين النوعين مُدرَك بالحس، فكذلك في الديار والنساء والخيل، فهذا لونٌ، والطيرة الشركية لون. **انتهى**.

حسن **قلت**: ولهذا يشرع لِمَنِ استفاد زوجة أو أَمَةً أو دابة، أن يسأل الله من خيرها وخير ما جبلت عليه، ويستعيذ من شرها وشر ما جبلت عليه [د (٢١٦٠)]، وكذلك ينبغي لمن سكن داراً أن يفعل ذلك،

ولكن يبقى على هذا أن يقال: هذا جارٍ في كل مشؤوم، فما وجه خصوصية هذه الثلاثة بالذكر؟ وجوابه أن أكثر ما يقع التطيّر في هذه الثلاثة، فخُصّتْ بالذكر لذلك، **ذكره في «شرح السنن»**.

ومنها ما روى مالك [٩٧٢] عن يحيىٰ بن سعيد قال: جاءتِ امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله دار سَكَنّاها والعدد كثير والمال وافِرٌ فَقَلَّ العددُ وذهب المال، فقال النبي ﷺ: «دعوها ذميمة» حسن رواه أبو داود (٣٩٢٤) عن أنس بنحوه. **وجوابه**: أن هذا ليس من الطيرة المنهي عنها، بل أمرهم بالانتقال لأنهم استثقلوها واستوحشوا منها، لِما لَحِقَهم فيها، ليتعجلوا الراحة مما دخلهم من الجزع، لأن الله قد جعل في غرائز الناس: استثقالُ ما نالهمُ الشرُّ فيه، وإن كان لا سبب له في ذلك، وحُبُّ من جرى على يديه الخير لهم، وإن لم يُرِدْهُمْ به. ولأن مقامهم فيها قد يقودهم إلى الطيرة، فيوقعهم ذلك في الشرك، والشرّ الذي يلحق المتطير بسبب طيرته، وهذا بمنزلة الخارج من بلد الطاعون غير فارٍّ منه، ولو منع الناس الرحلة من الدار التي تتوالى عليهم فيها المصائبُ والمحنُ وتَعذّرُ الأرزاق مع سلامة التوحيد في الرحلة، لَلَزِمَ كل من ضاق عليه رزق في بلد أو قلة فائدةِ صناعته أو تجارته فيها ألّا ينتقل عنها إلى غيرها.

ومنها فإن قيل: ما الفرق بين الدار وبين موضع الوباء حيث رخص في الارتحال عن الدار دون موضع البلاء؟ أجاب بعضهم أن الأمور بالنسبة إلى هذا المعنى ثلاثة أقسام، **أحدها**: ما لا يقع التطير منه إلا نادراً، أو إلا مكرراً، فهذا لا يصغى إليه، كنعي الغراب في السفر، وصراخ بومة في دار، وهذا كانت العرب تعتبره. **ثانيها**: ما يقع به ضرر، ولكنه يعم ولا يخص، ويندر ولا يتكرر، كالوباء، فهذا لا يقدم عليه ولا يفر منه. **وثالثها**: سبب محض ولا يعم، ويلحق به الضرر لطول الملازمة، كالمرأة والفرس والدار، فيباح له الاستبدال، أو التوكل على الله والإعراض عما يقع في النفس. **ذكره في «شرح السنن»**.

ومنها: حديث اللِّقحة لمّا منع النبي ﷺ حرباً ومرة من حلبها وأذن ليعيش؛ رواه مالك [٩٧٣]. **وجوابه**: أن **ابن عبد البر** قال: ليس هذا عندي من باب الطيرة لأنه محال أن ينهى عن شيء ويفعله، وإنما هو من طلب الفأل الحسن. وقد كان قد أخبرهم عن أقبح الأسماء أنه حرب ومرة. فالمراد بذلك حتى لا يَتسمّىٰ بهما أحد. وقد روى ابن وهب في «جامعه» ما يدل على هذا فإنه قال في هذا الحديث: فقام عمر بن الخطاب فقال: أتكلم يا رسول الله أم أصمت؟ فقال: «بل اصمت وأخبرك بما أردت، ظننت يا عمر أنها طيرة ولا طير إلا طيره، ولا خير إلا خيره، ولكن أُحِبُّ الفأل الحسن».

وعلى هذا تجري بقية الأحاديث التي توهم بعضها أنها من باب الطيرة.

قوله: («ولا هامة») بتخفيف الميم على الصحيح. **قال الفراء**: (الهامَة): طائرمن طير الليل، كأنه يعني: البومة. **قال ابن الأعرابي**: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نَعَتْ إليّ نفسي أو أحداً من أهل داري. **وقال أبو عُبيد**: كانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامَة فتطير، ويسمون ذلك الطائر الصدى، وبه جزم **ابن رجب قال**: وهذا شبيه باعتقاد أهل التناسخ أن أرواح الموتى تنتقل إلى أجساد حيوانات من غير بعث ولا نشور. وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الإسلام بإبطالها وتكذيبها. ولكن الذي جاءت به الشريعة أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة وتشرب من أنهارها إلى أن يردها الله إلى أجسادها [م (١٨٨٧)]. وذكر **الزبير بن بكّار** في «المُوَفَّقِيّات» أن العرب كانت في الجاهلية تقول: إذا قتل الرجل، ولم يأخذ بثأره، خرجت من رأسه هامَة ـ وهي دودة ـ فتدور حول قبره وتقول: اسْقُوني. وفي ذلك يقول شاعرهم:

يا عمروُ إنْ لا تَدعْ شَتْمي ومَنْقَصَتي ... أَضْرِبْك حتى تقولَ الهامَةُ: اسقوني

قال: وكانت اليهود تزعم أنها تدور حول قبره سبعة أيام ثم تذهب.

قوله: («ولا صفر») بفتح الفاء. روى أبو عبيد القاسم بن سلّام في «غريب الحديث» (٢٥/١) له عن رُؤْبة أنه قال: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس وهي أعدى من الجرب عند العرب. فعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى، ويكون عطفه على العدوى من عطف الخاص على العام. وممن قال بهذا: سفيان بن عيينة وأحمد والبخاري وابن جرير، وقال آخرون: المراد به شهر صفر، والنفي لِما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يحلون المحرم، ويحرمون صفر مكانه. وهذا قول مالك، وفيه نظر. وروى أبو داود (٣٩١٥) عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول: إن أهل الجاهلية كانوا يستشئمون بصفر ويقولون: إنه شهر مشؤوم فأبطل النبي ﷺ ذلك. **قال ابن رجب**: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، وكثير من الجهال يتشاءم بصفر، وربما ينتهي عن السفر فيه. والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام، كيوم الأربعاء، وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة.

قوله: («ولا نوء») النوء واحد الأنواء وسيأتي الكلام عليه في (باب: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء) (= ٣٨٧).

قوله: («ولا غُول») هو بالفتح مصدر معناه: البُعْد والهلاك. وبالضم الاسمُ، وجمعه أغوال وغيلان وهو المراد هنا. **قال أبو السّعادات**: (الغُول) واحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولاً، أي: تتلون تلوناً في صور شتى وتُغوِّلهم، أي: تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي ﷺ وأبطله. وقيل: قوله: «لا غول» ليس نفياً لعين الغول ووجوده، وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلوّنه بالصور المختلفة واغتياله. فيكون المعنى بقوله: «لا غول» أنها لا تستطيع أن تضل أحداً، ويشهد له الحديث الآخر: «لا غول ولكن السَّعالي سَحَرة

الجن»(١) أي: ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل، ومنه «ضعيف الحديث: «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان» [مر(١٤٢٦٠)] أي: ادفعوا الجامع» (٤٣٦) شرها بذكر الله، وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها عدمها، ومنه حديث أبي أيوب: كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجيء فتأخذ [ت(٣٠٥٢)]. صحيح

قال: ولهما [خ(٥٧٧٦)، م(٢٢٢٤)] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل» قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة».

ش: قوله: («ويعجبني الفأل» قال أبو السعادات: («الفأل») - مهموز -: فيما يسر ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استُعملتْ فيما يسر، يقال: تفاءلت بكذا، وتفاوَلت على التخفيف والقلب، وقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفاً. وإنما أحب الفأل، لأن الناس إذا أَمَلوا فائدة الله، ورَجَوْا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي، فهم على خير، ولو غلطوا في جهة الرجاء، فإن الرجاء لهم خير، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر. وأما الطيرة، فإن فيها سوء الظن بالله، وتوقُّع البلاء. ومعنى التفاؤل مثل أن يكون رجل مريض، فيتفاءل بما يسمع من كلام، فيسمع آخَرَ يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالّة، فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه بريء من مرضه ويجدُ ضالته. ومنه الحديث: قيل: يا رسول الله ما الفأل؟ فقال: «الكلمة الصالحة».

قوله: (قالوا: وما الفأل، قال: «الكلمة الطيبة») بين لهم ﷺ أن الفأل يعجبه فدل أنه ليس من الطيرة المنهي عنها.

قال ابن القيم: ليس في الإعجاب بالفأل ومحبّته: شيء من الشرك بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة، ومن حب الفطرة الإنسانية التي

(١) أخرجه الخطابي في «غريب الحديث» ١/ ٤٦٣ من مرسل الحسن بن محمد ابن الحنفية.

تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، كما أخبرهم أنه («حبب» إليه «من الدنيا النساء والطيب») [ن (٣٦٨٠)] و(كان يحب الحلوى والعسل) [«صحيح الجامع» (٤٩١٩)]، و(يحب حسن الصوت بالقرآن) [*ع (٧٥٤٤)، م (٧٩٢)] والأذان و(يستمع إليه) [م (٧٩٣)] و(يحب معالي الأخلاق) [«صحيح الجامع» (١٨٨٩)]، ومكارم الشيم، وبالجملة يحب كل كمال وخير وما يفضي إليهما. والله سبحانه وتعالى قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته، وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع، استبشرت بها النفس، وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب. وإذا سمعت أضدادها، أوجب لها ضد هذه الحال، فأحزنها ذلك، وأثار لها خوفاً وطيرة وانكماشاً وانقباضاً عما قصدت له وعزمت عليه، فأورث لها ضرراً في الدنيا، ونقصاً في الإيمان، ومقارفة للشرك. حسن صحيح

وقال الحَلِيمي: وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل، لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب مُحقَّق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.

قال: ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذُكرتِ الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك». ضعيف

ش: **قوله**: (**عن عقبة بن عامر**) هكذا وقع في نسخ «التوحيد»، وصوابه: عروة بن عامر؛ كذا أخرجه أحمد وأبو داود (٣٩١٩) وغيرهما، وهو مكيٌّ، اختُلف في نسبه، فقال أحمد بن حنبل في روايته: عن عروة بن عامر القرشي، وقال غيره: الجهني، واختلف في صحبته **فقال الباوَرْديّ**: له صحبة، وذكره ابن حبان في «ثقات» التابعين، **وقال المِزّي**: لا صحبة له تصح.

قوله: (فقال: «**أحسنها الفأل**») قد تقدم (= ٣٧٢) أنه ﷺ كان يعجبه الفأل. وروى الترمذي (١٦٨١) وصححه عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع: يا نجيح! يا راشد!. وروى أبو داود (٣٩٢٠) عن بُرَيدة أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه، فرح به، وإن كره اسمه، رؤي كراهيته ذلك في وجهه. وإسناده حسن. فهذا في استعمال الفأل. **قال ابن القيم** في الكلام على الحديث المشروح: أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها، فأبطل الطيرة، وأخبر أن الفأل منها، ولكنه خير منها، ففصل بين الفأل والطيرة لِما بينهما من الامتياز والتضادّ، ونفع أحدهما ومضرة الآخر، ونظير هذا مَنْعه من الرقى بالشرك، وإذنه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك؛ لِما فيها من المنفعة الخالية عن المفسدة.

صحيح
صحيح

قوله: («**ولا ترد مسلماً**») **قال الطِّيبي**: تعريض بأن الكافر بخلافه.

قوله: («**اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت**») أي: لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع المكروهات، بل أنت ـ وحدك لا شريك لك ـ الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات. وهذا دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً، ويعدّ مَنِ اعتقدها سفيهاً مشركاً.

قوله: («**ولا حول ولا قوة إلا بك**») استعانة بالله تعالى على فعل التوكل، وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سبباً لوقوع المكروه وعقوبة لفاعلها، وذلك إنما يصدر من تحقيق التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات، ودفع المكروهات. و(الحول): التحول والانتقال من حال إلى حال، و(القوة) على ذلك، أي: «**لا حول ولا قوة**» على ذلك الحول «**إلا بك**»، وذلك يفيد التوكل على الله لأنه علم وعمل: **فالعلم**: معرفة القلب بتوحد الله بالنفع والضر، وعامة

المؤمنين بل كثير من المشركين يعلمون ذلك. **والعمل**: هو ثقة القلب بالله وفراغه من كل ما سواه، وهذا عزيز ويختص به خواص المؤمنين، وهو داخل في هذه الكلمة، لأن فيها التبرؤ من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته والإقرار بقدرته على كل شيء، وبعَجْزِ العبد عن كل شيء إلا ما أقدره عليه ربه، وهذا نهاية توحيد الربوبية الذي يثمر التوكل وتوحيد العبادة.

قال: وعن ابن مسعود مرفوعاً: «الطيرة شرك، الطيرة شرك» وما منا إلا . . .، ولكن الله يذهبه بالتوكل»؛ رواه أبو داود (٣٩١٠) والترمذي (١٦٧٩) وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود. صحيح

ش: هذا الحديث رواه أيضاً ابن ماجه (٣٥٣٨) وابن حبان (٦١٢٢) ولفظ أبي داود: «الطيرة شرك، الطيرة شرك» ثلاثاً.

قوله: (**«الطيرة شرك»**) صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك؛ لِما فيها من تعلق القلب على غير الله. **وقال ابن حَمْدان** في «الرعاية»: تكره الطيرة، وكذا قال غير واحد من أصحاب أحمد. **قال ابن مفلح**: والأولى القطع بتحريمها. ولعل مرادهم بالكراهة التحريم. **قلت**: بَلِ الصواب القطع بتحريمها، لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروهاً الكراهة الاصطلاحية؟! فإن كان القائل بكراهتها أراد ذلك فلا ريب في بطلانه. قال في «شرح السنن»: وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعاً، أو يدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبه، فكأنهم شركوه مع الله تعالى.

قوله: (**وما منا إلا . . . .**) **قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري**: في الحديث إضمار والتقدير: (**وما منا إلا**) وقد وقع في قلبه شيء من ذلك. **انتهى**. وحاصله: (**وما منا إلا**) من يعتريه التطير، ويسبق إلى قلبه الكراهة فيه. فحذف ذلك اعتماداً على فهم السامع. **وقال الخَلْخالي**: حذف المستثنى لِما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا نوع من أدب الكلام.

قوله: (ولكن الله يذهبه بالتوكل) أي: (ما منا إلا) من يقع في قلبه ذلك، (ولكن) لمّا توكلنا على الله وآمنا به، واتبعنا ما جاء به الرسول ﷺ، واعتقدنا صدقه، أذهب الله ذلك عنا، وأقرّ قلوبنا على السُّنّة واتّباع الحق.

قوله: (وجعل آخره من قول ابن مسعود) **قال الترمذي**: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان سليمان بن حرب يقول في هذا: (وما منا...) هذا عندي من قول ابن مسعود، فالترمذي نقل ذلك عن سليمان بن حرب. ووافقه على ذلك العلماء. **قال ابن القيم**: وهو الصواب، فإن الطيرة نوع من الشرك.

قال: ولأحمد من حديث ابن عَمْرو: «مَنْ رَدَّتْه الطيرة عن حاجته فقد أشرك». قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك». «صحيح الجامع» (٦٢٦٤)

ش: هذا الحديث رواه الإمام أحمد (٧٠٤٢) والطبراني عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص مرفوعاً وفي إسناده ابن لَهِيعة وفيه اختلاف، وبقية رجاله ثقات.

قوله: (من حديث ابن عَمْرو) هو عبد الله بن عَمْرو بن العاص ابن وائل السَّهْمي، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمٰن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء. مات في ذي الحجة ليالي الحَرّة - على الأصح - بالطائف.

قوله: («من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك») وذلك أن التطير هو التشاؤم بالشيء المَرْئيّ أو المسموع فإذا استعملها الإنسان فرجع بها عن سفره، وامتنع بها عما عزم عليه، فقد قرع باب الشرك، بل ولجه وبرئ من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله، وذلك قاطع له عن مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]، فيصير قلبه متعلقاً بغير الله، وذلك شرك،

فيفسد عليه إيمانه، ويبقى هدفاً لسهام الطيرة. ويقيض له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه، وكم ممن هلك بذلك و﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١].

قوله: (**فما كفارة ذلك؟...**) إلى آخر الحديث. هذا كفارة لِما يقع من الطيرة، ولكن يمضي مع ذلك ويتوكل على الله. **وفيه**: الاعتراف بأن الـ «**طيْرَ**» خَلْقٌ مُسخَّر مملوك لله، لا يأتي بخير ولا يدفع شراً، وأنه «**لا خير**» في الدنيا والآخرة «**إلا**» خير الله، فكل خير فيهما، فهو من الله تعالى تفضلاً على عباده، وإحساناً إليهم. وأن (الإلٰهية) كلها لله ليس فيها لأحد من الملائكة والأنبياء ﷺ شركة، فضلاً عن أن يشرك فيها ما يراه ويسمعه مما يتشاءم به.

قوله: [وله] من حديث الفضل بن العباس: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردَّك».

ش: هذا الحديث رواه أحمد في «المسند» (١٨٢٣) ولفظه: حدثنا حماد بن خالد قال: ثنا ابن علاثة عن مَسْلَمة الجُهَني قال: سمعته يحدث عن الفضل بن عباس قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً فبرّح ظَبْيٌ فمال في شقه، فاحتضنته، فقلت: يا رسول الله تَطيَّرتُ. قال: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك» هكذا رواه أحمد، وفي إسناده نظر. **وقرات بخط المصنف: فيه رجل مختلف فيه، وفيه انقطاع**؛ أي: بين مَسْلَمَة وبين (**الفضل**) وهو ابن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ وأكبر ولد العباس. قال ابن معين: قتل يوم اليرموك في عهد أبي بكر ﷺ. وقال غيره: قتل يوم مَرْجِ الصُّفَّر، سنة ثلاثَ عشرة، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة. قال أبو داود: قتل بدمشق، كان عليه درع النبي ﷺ. **وقال الواقدي وابن سعد**: مات في طاعون عمواس.

قوله: («**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**») هذا حَدٌّ للطيرة المنهي

عنها بأنها ما أوجب للإنسان أن يمضي لِما يريده ولو من الفأل، فإن الفأل إنما يستحب لِما فيه من البشارة والمُلاءمة للنفس، فأما أن يعتمد عليه ويمضي لأجله مع نسيان التوكل على الله، فإن ذلك من الطيرة. وكذلك إذا رأى أو سمع ما يكره فتشاءم به ورَدَّه عن حاجته، فإن ذلك أيضاً من الطيرة.

٢٣ ـ باب ما جاء في التنجيم

المراد هنا ذكر ما يجوز من التنجيم وما لا يجوز وما ورد فيه من الوعيد. **قال شيخ الإسلام: (التنجيم)** هو: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية. **وقال الخطابي**: علم النجوم المنهي عنه هو ما يدّعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان، كأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار، وما كان في معناها من الأمور التي يزعمون أنهم يدركون معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، ويدّعون أن لها تأثيراً في السفليات، وأنها تجري على قضايا موجباتها، وهذا منهم تَحكُّم على الغيب، وتعاطٍ لعلم قدِ استأثر الله به، لا يعلم الغيب سواه.

قلت: واعلم أن التنجيم على ثلاثة أقسام: **أحدها**: ما هو كفر بإجماع المسلمين، وهو القول بأن الموجودات في العالم السفلي مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات، وأن الكواكب فاعلة مختارة، وهذا كفر بإجماع المسلمين، وهذا قول الصابئة المنجمين الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل [كما في (الأنعام: ٧٥ ـ ٧٩)] عليه السلام، ولهذا كانوا يعظمون الشمس والقمر والكواكب تعظيماً، يسجدون لها ويتذللون لها ويسبحونها تسابيح معروفة في كتبهم، ويدْعونها دعوات لا تنبغي إلا لخالقها وفاطرها وحده لا شريك له، ويبنون لكل كوكب هيكلاً، أي: موضعاً لعبادته ويصورون فيه ذلك الكوكب، ويتخذونه لعبادته

وتعظيمه، ويزعمون أن روحانية ذلك الكوكب تنزل عليهم وتخاطبهم وتقضي حوائجهم. وتلك الروحانيات هي الشياطين تنزلت عليهم، وخاطبتهم وقضت حوائجهم. وقد صنف بعض المتأخرين في هذا الشرك مصنفاً وذكر صاحب «التذكرة» فيها.

الثاني: الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ونحو ذلك، ويقول: إن ذلك بتقدير الله ومشيئته، فلا ريب في تحريم ذلك، واختلف المتأخرون في تكفير القائل بذلك. وينبغي أن يقطع بكفره، لأنها دعوىٰ لعلم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه بما لا يدل عليه.

الثالث: ما ذكره المصنف في تعلم المنازل وسيأتي الكلام عليه (= ٣٨٤).

قوله: قال البخاري في «صحيحه»: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، و﴿رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾، ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ يُهتدىٰ بها، فمَن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به.

ش: هذا الأثر علقه البخاري في «صحيحه» [بعد (٣١٩٨)] كما قال المصنف، وأخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتِم، وأبو الشيخ، والخطيب في كتاب «النجوم» عن قتادة. ولفظه: قال: إن الله إنما جعل هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يُهتدى بها، وجعلها ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾، فمَن تعاطى فيها غير ذلك، فقد قال برأيه، وأخطأ حَظّه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، وإن ناساً جَهَلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولَعَمْريْ! ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والذميم، وما عِلم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب، ولو أن أحداً

علم الغيب، لَعَلِمه آدم الذي خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعَلّمه أسماء كل شيء.

قوله: (**خلق الله هذه النجوم لثلاث**: ...) إلى آخره. هذا مأخوذ من القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك] وقوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل]. **وفيه**: إشارة إلى أن النجوم في السماء الدنيا كما هو ظاهر الآية، وفيه حديث رواه ابن مردويه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أما ﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾، فإن الله خلقها من ﴿دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١]، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان]، ﴿وَ﴾ زينها ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ النجوم، ﴿وَ﴾ جعلها ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:٥] ﴿وَحِفْظًا﴾ [الصافات:٧] ﴿مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر].

وقوله: (﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾) أي: دلالات على الجهات والبلدان ونحو ذلك (**يُهتدى بها**) بصيغة المجهول. أي: يهتدي بها الناس في ذلك كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام] وليس المراد: يهتدون بها في علم الغيب، ولهذا قال: (**فمن تأول فيها** [غير] **ذلك**) أي: زعم فيها غير ما ذكر الله تعالى في هذه الثلاث، فادّعى بها علم الغيب، فقد (**أخطأ**) أي: حيث تكلم رجماً بالغيب (**وأضاع نصيبه**) أي: حَظّه من عمره، لأنه اشتغل بما لا فائدة فيه، بل مضرة محضة، (**وتكلف ما لا علم له به**) أي: تعاطى شيئاً لا يتصور علمه، لأن أخبار السماء، والأمور المغيبة لا تُعلم إلا من طريق الكتاب والسنة، وليس فيهما أَزْيد مما تقدم. **قال الداودي**: قول قتادة في النجوم حَسَنٌ إلا قوله: (**أخطأ وأضاع نصيبه**)، فإنه قصر في ذلك، بل قائل ذلك كافر.

فإن قلت: إن المنجمين قد يَصْدُقون بعض الأحيان = **قيل**: صدقهم كصدق الكهان، يصدقون مرة ويكذبون مئة، وليس في صدقهم مرة ما يدل على أن ذلك علم صحيح كالكهان.

وقد استدل بعض المنجمين بآيات من كتاب الله على صحة علم التنجيم:

١ ـ **منها** قوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل:١٦].

والجواب: أنه ليس المراد بهذه الآية أن النجوم علامات على الغيب يهتدي بها الناس في علم الغيب، وإنما المعنى ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ﴾ أي: دلالات على قدرة الله وتوحيده. وعن قتادة ومجاهد أن من النجوم ما يكون علامة لا يهتدى إلا بها. وقيل: إن هذا من تمام الكلام الأول وهو قوله: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥ وَعَلَٰمَٰتٍۚ﴾ [النحل] أي: ﴿وَأَلۡقَىٰ﴾ لكم معالم يعلم بها الطريق والأراضي من الجبال الكبار والصغار يستدل بها المسافرون في طرقهم.

وقوله: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ قال ابن عباس في الآية: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ﴾ يعني: معالم الطرق بالنهار ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ قال: يهتدون به في البحر في أسفارهم؛ رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. فهذا القول ونحوه هو معنى الآية، فالاستدلال بها على صحة علم التنجيم استدلال على ما يُعلَم فساده بالاضطرار من دين الإسلام بما لا يدل عليه لا نصاً ولا ظاهراً، وذلك أفسد أنواع الاستدلال، فإن الأحاديث جاءت عن النبي ﷺ بإبطال علم التنجيم وذمه، منها حديث: «من اقتبس شعبة من علم النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر...» الحديث، وقد تقدم (= ٣٤١). وعن عبد الله بن مُحَيْرِيز التابعي الجليل أن سليمان بن عبد الملك دعاه فقال: لو علمت علم النجوم فازددت إلى علمك. فقال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي ثلاثٌ: حَيْفُ الأئمة، وتكذيب بالقدر، وإيمان بالنجوم» = وعن رجاء بن حَيْوَةَ أن النبي ﷺ قال: «مما أخاف على أمتي: التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة» رواهما عبد بن حميد. فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان حسن

على ثبوت الحديث، لا سيما وقد احتج به مَن أرسله. وعن أبي محجن مرفوعاً: «أخاف على أمتي من بعدي ثلاثاً: حيف الأئمة، وإيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر» رواه ابن عساكر وحسنه السيوطي. «صحيح الجامع» (٢١٤)

وعن أنس مرفوعاً: «أخاف على أمتي بعدي خصلتين تكذيباً بالقدر، وإيماناً بالنجوم» رواه أبو يعلى (١٠٢٣) وابن عدي (١٣٥٠/٤) والخطيب في كتاب «النجوم» وحسنه السيوطي أيضاً. «صحيح الجامع» (٢١٥)

وروى الإمام أحمد (٤٧٦٧) والبخاري (٧٣٧٩) عن ابن عمر مرفوعاً: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا ﴿يَعْلَمُ... مَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ [الرعد:٨] إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا ﴿تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٤]، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» لفظ البخاري. وعن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد طَهَّر الله هذه الجزيرة من الشرك ما لم تضلهم النجوم» رواه ابن مردويه. «ضعيف الجامع» (٤٧٠٥) وعن ابن عمر مرفوعاً: «تعلموا من النجوم ما تهتدون به ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧، النمل:٦٣]. ثم انتهوا» = وعن أبي هريرة قال: نهى رسول الله ﷺ عن النظر في النجوم؛ = رواهما ابن مردويه والخطيب. «ضعيف الجامع» (٢٤٥٦)

ضعيف وعن سَمُرَةَ بن جُندَب أنه خطب فذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أما بعد: فإن ناساً يزعمون أن: كسوف هذه الشمس، وكسوف هذا القمر، وزوال هذه النجوم عن مواضعها لِموت رجال عظماء من أهل الأرض. وإنهم قد كذبوا ولكنها آيات من آيات الله يعتبر بها عباده لِيَنظر مَن يُحدِث له منهم توبة» رواه أبو داود (١١٨٤)(١). وفي الباب أحاديث وآثار غير ما ذكرنا. فتبين بهذا أن الاستدلال بالآية على صحة أحكام النجوم مِن أفسد أنواع الاستدلال.

---

(١) وهو عنده مختصر. وأخرجه مطولاً: أحمد (٢٠١٢١)، وابن خزيمة (١٣٩٧).

٢ ـ **ومنها**: قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات].

والجواب: أن هذا من جنس استدلاله بالآية الأولى؛ في الفساد، فأين فيها ما يدل على صحة أحكام النجوم بوجه من وجوه الدلالات؟! وهل إذا رفع إنسان بصره إلى النجوم، فنظر إليها، دل ذلك على صحة علم النجوم عنده؟! وكل الناس ينظرون إلى النجوم، فلا يدل ذلك على صحة علم أحكامها. وكأن هذا: ما شعر أن إبراهيم عليه السلام إنما بعث إلى الصابئة المنجمين مبطلاً لقولهم مناظراً لهم على ذلك.

فإن قيل على هذا: فما فائدة نظرته في النجوم؟

= **قيل**: نظرته في النجوم من مَعارِض الأفعال ليتوصل به إلى غرضه مِن كسر الأصنام كما كان قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣] فمَن ظن أن نظرته في النجوم ليستنبط منها علم الأحكام، وعلم أن طالعه يقضي عليه بالنحس، ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء]. ولهذا جاء في حديث الشفاعة الصحيح أنه عليه السلام يقول: «لست هُنَاكُم ويذكر ثلاث كَذَبات كذبهن» وعَدّها العلماء: (قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾. وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وقوله لِسَارَةَ: هي أختي) فلو كان قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أخذه من علم النجوم لم يعتذر من ذلك، وإنما هي من معاريض الأفعال، فلهذا اعتذر منها كما اعتذر من قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾، **ذكر ذلك ابن القيم**. **لكن** قوله: (وعدها العلماء). يدل على أنه لم يَستحضرِ الحديث الوارد في عَدِّها. وقد رواه أحمد (٩٢١٤) والبخاري [(٣٣٥٨)، م (٢٣٧١)] وأصحاب «السنن»[1] وابن جرير وغيرهم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) د (٢٢١٢)، ن (٨٣٧٤).

«لم يكذب إبراهيم ﷺ غير ثلاث كَذَبات: اثنتين في ذات الله: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وقوله في سارة: هي أختي» لفظ ابن جرير.

[ضعيف] وروى ابن أبي حاتِم عن أبي سعيد مرفوعاً ـ في كلمات إبراهيم الثلاث التي قال ـ: «ما منها كَذْبة إلا ما حال بها عن دين الله، فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقال: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وقال للملك حين أراد امرأته: هي أختي» وفي إسناده ضعف. وقال قتادة في الآية: العرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم. **قال ابن كثير**: يعني قتادة: أنه نظر إلى السماء متفكراً فيما يُكذّبهم به فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، أي: ضعيف.

قال: وكره قَتادة تعلُّم منازل القمر، ولم يُرخِّص ابنُ عيينةَ فيه؛ ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمدُ وإسحاق.

ش: هذا هو القسم الثالث من علم التنجيم وهو تعلم منازل الشمس والقمر، للاستدلال بذلك على القِبلة وأوقات الصلوات والفصول، وهو كما ترى من اختلاف السلف فيه، فما ظنك بِذَيْنِكَ القسمين؟! ومنازل القمر ثمانية وعشرون، كل ليلة في منزلةٍ منها، فكره قَتادة وسفيان بن عيينة تعلم المنازل، وأجازه أحمد وإسحاق وغيرهما.

قال الخطابي: أما علم النجوم، الذي يدرك من طريق المُشاهَدةِ والخُبْرِ(١)، الذي يعرف به الزوال وتُعلَم به جهة القبلة = فإنه غير داخل فيما نهي عنه، وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئاً بأكثرَ مِن أن الظل ما دام متناقصاً، فالشمس بعدُ صاعدةٌ نحو وسط السماء من الأفق الشرقي وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء

(١) أي: العِلم بالشيء.

نحو الأفق الغربي. وهذا علم يصح دَرْكه بالمشاهدة، إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوا له من الآلات التي يَستغني الناظر فيها عن مراعاة مُدّته ومراصدته. وأما ما يُستدل به من النجوم على جهة القبلة، فأنها كواكب رصدها أهل الخبرة بها من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين، ومعرفتهم بها، وصدقهم فيما أخبروا به عنها. مثل أن يشاهدوها بحضرة الكعبة، ويشاهدوها على حال الغَيبة عنها، فكان إدراكهمُ الدلالة منها بالمعاينة وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم، إذْ كانوا عندنا غير متّهمين في دينهم، ولا مقصرين في معرفته.

وروى ابن المنذر عن مجاهد أنه كان لا يرى بأساً أن يتعلم الرجل منازل القمر. **قلت**: لأنه لا محذور في ذلك. وعن إبراهيم أنه كان لا يرى بأساً أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به؛ رواه ابن المنذر.

قال ابن رجب: والمأذون في تعلمه: علم التسيير لا علم التأثير؛ فإنه باطل محرم قليله وكثيره. وأما علم التسيير، فتعلُّم ما يُحتاج إليه ـ للاهتداء، ومعرفة القبلة، والطُّرُق ـ جائزٌ عند الجمهور، وما زاد عليه لا حاجة إليه لشغله عما هو أهم منه، وربما أدى تدقيق النظر فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين، كما وقع من أهل هذا العلم قديماً وحديثاً، وذلك يفضي اعتقاده إلى خطإ السلف في صلاتهم وهو باطل. **انتهى** مختصراً.

قلت: وهذا هو الصحيح إن شاء الله، ويدل على ذلك الآيات والأحاديث التي تقدمت (= ٣٨٠). وهل يدخل في النهي وقت الكسوف الشمسي والقمري أم لا؟ رجح ابن القيم أنه لا يدخل.

قوله: **(ذكره حرب عنهما)** هو الإمام الحافظ حرب بن إسماعيل، أبو محمد الكرماني الفقيه، من أجلّة أصحاب الإمام

أحمد، روى عن أحمد وإسحاق وابن المَدِيني وابن مَعين وأبي خَيْثَمة وابن أبي شَيْبة وغيرِهم، وله مصنفات جليلة، منها كتاب «المسائل» التي سئل عنها الإمام أحمد وغيره، وأورد فيها الأحاديث والآثار، وأظنه روى أثرَ قتادةَ وابنَ عيينة فيها. مات سنة ثمانين ومئتين.

و(إسحاق) هو [ابن] إبراهيم بن مَخْلَدٍ، أبو يعقوب الحَنْظَليّ النَّيسابوريّ، الإمام المعروف بابن رَاهَوَيْهِ، روى عن ابن المبارك وأبي أسامة وابن عيينة وطبقتِهم. **قال أحمد**: إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين، وروى عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم، وروى هو أيضاً عن أحمد، مات سنة تسع وثلاثين ومئتين.

قال: وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مُدْمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» رواه أحمد (١٩٥١٥) وابن حبان في «صحيحه» (٥٣٤٦). «ضعيف الجامع» (٢٥٩٨)

ش: هذا الحديث رواه أيضاً الطبراني والحاكم (١٤٦/٤) وقال: صحيح. وأقرّه الذهبي. وتمام الحديث: «ومن مات وهو مدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة، نهرٍ يجري من فروج المُوْمِسات، يؤذي أهل النار ريح فروجهن».

قوله: **(عن أبي موسى)** هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضّار - بفتح المهملة وتشديد الضاد المعجمة - أبو موسى الأشعري، صحابي جليل استعمله النبي ﷺ وأمّره عمر ثم عثمان، وهو أحد الحَكَمَين بصِفِّين، مات سنة خمسين.

قوله: **(«ثلاثة لا يدخلون الجنة»)** هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف تأويلها وقالوا: أَمِرُّوها كما جاءت. وإن كان صاحبها لا ينتقل عن الملّة عندهم. وكأن المصنف رحمه الله يميل إلى هذا القول. وقالت طائفة: هو على ظاهره فلا يدخل الجنة أصلاً مدمن الخمر ونحوه، ويكون هذا مخصصاً لعموم الأحاديث الدالّة على خروج

الموحدين من النار ودخولهم الجنة، وحمله أكثر الشراح على مَن فعل ذلك مستحلاًّ، أو على معنى أنهم «لا يدخلون الجنة» إلا بعد العذاب إن لم يتوبوا. والله أعلم.

قوله: («مدمن الخمر») أي: المداوم على شربها.

قوله: («وقاطع الرحم») أي: القرابة كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد].

قوله: («ومصدق بالسحر») مطلقاً، ويدخل فيه التنجيم؛ لحديث: «مَنِ اقتبس علماً من النجوم اقتبس علماً من السحر» [د (٣٩٠٥)] وهذا وجه مطابقة الحديث للباب. **قال الذهبي** في «الكبائر»: ويدخل فيه تعلم السِّيْمياء وعملها، وهو محض السحر، وعقد المرء عن زوجته، ومحبة الزوج لامرأته وبغضها وبغضه، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة. قال: وكثير من الكبائر بل عامّتها إلا الأقل يَجهل خلق من الأمة تحريمه، وما بلغه الزجر فيه، ولا الوعيد عليه، فهذا الضرب فيهم تفصيل، فينبغي للعالِم ألّا يجهل على الجاهل، بل يرفق به ويعلمه، سيما إذا قَرُبَ عهده بجهله، كمن أُسِرَ وجُلِبَ إلى أرض الإسلام وهو تركي، فبالجَهْدِ أن يتلفظ بالشهادتين فلا يأثم أحد إلا بعد العلم بحالِه وقيام الحُجّة عليه.

٢٤ ـ باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

أي: من الوعيد، والمراد نسبة السُّقْيا ومجيء المطر إلى **(الأنواء)** جمع نَوْءٍ وهي منازل القمر. **قال أبو السّعادات**: وهي ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة منها ـ ومنه قوله تعالى: ﴿﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس] ـ يسقط في الغرب كل ثلاثَ عشرةَ ليلةً منزلةٌ مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مُقابِلتها ذلك الوقت في الشرق فتنقضي جميعها مع انقضاء السَّنَة. وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة

وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إليها فيقولون: «مطرنا بنوء كذا» وإنما سمي نَوْءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ـ ينوء نوءاً ـ، أي: نهض وطلع.

قال: وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة].

ضعيف الإسناد

روى الإمام أحمد (٨٤٩) والترمذي (٣٥٢٦) وحَسّنه وابن جرير وابن أبي حاتم والضياء في «المختارة» عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يقول: شكركم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا» وهذا أولى ما فسرت به الآية. وروي ذلك عن علي وابن عباس وقَتَادة والضَّحّاك وعطاء الخراساني وغيرهم. وهو قول جمهور المفسرين، وبه يظهر وجه استدلال المصنف بالآية على الترجمة، فالمعنى على هذا: ﴿وَتَجْعَلُونَ﴾ شكركم لله على ما أنزل إليكم من الغَيْث والمطر والرحمة ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، أي: تنسبونه إلى غيره.

وقال ابن القيم: أي: ﴿وَتَجْعَلُونَ﴾ حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم: التكذيبَ به، يعني: القرآن. قال الحسن: ﴿وَتَجْعَلُونَ﴾ حظكم ونصيبكم من القرآن ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: وخسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به. **قلت**: والآية تشمل المَعْنَيَيْنِ.

قال: عن أبي مالك الأشعريّ أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يَتْرُكُونَهُنّ: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»، وقال: «النائحة إذا لم تَتُبْ قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربال ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] ودرع مِن جَرَبٍ» رواه مسلم (٩٣٤).

ش: قوله: (عن أبي مالك الأشعري) اسمه الحارث بن الحارث الشامي، صحابي تفرد عنه بالرواية أبو سلام، وفي الصحابة: أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا، **جزم به الحافظ**.

قوله: (**«أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن»**) أي: من أفعال أهلها بمعنى أنها معاصي ستفعلها هذه الأمة، إما مع العلم بتحريمها وإما مع الجهل بذلك كما كان أهل الجاهلية يفعلونها. والمراد بالجاهلية هنا ما قبل المبعث، سُمُّوْا بذلك لِفَرْط جهلهم، وكل ما يخالف ما جاءت به الأنبياء والمرسلون فهو جاهلية، منسوبة إلى الجاهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل وإنما يفعله جاهل[1]. **قال شيخ الإسلام**: أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذماً لمن لم يتركه، وهذا يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفِعْلهم، فهو مذموم في دين الإسلام وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها. ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فإن في ذلك ذمّاً للتبرج، وذمّاً لحال الجاهلية الأولى وذلك يقتضي المنع مِن مشابهتهم في الجملة.

قوله: (**«الفخر بالأحساب»**) أي: التشرف بالآباء والتعاظم بعدِّ مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم، وذلك جهل عظيم، إذْ لا شرف إلا بالتقوى كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا...﴾ الآية [سبأ]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وروى أبو داود (٥١١٦) عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وفَخْرها بالآباء، مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس بنو آدم وآدم من تراب، لَيَدَعَنَّ رجال فَخْرهم بأقوامٍ إنما هم فَحْمٌ من فحم جهنم، أو ليكونن أهون حسن

(١) ولصاحب المتن: «مسائل الجاهلية» التي خالفها رسول الله. ذكر فيها مئة مسألة، على ما في المطبوع. لكن قال تلميذه ـ صاحب «فتح المجيد» ـ: (بلغ مئة وعشرين مسألة)؟ فليحرر. وغالبها رؤوس مسائل «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيميّة؛ على ما قاله شارحها الألوسي.

على الله من الجِعْلان التي تدفع بأنفها النَّتَنَ» و(الأحساب) جمع حَسَبٍ وهو ما يَعُدّه الإنسان له ولآبائه مِن شجاعةٍ وفصاحة ونحوِ ذلك.

قوله: («والطعن في الأنساب») أي: الوقوع فيها بالذمّ والعيب، أو بِقدحٍ في نسب أحد من الناس فيقول: ليس هو من ذرية فلان، أو يُعيِّره بما في آبائه من المطاعن، ولهذا لمّا عَيّر أبو ذر رضي الله عنه رجلاً بأمه، قال النبي ﷺ لأبي ذر: «أعيّرتَه بأمه؟! إنك امرؤٌ فيك جاهلية» متفق عليه [خ (٣٠)، م (١٦٦١)].

فدل ذلك أن التعيير بالأنساب من أخلاق الجاهلية، وأن الرجل مع فضله وعلمه ودينه قد يكون فيه بعض هذه الخصال المسماة بجاهليةٍ ويهوديةٍ ونصرانية، ولا يوجب ذلك كُفره وفِسقه. **قاله شيخ الإسلام**.

قوله: («والاستسقاء بالنجوم») أي: نسبة السُّقْيا ومجيء المطر إلى النجوم والأنواء، وهذا هو الذي خافه النبي ﷺ على أمته، كما روىٰ الإمام أحمد (٢٠٨٠٠) وابن جرير عن جابر السُّوائي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أخاف على أمتي ثلاثاً: استسقاءً بالنجوم، وحَيْفَ السلطانِ، وتكذيباً بالقدر»[١].

إذا تبين هذا، فالاستسقاء بالنجوم نوعان:

أحدهما: أن يعتقد أن المُنزِّل للمطر هو النجم، فهذا كفر ظاهر، إذْ لا خالق إلا الله، وما كان المشركون هكذا، بل كانوا يعلمون أن الله هو المنزل للمطر، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (٦٣) [العنكبوت] وليس هذا معنى الحديث، فالنبي ﷺ أخبر أن هذا لا يزال في أمته، ومَنِ اعتقد أن النجم يُنزل المطر، فهو كافر.

الثاني: أن يَنسب إنزال المطر إلى النجم، مع اعتقاده أن الله تعالى هو الفاعل لذلك، المُنزلُ له، إلا أنه سبحانه وتعالى أجرى

---

(١) وصححه بشواهده الشيخ ناصر رحمه الله في تخريج «السنة» لابن أبي عاصم (٣٢٤).

العادة بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم، فحكى **ابن مفلح** خلافاً في مذهب أحمد في تحريمه وكراهته، وصرح أصحاب الشافعي بجوازه، والصحيح أنه محرم، لأنه من الشرك الخفيّ، وهو الذي أراده النبي ﷺ، وأخبر أنه مِن أمر الجاهلية، ونفاه، وأبطله، وهو الذي كان يزعم المشركون، ولم يزل موجوداً في هذه الأمة إلى اليوم. وأيضاً فإن هذا من النبي ﷺ حماية لِجَنَاب التوحيد وسَدًّا لذرائع الشرك ولو بالعبادات المُوْهِمة التي لا يقصدها الإنسان، كما قال لرجل قال له: ما شاء الله وشئت، قال: «أجعلتني لله نِدّاً؟! بل ما شاء الله وحده» [صـ (٢١١٧)]. حسن صحيح

وفيه: التنبيه على ما هو أولى بالمنع مِن نسبة السقيا إلى الأنواء كدعاء الأموات، وسؤالهمُ الرزقَ والنصر والعافية ونحو ذلك من المطالب، فإن هذا من الشرك الأكبر، سواء قالوا: إنهم شفعاؤنا إلى الله ـ كما قال المشركون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس:١٨] ـ أوِ اعتقدوا أنهم يخلقون ويرزقون وينصرون استقلالاً، على سبيل الكرامة، كما ذكره بعض عباد القبور في رسالة صنفها في ذلك، لأنه إذا منع من إطلاق نسبة السقيا إلى الأنواء مع عدم القصد والاعتقاد، فَلأَنْ يمنع من دعاء الأموات والتوجه إليهم في المُلِمّات مع اعتقاد أن لهم أنواع التصرفات أولى وأحرى.

قوله: («والنياحة») أي: رفع الصوت بالندب على الميت، لأنها سخط لقضاء الله ومعارضة لأحكامه وسوء أدب مع الله، ولا كذلك ينبغي أن يفعل المملوك مع سيده، فكيف يفعله مع ربه وسيده ومالكه وإلـٰهه الذي لا إلـٰه له سواه، الذي كل قضائه عَدْلٌ، وأيضاً ففيها تفويت الأجر مع ذهاب المصيبة.

وفي الحديث: دليل على شهادة أن محمداً رسول الله، لأن هذه الأخبار ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران:٤٤. هود:٤٩. يوسف:١٠٢]، فأخبر بها النبي ﷺ، فكان كما أخبر.

قوله: (وقال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها**») **فيه**: تنبيه على أن الوعيد والذمَّ لا يلحق من تاب من الذنب، وهو كذلك، بالإجماع، فعلى هذا إذا عُرف شخص بفعل ذنوب تَوعَّد الشرعُ عليها بوعيد = لم يَجُزْ إطلاق القول بلُحوقه لذلك الشخص المعين، كما يظنه كثير من أهل البدع، فإن عقوبات الذنوب ترتفع بـ: التوبةِ، والحسناتِ الماحِيَةِ، والمصائبِ المُكفِّرة، ودعاءِ المؤمنين بعضِهم لبعض، وشفاعةِ نبيهم ﷺ فيهم، وعَفْوِ الله عنهم.

وفيه: أنّ مَن تاب قبل الموت ما لَمْ يُغَرْغِرْ، فإن الله يتوب عليه، كما في حديث ابن عمر مرفوعاً: «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» رواه أحمد (٦١٥٤) والترمذي (٣٧٨٤) وابن ماجه (٤٢٥٣) وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٨). حسن

قوله: («**تقام يوم القيامة**») أي: تبعث من قبرها («**وعليها سربال** ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ **ودرع من جرب**») **قال القرطبي**: **السربال**: واحد السرابيل، وهي الثياب والقمص، يعني أنهن يُلَطَّخْنَ بالقطران، فيصير لهن كالقميص حتى يكون اشتعال النار والتصاقها بأجسادهن أعظم ورائحتهن أنتن وأَلَمَها بسبب الجرب أشدّ. وروي عن ابن عباس أن **القطران** هو النحاس المُذَاب. وروى الثَّعْلَبيّ في «تفسيره» عن عمر بن الخطاب أنه سمع نائحة، فأتاها فضربها بالدرة حتى وقع خِمارها، فقيل: يا أمير المؤمنين! المرأةَ المرأةَ قد وقع خِمارها. قال: إنها لا حرمة لها.

قال: ولهما [خ (١٠٣٨)، م (٧١)] عن زيد بن خالد قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إِثْرِ سماءٍ كانت من الليل، فلمّا انصرف أقبل على الناس. فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟!» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فأما من قال: مُطِرْنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر

بالكوكب. وأما من قال: مطرنا بنَوْءِ كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

ش: قوله: (عن زيد بن خالد) أيِ: الجُهَنيّ المدني، صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين بالكوفة، وقيل غير ذلك، وله خمس وثمانون سنة.

قوله: (صلى لنا) أي: صلى بنا، فاللام بمعنى الباء. **قال الحافظ: وفيه**: جواز إطلاق ذلك مجازاً، وإنما الصلاة لله.

قوله: (بالحديبية) بالمهملة والتصغير وتخُفّف ياؤها وتُثقَّل.

قوله: (على إثر) بكسر الهمزة وسكون المثلثة على المشهور، وهو ما يعقب الشيء.

قوله: (سماء) أي: مَطَرٍ، وأطلق عليه **(سماء)** لكونه ينزل من جهة السماء.

قوله: (فلما انصرف) أي: من صلاته لا من مكانه، كما يدل عليه قوله: **(أقبل على الناس)** أيِ: التفتَ إليهم بوجهه الشريف. **ففيه**: دليل على أنه لا ينبغي للإمام إذا صلى أن يجلس مستقبل القبلة، بل ينصرف إلى المأمومين، كما صحت بذلك الأحاديث.

قوله: («هل تدرون») لَفْظُ استفهام، ومعناه التنبيه. وفي رواية النسائي (١٤٣٥): «ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة؟!» وهذا من الأحاديث صحيح القدسية. **قال الحافظ**: وهي تُحمَل على أن النبي ﷺ أخذها عن الله بواسطة أو بلا واسطة. **وفيه**: إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليخبرهم، **وإخراج العالِم التعليم للمسألة بالاستفهام فيها. ذكره المصنف.**

قوله: (قالوا: الله ورسوله أعلم) فيه: حسن الأدب للمسؤول عما لا يعلم، وأنه يقول ذلك أو نحوه، ولا يتكلف ما لا يعنيه.

قوله: (قال: «أصبح من عبادي») الإضافة هنا للعموم بدليل التقسيم إلى مؤمن وكافر.

فإن قيل: هذا يدل على أن المراد بالكفر هنا هو الأكبر.

قيل: ليس فيه دليل، إذِ الأصغر يصدر من الكفار.

قوله: («**مؤمن بي وكافر**») المراد بالكفر هنا هو الأصغر؛ بنسبة ذلك إلى غير الله وكُفران نعمته، وإن كان يعتقد أن الله تعالى هو الخالق للمطر المنزِل له، بدليل قوله في الحديث: «**فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته...**» إلى آخره، فلو كان المراد هو الأكبر، لقال: (أنزلَ علينا المطرُ نوءَ كذا). فأتى بباء السببية ليدل على أنهم نسبوا وجود المطر إلى ما اعتقدوه سبباً. وفي روايةٍ: «فأما مَن حمدني على سُقْيَايَ وأثنى عليَّ، فذاكَ مَن آمن بي» فلم يقل: (فأما من قال: إني المنزل للمطر، فذاك من آمن بي) لأن المؤمنين والكفار يقولون ذلك. فدل على أن المراد إضافة ذلك إلى غير الله، وإن كان يعتقد أن الفاعل لذلك هو الله. وروى النسائي (١٤٣٥) والإسماعيلي نحوه وقال في آخره: «وكفر بي أو كفر نعمتي». وفي رواية أبي صالح عن أبي هريرة عند مسلم (٧٢): «قال الله تعالى: ما أنعمت على عبادي مِن نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين». وله [م (٧٣)] من حديث ابن عباس «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر...» الحديثَ. وفي حديث معاوية اللَّيْثيِّ مرفوعاً: «يكون الناس مجدبين فيُنزل الله عليهم رزقاً من رزقه فيصبحون مشركين، يقولون: مُطِرْنا بنوء كذا» رواه أحمد (١٥٥١٥). فبَيَّنَ الكفر والشرك المراد هنا بأن نسبة ذلك إلى غيره تعالى، بأن يقال: «مطرنا بنوء كذا». **قال ابن قُتيبة**: كانوا في الجاهلية يظنون أن نزول الغيث بواسطة النوء: إما بصنعه على زعمهم، وإما بعلامته. فأبطل الشرع قولهم، وجعله كفراً، فإنِ اعتَقد قائلُ ذلك أن للنوء صنعاً في ذلك، فكُفره كفرُ شركٍ، وإنِ اعتَقد أن ذلك مِن قَبيل التجرِبة، فليس بشركٍ، لكن يجوز إطلاق الكفر عليه وإرادة كفر النعمة؛ لأنه لم يقع في شيء من طرق الحديث بين الكفر والشرك واسطة، فيحمل الكفر فيه على المعنيين.

وقال الشافعي: من قال: «مطرنا بنوء كذا» على معنى: مطرنا في وقت كذا، فلا يكون كفراً، وغيره من الكلام أَحَبُّ إليّ منه.

قلت: قد يقال: إن كلام الشافعي لا يدل على جواز ذلك، وإنما يدل على أنه لا يكون كفرَ شركٍ، وغيره من الكلام أحسن منه. أما كونه يجوز إطلاق ذلك أو لا يجوز، فالصحيح أنه لا يجوز، لِما تقدم أن معنى الحديث هو نسبة السُّقْيا إلى الأنواء لفظاً، وإن كان القائل لذلك يعتقد أن الله هو المُنزل للمطر، فهذا من باب الشرك الخفيّ في الألفاظ، كقوله: لولا فلان لم يكن كذا.

وفيه: معنى قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦] فإن كثيراً من النعم قد تجرُّ الإنسان إلى شر، كالذين قالوا: «مطرنا بنوء كذا» **بسبب نزول النعمة**.

وفيه: التفطن للإيمان في هذا الموضع. ذكره المصنف، يشير إلى أن المراد به هنا نسبة النعمة إلى الله وحَمْده عليها، كما في قوله تعالى: «فأما من حمدني على سُقْياي وأثنى علي فذاك من آمن بي» وقوله: «فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته...» الحديث.

وفيه: أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة. ذكره المصنف.

قوله: («فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته») أي: مَن نسبه إلى الله واعتقد أنه أنزله بفضله ورحمته من غير استحقاق من العبد على ربه، وأثنى به عليه، **فقال: «مُطِرْنا بفضل الله ورحمته»**، وفي الرواية الأخرى: «فأما مَن حمدني على سُقْيايَ، وأثنى عليّ فذاك مَن آمن بي». وهكذا يجب على الإنسان ألا يضيف نعم الله إلى غيره ولا يحمدهم عليها بل يضيفها إلى خالقها ومُقدِّرها الذي أنعم بها على العبد بفضله ورحمته، ولا ينافي ذلك: الدعاءَ لِمَن أحسن بها إليك، وذِكْرَ ما أَوْلاكم من المعروف؛ إذا سَلِمَ لك دِينُك، والسر في ذلك ـ والله أعلم ـ أن العبد يتعلق قلبه بمَن يظن حصول الخير له مِن جهته وإن كان لا صُنْعَ له في ذلك، وذلك نوعُ شركٍ خفيٍّ فَمُنِعَ من ذلك.

قوله: («وأما من قال: مطرنا بنوء كذا...») إلى آخره. كالصريح فيما ذكرنا أن المراد نسبة ذلك إلى غير الله، وإن كان يعتقد أن المنزل للمطر هو الله. ولهذا لم يقل: (فأما من قال: أنزل علينا المطر أو أمطرنا بنوء كذا). **قال المصنف: وفيه: التفطن للكفر في هذا الموضع**، يشير إلى أن المراد بالكفر هنا هو نسبة النعمة إلى غير الله كالنَّوْءِ ونحوه على ما تقدم، ولمّا كان إنزال الغيث من أعظم نِعَم الله وإحسانه إلى عباده؛ لِما اشتمل عليه مِن منافعهم، فلا يستغنون عنه أبداً = كان مِن شكره الواجبِ عليهم أن يُضيفوه إلى ﴿ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور:٢٨] المنعم، ويشكروه، فإن النفوس قد جُبلتْ على حبِّ من أحسن إليها، والله تعالى هو المحسن المنعم على الإطلاق الذي ما بالعباد مِن نعمة فمِنْهُ وحده، كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣].

قال: ولهما من حديث ابن عباس معناه. وفيه: «قال بعضهم: لقد صَدَقَ نَوْءُ كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾...﴾ إلى قوله ﴿...تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة].

ش: **قوله**: **(ولهما)** الحديث لمسلم (٧٣) فقط، ولفظه: عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكر، ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا» قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾...﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

قوله: **(قال بعضهم)** ذكر **الواقدي** في «مغازيه» عن أبي قتادة أن عبد الله بن أُبيٍّ هو القائل في ذلك الوقت: مُطِرْنا بنوء ﴿ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [النجم]، وفي صحة ذلك نظر.

قوله: (﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾) هذا قسم

من الله ﷻ، يُقسِم بما شاء من خلقه. وهو دليل على عظمة المُقْسَم به وتشريفه. وتقديره: ﴿أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾، ويكون جوابه: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾، فعلى هذا تكون ﴿لَآ﴾ صلةً لتأكيد النفي، فتقدير الكلام: ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة، بل هو قرآن ﴿كَرِيمٌ﴾.

قال ابن جرير: قال بعض أهل العربية: معنى قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾: فليس الأمر كما تقولون، ثم استؤنف القسم بعد، فقيل: ﴿أُقْسِمُ﴾. و(**مواقع** ﴿ٱلنُّجُومِ﴾) قال ابن عباس: يعني نجوم القرآن، فإنه نزل جُمْلةً ليلةَ القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً في السنينَ بَعْدُ، ثم قرأ ابن عباس هذه الآية. و(**مَواقِعها**): نزولها شيئاً بعد شيء. وقيل: (النجوم) هي: الكواكب، و(مواقعها): مساقطها عند غروبها. قال مجاهد: (مواقع النجوم) يقال: مطالعها ومشارقها، واختاره ابن جرير. وعلى هذا فتكون المناسبة بين ذكر النجوم في القسم وبين المُقسَم عليه وهو القرآن من وجوه: **أحدها**: أن النجوم جعلها الله يهتدى ﴿بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] وآيات القرآن يُهتدىٰ بها في ظلمات الغي والجهل، فتلك هداية في الظلمات الحِسّيّة، وآيات القرآن هداية في الظلمات المعنوية، فجمع بين الهدايتين، مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة للعالم وفي القرآن من الزينة الباطنة، ومع ما في النجوم من الرجوم ﴿لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وفي آيات القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن، والنجوم آياته المشهودة العيانية، والقرآن آياته المتلوّة السمعية، مع ما في مواقعها عند الغروب مِن العبرة والدلالة على آياته القرآنية ومواقعها عند النزول، **ذكره ابن القيم**.

وقوله: (﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾) **قال ابن كثير**: أي: ﴿وَ﴾ إن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم ﴿لَقَسَمٌ... عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ عظمته لعظمتم المقسم عليه.

وقوله: (﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾) هذا هو المُقسَم عليه، وهو القرآن، أي: ﴿إِنَّهُ﴾ وحيُ الله وتنزيله وكلامه، لا كما يقول الكفار: إنه سحر وكهانة أو شعر(١)، بل هو قرآن ﴿كَرِيمٌ﴾، أي: عظيم كثير الخير، لأنه كلام الله. **قال ابن القيم**: فوَصَفَه بما يقتضي حُسْنه وكثرةَ خيره ومنافعه وجلالته، فإن الـ﴿كَرِيمٌ﴾ هو البَهيُّ الكثير الخير، العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله، والله سبحانه وصف نفسه بالكرم [الانفطار:٦. النمل:٤٠]، ووصف به كلامه، ووصف به عرشه [في (المؤمنون:١١٦)]، ووصف به ما كَثُرَ خيره، وحَسُنَ منظره من النبات [الشعراء:٧. لقمان:١٠] وغيره(٢)، ولذلك فسر السلف الـ ﴿كَرِيمٌ﴾ بالحسن. **قال الأزهري**: (الكريم): اسم جامع لِما يُحمَد، والله تعالى كريم جميل الفعال. ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ يُحمَد لِما فيه من الهدى والبيان، والعلم والحكمة.

وقوله: (﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾) **قال ابن كثير**: أي: معظم ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ معظم محفوظ موقر. **وقال ابن القيم**: اختلف المفسرون في هذا فقيل: هو اللوح المحفوظ، والصحيح أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة وهو المذكور في قوله: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ [عبس] ويدل على أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ فهذا يدل على أنه بأيديهم يَمَسُّونه.

---

(١) قالوا: إنه شعر [في (الأنبياء: ٥. الطور: ٣٠، الصافات: ٣٦. الحاقة: ٤١. يس: ٦٩)]. و: كهانة [في (الطور: ٢٩. الحاقة: ٤٢)]. و: سحر [في (المدثر: ٢٤. الأنبياء: ٣. سبأ: ٤٣. الأحقاف: ٧. الزخرف: ٣٠. الأنعام: ٧؟ وبقي ما يحتمله وغيره].

(٢) ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨﴾ [الشعراء. الدخان: ٢٦]. وخيرات الجنة [في (الأنفال: ٤، ٧٤. الحج: ٥٠. النور: ٢٦. سبأ: ٤) و(الأحزاب: ٣١) و(يس: ١١) و(الحديد: ١١، ١٨) و(الأحزاب: ٤٤) و(النساء: ٣١)].

وقوله: (﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾) قال ابن عباس: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ قال: الكتاب الذي في السماء. وفي رواية: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ يعني: الملائكة. وقال قَتادة: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ عند الله ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾، أما في الدنيا، فإنه يَمَسُّه المجوسي النجس والمنافق الرجس. قال: وهي في قراءة ابن مسعود: (ما ﴿يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾). واختار هذا القول كثيرون، منهم: **ابن القيم** ورجحه. وقال ابن زيد: زعمت قريش أن هذا القرآن ﴿تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۝٢١٠﴾ فأخبر الله تعالى أنه ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ كما قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۝٢١٠...﴾ إلى قوله: ﴿لَمَعْزُولُونَ ۝٢١٢﴾ [الشعراء]. **وقال ابن كثير**: وهذا قول جيد وهو لا يخرج عن القول قبله.

وقال البخاري في «صحيحه» [قبل (٧٥٣٣)] في هذه الآية: لا يجد طعمه إلا من آمن به. **قال ابن القيم**: وهذا من إشارة الآية وتنبيهها وهو أنه لا يلتذّ به وبقراءته وفهمه وتدبره إلا من يشهد أنه كلام الله، تكلم به حقاً، وأنزله على رسوله وحياً، ولا ينال مَعانيَه إلا من لم يكن في قلبه منه حرج بوجه من الوجوه.

وقال آخرون: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾، أي: من الجنابة والحدث. قالوا: ولفظ الآية خَبَرٌ ومعناه الطلب. قالوا: والمراد بالقرآن هنا المصحف، كما في حديث ابن عمر مرفوعاً: نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مَخَافةَ أن يناله العدوّ [خ (٢٩٩٠)، م (١٨٦٩)]. واحتجوا على ذلك بما رواه مالك في «الموطإ» [١٩٩] عن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعَمْرِو بن حزم: أن: «لا يَمَسَّ القرآنَ إلا طاهِرٌ». «صحيح الجامع» (٧٧٨٠)

وقوله: (﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٨٠﴾) **قال ابن كثير**: أي: هذا القرآن منزل ﴿مِّن﴾ الله ﴿رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، وليس كما يقولون: إنه سحر أو كهانة أو شعر، بل هو الحق الذي لا مِرْية فيه وليس وراءه حق

نافع. **وفي** هذه الآية: ١ ـ إثبات أنه كلام الله تكلم به. **قال ابن القيم**: ونظيره ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة:١٣] وقوله: ﴿ﱠ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل] ٢ ـ وإثبات علو الله سبحانه على خلقه، فإن النزول والتنزيل ـ الذي تعقله العقول، وتعرفه الفِطَرُ ـ هو وصول الشيء من أعلى إلى أسفل، ولا يَرِدُ عليه قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر:٦] لأنّا نقول: إن الذي أنزلها من فوق سمٰواته قد أنزلها لنا بأمره. **قال ابن القيم**: وذَكَرَ التنزيلَ مضافاً إلى ربوبيته للعالمين المستلزمة لملكه لهم، وتصرفه فيهم، وحكمِه عليهم، وإحسانه وإنعامه عليهم، وأن مَن هذا شأنه مع الخلق كيف يليق به مع ربوبيته التامة أن يتركهم سدى، ويَدَعهم هَمَلاً، ويخلقهم عبثاً، لا يأمرهم ولا ينهاهم، ولا يثيبهم ولا يعاقبهم؟! فمن أقر بأنه رب العالمين أقر بأن القرآن نزّله على رسوله، واستدل بكونه رب العالمين على ثبوت رسالة رسوله وصحة ما جاء به. وهذا الاستدلال أقوى وأشرف من الاستدلال بالمعجزات والخوارق وإن كانت دلالتها أقرب إلى أذهان عموم الناس، وتلك إنما تكون لخواصّ العقلاء.

وقوله: (﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﱠ﴾) قال مجاهد: أي: أتريدون أن تُمَالِئوهم فيه و﴿تَرْكَنُوٓاْ﴾ [هود:١١٣] إليهم. **قال ابن القيم**: ثم وبخهم سبحانه على وضعهم الإدْهان في غير موضعه، وأنهم يداهنون فيما حقه أن يُصدَع به، ويُفرق به، ويُعضّ عليه بالنواجذ، وتثنى عليه الخناصر، وتعقد عليه القلوب والأفئدة، ويحارب ويسالم لأجله، ولا يُلتوىٰ عنه يَمْنةً ولا يَسْرةً، ولا يكون للقلب التفات إلى غيره، ولا محاكمة إلا إليه، ولا مخاصمة إلا به، ولا اهتداء في طرق المطالب العالية إلا بنوره، ولا شفاء إلا به. فهو روح الوجود، وحياة العالم، ومدار السعادة، وقائد الفلاح، وطريق النجاة، وسبيل الرشاد، ونور البصائر، فكيف تطلب المداهنة بما هذا شأنه؟! ولم

ينزل للمداهنة وإنما أنزل بالحق وللحق، والمداهنة إنما تكون في باطلٍ قويٍّ لا تمكن إزالته، أو في حق ضعيف لا تمكن إقامته، فيحتاج المداهن إلى أن يترك بعض الحق، ويلتزم بعض الباطل. فأما الحق الذي قام به كل حق فكيف يداهن فيه؟!

وقوله: (﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾)، تقدم الكلام عليها أول الباب (= ٣٨٨)، والله أعلم.

٢٥ ـ باب قول الله تعالى: ﴿﴿١٦٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة].

ش: لما كانت محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام، الذي يدور عليه قطب رحاها، فبكمالها يكمل الإيمان، وبنقصانها ينقص توحيد الإنسان = نبه المصنف رحمه الله على وجوبها على الأعيان، ولهذا جاء في الحديث «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه...» الحديث؛ رواه الترمذي (٤٠٦٠) والحاكم (١٤٩/٣). وفي حديث آخَرَ: «أحبوا الله بكل قلوبكم». وفي حديث معاذ بن جبل في حديث المنام: «وأسألك حُبَّكَ وحُبَّ مَن يُحبك وحُبَّ عمل يُقرِّبني إلى حبك» رواه أحمد (٢٢١٠٥) والترمذي (٣٤٦٥) وصححه.

ضعيف

صحيح

وما أحسن ما قال **ابن القيم** في وصفها!: هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون، وإلى عملها شمر السابقون، وعليها تفانى المُحبّون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي مَنْ حُرِمها، فهو من جملة الأموات، والنور الذي مَنْ فَقَدَهُ، ففي بحار الظلمات، والشفاء الذي مَن عُدمه، حَلّت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها، فعيشه كله هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال التي متى خلت منها، فهي كالجسد الذي لا روح فيه. تَحمل أثقال السائرين إلى بلادٍ لم

يكونوا ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل:٧] بالغيها، وتُوصِلهم إلى منازلَ لم يكونوا أبداً بدونها وَاصِلِيها، وتُبوِّئهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولا هي داخِلِيها.

تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة، وقد قضى الله تعالى يوم قدر مقادير الخلائق - بمشيئته وحكمته البالغة - أن «المرء مع من أحب» فَيَا لَهَا مِن نعمة على المحبين سابغة! تالله لقد سبق القوم السعاة، وهم على ظهور الفُرُش نائمون، ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في مسيرهم واقفون، وأجابوا مؤذن الشوق، إذْ نادى بهم: حَيَّ على الفلاح، وبذلوا نفوسهم في طلب الوصول إلى محبوبهم، وكان بذلهم بالرضا والسماح، وواصلوا إليه المسير بالإدْلاج والغُدوّ والرواح، تالله لقد حمدوا عند الوصول مسراهم، وشكروا مولاهم على ما أعطاهم، وإنما يحمد القوم السرى عند الصباح. **واطال** في وصفها فراجعه في «المدارج».

«صحيح الجامع» (٦٦٨٩)

واعلم أن المحبة قسمان، مشتركة وخاصة: **فالمشتركة** ثلاثة أنواع:

أحدها: محبة طبيعية، كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء، ونحو ذلك. وهذه لا تستلزم التعظيم.

الثاني: محبة رحمة وإشفاق، كمحبة الوالد لولده الطفل، وهذه أيضاً لا تستلزم التعظيم.

الثالث: محبة أُنْس وإلف، وهي محبة المشتركين - في صناعة، أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر - لبعضهم بعضاً، وكمحبة الإخوة، بعضهم بعضاً. **فهذه** الأنواع الثلاثة، التي تصلح للخلق، بعضهم من بعض، ووجودها فيهم لا يكون شِركاً في محبة الله، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل [خ (٥٢٦٨)، م (١٤٧٤)]، وكان يحب نساءه، وعائشة أحبهن إليه، وكان يحب أصحابه، وأحبهم إليه الصدِّيق رضي الله عنه [خ (٣٦٦٢)، م (٢٣٨٤)].

القسم الثاني: المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله، ومتى أحب العبد بها غيره، كان شركاً لا يغفره الله، وهي محبة العبودية، المستلزمة للذل، والخضوع والتعظيم، وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره. فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلاً كما حققه **ابن القيم**، وهي التي سوّى المشركون بين الله تعالى وبين آلهتهم فيها. كما قال تعالى في الآية التي ترجم لها المصنف: (﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾) **قال ابن كثير**: يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا، وما لهم في الآخرة من العذاب والنَّكال حيث جعلوا ﴿لِلَّهِ أَندَادًا﴾، أي: أمثالاً ونظراء، ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ كحبه، ويعبدونهم معه، وهو الله الذي لا إلـٰه إلا هو، ولا ضد له ولا نِد له، ولا شريك معه.

وقوله: (﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾) أي: يُساوُونهم بالله في المحبة والتعظيم، ولهذا يقولون لأندادهم، وهم في النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء]. فهذا هو مساواتهم ﴿بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، وهو العدل المذكور في قوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام]. أما مساواتهم بالله في الخلق والرزق وتدبير الأمور، فما كان أحد من المشركين يُساوُون أصنامهم بالله في ذلك. وهذا القول **رجحه شيخ الإسلام**.

والثاني: أن المعنى: يحبون أندادهم، كما يحب المؤمنون الله، ثم بين أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم. **قال شيخ الإسلام**: وهذا متناقض، وهو باطل، فإن المشركين لا يحبون الأنداد، مثل محبة المؤمنين الله. **ودَلّتِ الآية على: أن من أحب شيئاً ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ فقد اتخذه نِداً لله، وذلك هو الشرك الأكبر، قاله المصنف. وعلى**: وجوب إفراد الله بالمحبة الخاصة التي هي توحيد الإلـٰهية، بل الخلقُ والأمر والثواب والعقاب، إنما نشأ عن المحبة، ولأجلها، فهي الحق الذي خلقت به السمٰوات والأرض، وهي الحق

الذي تضمنه الأمر والنهي، وهي سِرُّ التألُّه، وتوحيدها هو شهادة أن لا إلـٰه إلا الله، و ليس كما زعم المنكرون، أن الإلـٰه هو الرب الخالق، فإن المشركين كانوا مُقرِّين، بأنه لا رب إلا الله، ولا خالق سواه، ولم يكونوا مقرين بتوحيد الإلـٰهية الذي هو حقيقة لا إلـٰه إلا الله. فإن الإلـٰهَ: الذي تألهه القلوب حباً وذلاً وخوفاً ورجاءً، وتعظيماً وطاعة، (إلـٰه) بمعنى مألوه، أي: محبوب معبود، وأصله من التأله، وهو التعبد الذي هو آخر مراتب الحب، فالمحبة: حقيقةُ العبودية.

ودلت أيضاً على: أن المشركين يعرفون الله ويحبونه، وإنما الذي أوجب كفرهم مساواتهم به الأنداد في المحبة، فكيف بمن أحب الأنداد أكثر من حب الله؟! فكيف بمن لم يحب الله أصلاً، ولم يحب إلا النِدّ وحده؟! فالله المستعان.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾).

نتكلم عليها لتعلقها بما قبلها تكميلاً للفائدة، وإنْ لم يذكرها المصنف، وفيها قولان: **أحدهما** ـ وهو الصحيح ـ أن المعنى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من محبة المشركين ـ بالأنداد ـ لله، فإن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقِسطٍ منها، والمحبة الخالصة أشد من المشتركة. **والثاني**: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من حب أصحاب الأنداد لأندادهم التي يحبونها من دون الله. **قال ابن القيم**: والقولان مُرتَّبان على القولين في قوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾. **وفي الآية**: دليل على أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، وأن الشرك محبط للأعمال.

قال: وقوله: ﴿(٢٤) قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ...﴾ الآية [التوبة].

هذا أمرٌ مِن الله تعالى لنبيه محمد ﷺ أن يتوعد مَن أحب أهله وعشيرته وأمواله ومساكنه، أو أحدَ هذه الأشياء: على ﴿ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾، وقد خوطب بهذا المؤمنين في آخر الأمر، كما قاله شيخ الإسلام، فقيل لهم: (﴿إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾) أي: حصلتموها (﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾) أي: رُخصها وفوات وقت نفاقها (﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾) أي: لحسنها وطيبها ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾) أي: انتظروا ماذا يحل بكم من عذاب الله (﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾) أي: الخارجين عن طاعة الله.

وهو تنبيه على أن مَن فعل ذلك، فهو من الفاسقين، فهذا تشديد ووعيد عظيم، ولا يخلص منه إلا من صح إيمانه فخلص لله سره وإعلانه، وعلى أن المحبة الصادقة تستلزم تقديم مراضي الله على هذه الثمانية كلها، فكيف بمَن آثَر بعضها على ﴿ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾.

فإن قلت: قد قال شيخ الإسلام: إن كثيراً من المسلمين أو أكثرهم بهذه الصفة. =**قيل**: مراده أن كثيراً من المسلمين قد يكون ما ذُكر ﴿أَحَبَّ﴾ إليه ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، أي: في إيثار ذلك على فِعل أمر الله، وأمر رسوله الذي ينشأ عن المحبة، لا في الحب الذي يوجب قصد المحبوب بالتألّه، فإن مَن ساوىٰ بين الله، وبين غيره في هذا الحب، فهو مشرك، فكيف إذا كان غير الله أحب إليه؟! كما هو الواقع من عباد القبور، فإنهم يحبون أندادهم أعظم من حب الله، وذلك أن أصل الحب يحتمل الشركة، بخلاف الخُلّة، فإنها لا تقبل الشركة أصلاً، ولهذا قال النبي ﷺ في الحسن وأسامة: «اللهم إني أُحبهما [فأحِبّهما] وأحِبَّ مَن يحبهما» حديث صحيح [ت (٤٠٤٠:)][1]. حسن

واعلم أن هذه الآية شبيهة بقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴿٣١﴾

(١) وروى البخاري (٣٧٤٧) شطره الأول.

فَٱتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران] فلما كثر المدّعون لمحبة الله، طولبوا بإقامة البينة، فجاءت هذه الآية ونحوها. فمَنِ ادّعىٰ محبة الله، وهو يحب ما ذُكر: على الله ورسوله، فهو كاذب، كمن يدعي محبة الله، وهو على غير طريق النبي ﷺ، فإنه كاذب، إذْ لو كان صادقاً لَكان متّبعاً له، **قال مبارك بن فضالة** عن الحسن قال: كان ناس على عهد النبي ﷺ، يقولون: يا رسول الله إننا نحب ربنا حباً شديداً، فأَحَبَّ الله أن يجعل لِحُبِّه عَلَماً فأنزل الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (٣١) [آل عمران] وقد وقع لكثير من المدّعين نوعَ انبساط في دعوى المحبة أخرجهم إلى شيء مِن الرُّعونة والدعاوي التي تُنافي العبودية، ويدّعي أحدهم دعاوىٰ تتجاوز حدود الأنبياء، ويطلبون من الله ما لا يصلح بكل وجه إلا لله. وسبب هذا ضَعْف تحقيق المحبة التي هي محض العبودية، بل ضعف العقل الذي به يَعرف العبد حقيقته، ومُدّعِيْ ذلك فيه شَبَهٌ من اليهود والنصارى الذين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨].

وشرط المحبة موافقة المحبوب، فتحب ما يحب، وتكره ما يكره، وتبغض ما يبغض، وذلك كمن يدعي أن الذنوب لا تضره، لِكَون الله يحبه، فيُصِرّ عليها. أو يدعي أنه يَصِلُ إلى حَدٍّ ـ في محبة الله ـ تسقط عنه التكاليف. وكقول بعضهم: أيُّ مريدٍ لي تَرَكَ في النار أحداً فإنه بريء منه، فقال الآخر: أي مريد لي ترك أحداً من المؤمنين يدخل النار، فإنه بريء منه. ونحو ذلك من الدعاوي، مع أن كثيراً من هذا ونحوه لا يصدر إلا مِن كافر، والعاقل يتنبه. وما هكذا كان سادات المحبين: الأنبياء، والمرسلون، والصحابة، والتابعون، فكُنْ على حذر من ذلك، فإن كثيراً مِن جهال المتصوفة وقع فيه، وقد ينسب ذلك إلى بعض المشايخ المشهورين، وهو إما كذب عليهم، وإما خطأ منهم، فإن العصمة منتفية عن غير الرسول ﷺ.

قال: عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه مِن ولده ووالده ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾» أخرجاه [خ(١٥)، م(٤٤)].

ش: قوله: («**لا يؤمن أحدكم**») أي: لا يحصل له الإيمان الذي تَبرأ به ذمته، ويستحق به دخول الجنة بلا عذاب («**حتى**») يكون الرسول («**أحب إليه من**») أهله و(«**ولده ووالده** ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾»)، بل لا يحصل له ذلك حتى يكون الرسول أحب إليه من نفسه أيضاً، كما في حديث عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال للنبي ﷺ: لَأَنْتَ يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء إلا نفسي. فقال: «والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر: فإنك الآن والله أحب إليّ من نفسي، فقال: «الآن يا عمر» رواه البخاري (٦٦٣٢). فمَن لم يكن كذلك، فهو من أصحاب الكبائر، إذا لم يكن كافراً، فإنه لا يعهد في لسان الشرع نفي اسم مُسمّىً أمر الله به ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته، فأما إذا كان الفعل مستحباً في العبادة لم يَنْفِها لانتفاء المستحب، ولو صح هذا لَنُفي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة والزكاة والحج وحب الله ورسوله، لأنه ما من عمل إلا وغيره أفضل منه، وليس أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبي ﷺ، بل ولا أبو بكر ولا عمر، فلو كان مَن لم يَأْتِ بكمالها المستحب يجوز نفيها عنه لَجَازَ أن يُنفىٰ عن جمهور المسلمين من الأولين والآخرين، وهذا لا يقوله عاقل. وعلى هذا فمن قال: إن المنفي هو الكمال، فإن أراد أنه نَفْيُ الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة، فقد صدق، وإن أراد أنه نفي الكمال المستحب، فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله ﷺ. **قاله شيخ الإسلام**. وأكثر الناس يدّعي أن الرسول أحب إليه مما ذكر، فلا بد من تصديق ذلك بالعمل والمتابعة له، وإلا فالمدعي كاذب، فإن القرآن بَيّنَ أن المحبة التي في القلب تستلزم العمل الظاهر بحبها كما قال تعالى: ﴿(٣١) قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران] وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ

ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور] فنفى الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول، وأخبر أن ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ سمعوا وأطاعوا. فتبين أن هذا من لوازم الإيمان والمحبة، لكن كل مسلم لا بد أن يكون محباً بقدر ما معه من الإسلام كما أن كل مؤمن لا بد أن يكون مسلماً، وكل مسلم لا بد أن يكون مؤمناً، وإن لم يكن مؤمناً الإيمان المطلق، لأن ذلك لا يحصل إلا لخواص المؤمنين، فإن الاستسلام لله ومحبته لا تتوقف على هذا الإيمان الخاص.

قال شيخ الإسلام: وهذا الفرق يجده الإنسان مِن نَفْسه ويعرفه من غيره، فعامّة الناس إذا أسلموا بعد كفر، أو وُلِدوا على الإسلام، والْتَزموا شرائعه، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله، وهم مسلمون، ومعهم إيمان مجمل، لكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم يحصل شيئاً فشيئاً إنْ أعطاهمُ الله ذلك، وإلا فكثير من الناس لا يَصِلون إلى اليقين، ولا إلى الجهاد، ولو شُكِّكوا لَشَكُّوا، ولو أُمِروا بالجهاد لَمَا جاهدوا، وليسوا كفاراً ولا منافقين، بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يَدْرأ الريب، ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله ما يقدمونه على الأهل والمال. وهؤلاء إنْ عُوْفُوْا من المحنة وماتوا: دخلوا الجنة، وإنِ ابْتُلوا بمَن يُدخِل عليهم شبهاتٍ توجب رَيْبهم، فإنْ لم يُنعِمِ الله عليهم بما يزيل الريب، وإلا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق. **انتهى**.

قوله: («أحب») هو بالنصب خبر «أكونَ».

قوله: (﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [البقرة. آل عمران:٨٧]) هو من عطف العامّ على الخاصّ وهو كثير.

وفي الحديث من الفوائد:

إذا كان هذا شأن محبة الرسول ﷺ فما الظن بمحبة الله.

وفيه: أن الأعمال من الإيمان، لأن المحبة عمل، وقد نفي الإيمان عمن لم يكنِ الرسول ﷺ أحب إليه مما ذكر فدل على ذلك.

وفيه: أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

= **وفيه: وجوب محبته ﷺ على ما ذكر. ذكرهما المصنف.**

قال: ولهما [خ(١٦)، م(٤٣)] عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» وفي رواية: «لا يَجِدُ أحد حلاوة الإيمان حتى...» إلى آخره.

ش: قوله: («ثلاث») أي: «ثلاث» خصال. وجاز الابتداء بـ «ثلاث» لأن المضاف إليه مَنْويٌّ ولذلك جاء التنوين.

قوله: («من كن فيه») أي: وُجِدْنَ وحصلن، فهي تامة.

قوله: («وجد بهن حلاوة الإيمان») **قال ابن أبي جمرة**: إنما عبر بالحلاوة لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

قلت: والشَّجرة لها ثمرة، والشجرة لها حلاوة، فكذلك شجرة الإيمان لا بد لها من ثمرة ولا بد لتلك الثمرة من حلاوة. لكن قد يجدها المؤمن وقد لا يجدها وإنما يَجِدُها بما ذكر في الحديث.

قوله: (**«أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما»**) **«أحب»** منصوب لأنه خبر **«يكون»**. **قال البَيْضاويّ**: المراد بالحب هنا الحبّ العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقلُ السليم رُجحانَه، وإن كان على خلافِ هوىٰ النفسِ كالمريض يَعاف الدواء بطبعه، فينفر عنه بطبعه ويميل إليه بمقتضى عقله فيَهوىٰ تناوله. فإذا تأمل المرء أن الشارع

لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاحٌ عاجل أو خلاص آجل، والعقل يقتضي رجحان جانبِ ذلك = تَمرَّنَ على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تَبَعاً له، ويَلْتذُّ بذلك ٱلْتِذاذاً عقلياً، إذِ الالْتذاذ العقلي إدراكُ ما هو كمالٌ وخير مِن حيث هو كذلك.

قلت: وكلامه على قواعد الجَهْمية ونحوِهم من نفي محبة المؤمنين لربهم لهم. والحق خلاف ذلك بل المراد في الحديث: «**أن يكون الله ورسوله**» عند العبد «**أحب إليه مما سواهما**» حباً قلبياً كما في بعض الأحاديث: «أحبوا الله بكل قلوبكم» [هق في «الدلائل» ٢/ ٥٢٥] فيميل بكُلِّيّته إلى الله وحده حتى يكون وحدَه محبوبَه ومعبودَه، وإنما يحب مَن سواه تبعاً لمحبته؛ كما يحب الأنبياءَ والمرسلين والملائكة والصالحين لمّا كان يحبهم ربه سبحانه، وذلك موجب لمحبة ما يحبه سبحانه وكراهة ما يكره، وإيثار مَرْضاته على ما سواه والسعي فيما يرضيه ما استطاع وتَرْك ما يكره. فهذه علامات المحبة الصادقة ولوازمها، وأما مجرد إيثار ما يقضي العقل رجحانه، وإن كان على خلاف هوى النفس كالمريض يَعاف الدواء بطبعه فينفر عنه... إلى آخر كلامه = فهذا قد يكون في بعض الأمور علامةً على الحب ولازماً له لا أنه هو الحب.

وقال شيخ الإسلام: أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث «من كن فيه وجد حلاوة الإيمان» لأن وجود الحلاوة للشيء يَتْبع المحبة له، فمن أحب شيئاً واشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك. و(اللذة): أمرٌ يحصل عُقَيبَ إدراك المُلائِم الذي هو المحبوب أو المشتهىٰ.

قال: فحلاوة الإيمان المتضمنة للّذّة والفرح يتبعُ كمالَ محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريعها، ودفع ضدها.

فتكميلها: **«أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»** فإن محبة الله ورسوله، لا يُكتفىٰ فيها بأصل الحب، بل لا بد «أن يكون الله ورسوله، أحب إليه مما سواهما».

قلت: ولا يكون كذلك، إلا إذا وافق ربه، فيما يحبه وما يكرهه. قال: وتفريعها: **«أن يحب المرء لا يحبه إلا لله»**.

قلت: فإن من أحب مخلوقاً لله لا لغرض آخَرَ = كان هذا من تمام حبه لله، فإن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب، فإذا أحب أنبياء الله وأولياءه، لأجل قيامهم بمحبوبات الله، لا لشيء آخر، فقد أحبهم لله لا لغيره.

قال: ودَفْع ضدها: **«أن يكره»** ضد الإيمان **«كما يكره أن يُقذَف في النار»**.

قلت: وإنما كره الضد، لِما دخل قلبه من محبة الله، فانكشف له بنور المحبة محاسن الإسلام، ورذائل الجهل، والكفران، وهذا هو الحب الذي يكون مع من أحب، كما في «الصحيحين» [خ (٦١٧١)، م (٢٦٣٩)] عن أنس أن رجلاً سأل النبي ﷺ: متى الساعة؟ فقال: «ما أعددت لها؟» قال: ما أَعْدَدتُ لها مِن كثيرِ صلاةٍ ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: «أنت مع من أحببت»، وفي روايةٍ للبخاري (٦١٦٧) فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: «نعم» قال أنس: ففرحنا يومئذٍ، فرحاً شديداً.

وقوله: **«مما سواهما»** فيه جمع ضمير الرب سبحانه، وضمير الرسول ﷺ، وقد أنكره على الخطيب، لمّا قال: (ومَن يَعْصِهما فقد غوى) [م (٨٧٠)] وأحسن ما قيل فيه قولان: **أحدهما ما قاله البيضاوي** وغيره: أنه ثَنّىٰ الضمير هنا إيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين، لا كل واحدة، فإنها وحدها لاغِيَةٌ، وأَمَرَ بالإفراد في حديث الخطيب إشعاراً بأن كل واحد مِن العِصْيانَينِ مستقل باستلزام

الغَواية، إذِ العطف في تقدير التكرير، والأصل استقلال كلٌ مِن المعطوفين في الحكم. **قلت**: وهذا جواب بليغ جداً.

الثاني: حمل حديث الخطيب على الأدب والأولى، و: هذا على الجواز.

وجواب ثالث: وهو أن: هذا ورد على الأصل، و: حديث الخطيب ناقل، فيكون أرجح.

قوله: (**«كما يكره أن يقذف في النار»**) أي: يَستوي عنده الأمران: الإلقاء في النار، والعَوْدُ في الكفر.

قلت: **وفي** الحديث من الفوائد: أن الله تعالى يحبه المؤمنون، وهو تعالى يحبهم، كما قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وفيه: رد ما يظنه بعض الناس من أنه مَن وُلِدُ على الإسلام أفضل ممن كان كافراً فأسلم. فمَنِ اتَّصف بهذه الأمور، فهو أفضل ممن لم يتصف بها مطلقاً، ولهذا كان السابقون الأولون أفضل ممن ولد على الإسلام.

وفيه: رَدٌّ على الغُلاَةِ الذين يتوهمون أن صدور الذنب من العبد نقص في حقه مطلقاً، والصواب أنه إن لم يتب كان نقصاً وإن تاب فلا، ولهذا كان المهاجرون والأنصار أفضل هذه الأمة، وإن كانوا في أول الأمر كفاراً يعبدون الأصنام، بل المنتقل من الضلال إلى الهدى، ومن السيئات إلى الحسنات = يضاعف له الثواب، **قاله شيخ الإسلام**.

وفيه: دليل على عداوة المشركين وبُغْضهم، لأنّ مَن أبغض شيئا أبغض مَنِ اتَّصف به، فإذا كان «يكره... الكفر... كما يكره أن» يلقى «في النار»، فكذلك يكره مَنِ اتَّصف به.

قوله: (**وفي رواية**: **«لا يجد أحد»**) هذه الرواية أخرجها البخاري في «صحيحه» (٦٠٤١) ولفظه: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان: حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه

من أن يرجع إلى الكفر بعد إذْ أنقذه الله منه، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما».

قال: وعن ابن عباس قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالىٰ في الله، وعادى في الله = فإنما تنال وَلاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يُجْدي على أهله شيئاً؛ رواه ابن جرير.

ش: هذا الأثر رواه ابن جرير بكماله كما قال المصنف، وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتِمٍ الجملةَ الأولى منه فقط.

قوله: **(من أحب في الله)** أي: **(أحب)** المسلمين والمؤمنين **(في الله)**.

قوله: **(وأبغض في الله)** أي: **(أبغض)** الكفار والفاسقين **(في الله)** لمخالفتهم لربهم وإن كانوا أقرب الناس إليه كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة].

قوله: **(ووالىٰ في الله)** هذا بيانٌ لِلَازِمِ المحبة في الله وهو الموالاة. **فيه**: إشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب، بل لا بد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب، وهي النُّصرة والإكرام والاحترام، والكون مع المحبوبين باطناً وظاهراً.

قوله: **(وعادى في الله)** هذا بيان لِلَازِمِ البغض في الله وهو المعاداة فيه، أي: إظهار العداوة بالفعل، كالجهاد لأعداء الله والبراءة منهم، والبعد عنهم باطناً وظاهراً، إشارةً إلى أنه لا يكفي مجرد بُغْض القلب، بل لا بد مع ذلك مِنَ الإتيان بلازمه كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ

وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة] فهذا علامة الصدق في البغض في الله.

قوله: (فإنما تنال وَلاية الله بذلك). يجوز فتح الواو وكسرها، أي: لا يكون العبد من أولياء الله ولا تحصل له ولاية الله إلا بما ذكر من الحب في الله، والبغض في الله، والموالاة في الله، والمعاداة في الله، كما روى الإمام أحمد (١٥٥٢٧) والطبراني عن النبي ﷺ
[ضعيف] قال: «لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله، فإذا أحب لله، وأبغض لله، فقد استحق الولاية لله». وفي حديث آخَرَ:
«صحيح الجامع» (٢٥٣٩) «أوثق عُرىٰ الإيمان: الحب في الله والبغض في الله ﷻ» رواه الطبراني (١٠٥٣١و١٠٥٣٧) وغيره. وينبغي لمن أحب شخصاً في الله أن يأتيه في بيته فيخبره أنه يحبه في الله؛ كما روى أحمد (٢١٢٨٧) والضياء
«صحيح الجامع» (٢٨١) عن أبي ذر مرفوعاً: «إذا أحب أحدكم صاحبه فَلْيَأْتِهِ في منزله فليخبره أنه يحبه لله». وفي حديث ابن عمر عند البيهقي في «الشعب»: «فإنه
«ضعيف الجامع» (٢٩٤) يَجِدُ مثل الذي يجد له».

قوله: (**ولن يَجِدَ عبد طعم الإيمان...**) إلى آخره. أي: (لا يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى... يحب في الله، ويبغض في الله، ويُعاديَ في الله، ويُواليَ في الله) وهذا مُنتزَع من حديث أنسٍ السابق. وفي حديث أبي أُمامة مرفوعاً: «من أحب لله،
صحيح وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقدِ استكمل الإيمان» رواه أبو داود (٤٦٨١). والعَجَبُ ممن يدعي محبة الله وهو على خلاف ذلك، وما أحسن ما **قال ابن القيم!**:

أتحب أعداء الحبيب وتدّعي حباً له، ما ذاك في إمكان

قوله: (**وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً**) أي: المؤاخاة على أمر الدنيا... لا يجدي على أهله شيئاً، أي: لا ينفعهم أصلاً، بل يضرهم، كما قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف] فهذا

حال كل خُلّة ومحبة كانت في الدنيا على غير طاعة الله، فإنها تعود عداوة وندامة يوم القيامة بخلاف المحبة والخُلّة على طاعة الله، فإنها من أعظم القُربات كما جاء في حديث السبعة ـ الذين «يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» ـ قال: «ورجلان تَحَابّا في الله، اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه» [خ (٦٦٠)، م (١٠٣١)]. وفي الحديث القُدْسيّ الذي رواه مالك [٩٥٣] وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٥): «وجبت محبتي للمتحابين فيّ، وللمتجالسين فيّ، وللمتزاورين فيّ، وللمتباذلين فيّ». وهذا الكلام قاله ابن عباس رضي الله عنه في أهل زمانه، فكيف لو رأى الناس فيما هم فيه من المؤاخاة على الكفر والبدع والفسوق والعصيان ولكن هذا مصداق قوله عليه السلام: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ» [م (١٤٥)]. «صحيح الجامع» (٤٣٣١)

وفيه: إشارة إلى أن الأمر قد تغير في زمن ابن عباس بحيث صار الأمر إلى هذا بالنسبة إلى ما كان في زمن الخلفاء الراشدين فضلاً عن زمن رسول الله ﷺ. وقد روى ابن ماجه [(؟)، م(٥٥٦٣)] عن ابن عمر قال: لقد رأيتُنا على عهد رسول الله ﷺ وما منا أحد يرى أنه أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم. وأبلغ منه قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩] فهذا كان حالهم في ذلك الوقت الطَّيّب، وهؤلاء هم المُتَحابُّون لجلال الله، كما في الحديث القدسي؛ يقول الله عز وجل: «أين المتحابون لجلالي، اليوم أظلهم في ظلي» [م (٢٥٦٦)] فهذه هي المحبة النافعة لا لمحبة الدنيا، وهي التي أوجبت لهمُ المواساةَ والإيثارَ على الأنفس ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

قال المصنف: وقال ابن عباس ـ في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة] قال ـ: المودة.

ش: هذا الأثر رواه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتِمٍ والحاكم (٢/٢٧٢) وصححه.

قوله: (قال: المودة) أي: المحبة التي كانت بينهم في الدنيا ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾ وخانتهم أحوج ما كانوا إليها، وتبرأ بعضهم من بعض، كما قال تعالى عن إبراهيم الخليل ﷺ أنه قال لقومه: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت] وهذه الآية وإن كانت نزلت في المشركين عباد الأوثان الذين يحبون أندادهم وأوثانهم ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ فإنها عامة، لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ولهذا قال قتادة: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ قال: أسبابُ الندامة يوم القيامة، والأسباب: المواصلة التي يتواصلون بها ويتحابّون بها، فصارت عداوة يوم القيامة، يلعن بعضهم بعضاً؛ رواه عبد بن حميد وابن جرير. فهذا حال مَن كانت مودته لغير الله، فاحذر من ذلك.

٢٦ ـ باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

الخوف من أفضل مقامات الدين وأجلّها، فلذلك قال المصنف بوجوب إخلاصه لله تعالى (= ٤١٩). وقد ذكره الله تعالى في كتابه عن سادات المقربين من الملائكة والأولياء والصالحين قال الله تعالى: ﴿﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل] وقال الله تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [المؤمنون] وقال تعالى: ﴿﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب]. وأمر بإخلاصه له فقال تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤] وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النحل]. وهو على ثلاثة أقسام:

أحدها: خوف السر: وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء ـ من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك ـ بقدرته ومشيئته، سواء ادّعى أن ذلك كرامة للمخوف: بالشفاعة، أو على سبيل الاستقلال، فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلاً، لأن هذا من لوازم الإلٰهية، فمن اتخذ مع الله نداً يخافه هذا الخوف فهو مشرك.

وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم، ولهذا يخوفون بها أولياء الرحمٰن، كما خوفوا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال لهم: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام] وقال تعالى عن قوم هود أنهم قالوا له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود] وقال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:٣٦].

وهذا القسم هو الواقع اليوم من عباد القبور، فإنهم يخافون الصالحين بل الطواغيت، كما يخافون الله بل أشد. ولهذا إذا تَوجهتْ على أحدهمُ اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان كاذباً أو صادقاً، فإن كان اليمين بصاحب التربة لم يُقدِم على اليمين إن كان كاذباً، وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله. ولا ريب أن هذا: ما بلغ إليه شرك الأولين، بل ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ [المائدة:٥٣] اليمين بالله تعالى. وكذلك لو أصاب أحداً منهم ظلم لم يطلب كشفه إلا من المدفونين في التراب. وإذا أراد أن يظلم أحداً فاستعاذ بالله أو ببيته لم يُعِذْهُ، ولو استعاذ بصاحب التربة أو بتربته لم يقدم عليه أحداً ولم يتعرض له بالأذى، حتى إن بعض الناس أخذ من التجار أموالاً عظيمة أيام موسم الحاج، ثم بعد أيام أظهر الإفلاس، فقام عليه أهل الأموال، فالتجأ إلى قبرٍ في جُدّةَ ـ يقال له: المظلوم ـ فما تعرض له

أحد بمكروه، خوفاً من سر المظلوم. وأشباه هذا من الكفر، وهذا الخوف لا يكون العبد مسلماً إلا بإخلاصه لله تعالى وإفراده بذلك دون من سواه.

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا لخوف من الناس، فهذا محرّم، وهو الذي نزلت فيه الآية المُترجَم لها وهو الذي جاء فيه الحديث: «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذا رأيت المنكر ألا تغيره فيقول: يا رب خشيت الناس، فيقول: إياي كنتَ أحق أن تخشى» رواه أحمد [(١١٢٣١)، هـ (٤٠٠٨)]. ضعيف

الثالث: خوف وعيد اللَّه ـ الذي توعد به العُصاةَ ـ وهو الذي قال الله فيه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ۝١٤﴾ [إبراهيم] وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمٰن] وقال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦﴾ [الطور] وقال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان] وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، ونسبة الأول إليه كنسبة الإسلام إلى الإحسان، وإنما يكون محموداً إذا لم يُوقِعْ في القنوط واليأس من رَوح الله، ولهذا **قال شيخ الإسلام**: هذا الخوف ما حجزك عن معاصي الله، فما زاد على ذلك، فهو غيرُ مُحتاج إليه.

بقي **قسم رابع**، وهو الخوف الطبيعي: كالخوف من عدوٍّ وسبع وهدم وغرق ونحو ذلك، فهذا لا يذم، وهو الذي ذكره الله عن موسى عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿۝٢١ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص].

إذا تبين هذا فمعنى قوله تعالى: (﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾) أي: يخوفكم ﴿أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ ويُوهِمكم أنهم ذو بأس وشدة. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥﴾ [آل عمران] أي: فإذا سول لكم وأوهمكم فتوكلوا على الله فإنه كافِيْكم وناصِركم عليهم كما قال تعالى: ﴿۝٣٥ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ

مِن دُونِهِۦ...﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر] وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء]. **قاله ابن كثير.**

وقال ابن القيم: ومن كيد عدو الله أنه ﴿يُخَوِّفُ﴾ المؤمنين من جنده وأوليائه لئلا يجاهدوهم ولا يأمروهم بمعروف، ولا يَنْهَوْهم عن منكر. فأخبر تعالى أن هذا من كيده وتخويفه، ونهانا أن نخافهم، قال: والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه. قال قتادة: يعظمهم في صدوركم، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران] فكلما قَوِيَ إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمان العبد قوي خوفه منهم. **قلت**: فأمَرَ تعالى بإخلاص هذا الخوف له، وأخبر أن ذلك شرط في الإيمان، فمَنْ لم يَأْتِ به لم يأت بالإيمان الواجب، **ففيه: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.**

قال: وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ...﴾ الآية [التوبة: ١٧].

لمّا نفى تبارك وتعالى عمارة المساجد عن المشركين - بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ...﴾ الآية [١٧] - إذْ لا تنفعهم عِمارتها مع الشرك؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان] أثبت تعالى في هذه الآية عمارة المساجد بالعبادة للمؤمنين (﴿بِاللَّهِ﴾) تعالى (﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾) المقيمين (﴿الصَّلَاةَ﴾) المؤتين (﴿الزَّكَاةَ﴾) الذين لا يخشون (﴿إِلَّا اللَّهَ﴾) ولا يخشون معه إلٰهاً آخر كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب] فهذه هي العمارة النافعة، وهي الخالصة من الشرك، فإنه نار تحرق الأعمال.

وقوله: (﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾) **قال ابن عطية:** يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة، ولا مَحالَةَ أن الإنسان يخشى غيره، ويخشى المحاذير الدُّنْيوِيّة، وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه.

قلت: ولهذا قال ابن عباس في الآية: ﴿لَمْ﴾ يعبد ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾. فإن الخوف كما **قال ابن القيم**: عبودية القلب، فلا يصلح إلا لله، كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء، وغيرها من عبودية القلب.

وقوله: (﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ١٨﴾) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: يقول: إن أولئك المهتدون، كقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ٧٩﴾ [الإسراء] وكل ﴿عَسَى﴾ في القرآن فهي واجبة. **وتضمنت الآية**: أن مَن عمر المساجد من المسلمين بالعبادة، هو من المؤمنين؛ كما في حديث: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، قال الله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ رواه أحمد (١١٦٣٨) والترمذي (٣٣٠٣) والحاكم (١/ ٢١٢ و٢/ ٣٣٢). ضعيف

قال: وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ...﴾ الآية [العنكبوت].

قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن قوم من الذين يدّعون الإيمان بألسنتهم ولم يَثبتِ الإيمان في قلوبهم بأنهم إذا جاءتْهم محنة في الدنيا اعتقدوا أنها من نقمة الله بهم، فٱرْتدّوا عَنِ الإسلام. قال ابن عباس: يعني: فتنتُهُ أن يرتد عن دينه إذا (﴿أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾). **وقال ابن القيم**: الناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين إما أن يقول أحدهم: ﴿ءَامَنَّا﴾، وإما ألّا يقول ذلك، بل يستمر على السيئات والكفر، فمن قال: (﴿ءَامَنَّا﴾) امتحنَه ربه وابتلاه وفتنه - و(الفتنة): الابتلاء والاختبار - ليتبين الصادق من الكاذب، ومن لم يقل: ﴿ءَامَنَّا﴾ فلا يحسب أنه يُعجز الله ويفوته ويسبقه. فمن آمن بالرسل وأطاعهم، عاداه أعداؤهم وآذَوْه، فابتُلي بما يُؤْلِمه، ومن لم يؤمن بهم، ولم يُطِعْهم، عوقب في الدنيا والآخرة، وحصل له ما يؤلمه، وكان هذا الألم أعظم وأدوم مِن ألم اتّباعهم، فلا بد من حصول الألم لكل نفسٍ: آمنت، أو رغبت عن الإيمان، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداءً، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة،

والمُعْرِض عن الإيمان تحصل له اللّذّة ابتداء ثم يصير له الألم الدائم. والإنسان لا بد أن يعيش مع الناس، والناس لهم إرادات وتصورات، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، وإن لم يوافقهم آذَوْه، وعذبوه، وإن وافقهم حصل له الأذىٰ والعذاب، تارة منهم، وتارة من غيرهم، كمن عنده دِين وتُقىً حَلَّ بين قوم فُجّار ظَلَمة، ولا يتمكنون مِن فجورهم إلا بموافقته لهم أو سكوته عنهم، فإن وافقهم أو سكت عنهم سَلِم مِن شَرِّهم في الابتداء، ثم يتسلطون عليه بالإهانة والأذىٰ أضعاف ما كان يخافه ابتداءً لو أنكر عليهم وخالفهم. وإن سلم منهم فلا بد أن يهان ويعاقب على يد غيرهم. فالحزمَ كلَّ الحزمِ بما قالت أم المؤمنين لمعاوية: «مَنْ أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله، لم يُغْنُوْا عنه من الله شيئاً». «صحيح الجامع» (٦٠١٠) فمن هداه الله، وألهمه رشده، ووقاه شر نفسه، امتنع من الموافقة على فعل المحرم، وصبر على عداوتهم، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، كما كانت للرسل وأتباعهم.

ثم أخبر عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة، وأنه إذا (﴿أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾) له ـ وهي أذاهم له، ونَيلهم إياه بالمكروه، وهو الألم الذي لا بد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم، جعل ذلك في فراره منه وتَرْكه السببَ الذي يناله به (﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾) الذي فر منه المؤمنون بالإيمان. فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فَرُّوا مِن ألم عذاب الله إلى الإيمان، وتحملوا ما فيه من الألم الزائلِ والمفارِقِ عن قُرْب، وهذا لضعف بصيرته فر مِن ألم أعداءِ الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم، ففر من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله (﴿فَجَعَلَ﴾) ألم (﴿فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾) في الفرار منه بمنزلة ألم عذاب الله، وغُبِنَ كل الغبن إذِ استجار من الرمضاء بالنار، وفرّ من ألم ساعة إلى ألم الأبد، وإذا نصر الله جنده وأولياءه قال: إني كنت معكم والله عليم بما انطوى عليه صدره من النفاق. **انتهى**.

قلت: وإنما حَمَلَ ضعيفَ البصيرة على أن (﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ

كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾) هو الخوف منهم أن ينالوه بما يكره، بسبب الإيمان بالله، وذلك من جملة الخوف من غير الله. **وهذا** وجه مطابقة الآية للترجمة. **وفي الآية**: رَدٌّ على المُرْجِئة والكَرّامية[1]، **وفيها**: الخوف على نفسك، والاستعداد للبلاء ـ إذْ لا بد منه ـ مع سؤالِ الله العافيةَ.

«ضعيف الجامع» (٢٠٠٩)

قال: عن أبي سعيد مرفوعاً: «إن من ضعف اليقين أن تُرضيَ الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يُؤْتِك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره».

ش: هذا الحديث رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/١٠٦ و١٠/٤١)، والبيهقي [«شعب» (٢٠٣)]، وأعلّه بمحمد بن مروان السُّدّيّ، وقال: ضعيف، وفيه أيضاً عَطية العَوْفيّ، أورده **الذهبي** في «الضعفاء والمتروكين» وقال: ضعفوه. وموسى بن بلال، قال الأزدي: ساقط. **قلت**: إسناده ضعيف، ومعناه صحيح، وتمامه: «وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهَمَّ والحَزَنَ في الشك والسخط».

قوله: («إن مِن ضعف اليقين») قال في «المصباح»: و(**الضُّعْف**) ـ بفتح الضاد في لغة تميم وبضمها في لغة قريش ـ: خلافُ القوة والصحة. و(**اليقين**) المراد به: الإيمان كله، كما قال ابن مسعود: اليقين الإيمان كله، والصبر نصف الإيمان؛ رواه الطبراني (٨٥٤٤) بسند صحيح، ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/٣٤) والبيهقي في «الزهد» (١/٢٨)

---

(١) ووَجْهُه: أنه لم ينفع هؤلاء قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ مع عدم صبرهم على أذى من عاداهم في الله. فلا ينفع القول والتصديق بدون العمل. فلا يصدق الإيمان الشرعي على الإنسان إلا باجتماع الثلاثة: التصديق بالقلب وعمله، والقول باللسان، والعمل بالأركان. وهذا قول أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً. اهـ. «فتح المجيد».

من حديثه مرفوعاً، ولا يثبت رفعه. **قاله الحافظ** [في «الفتح» (١/٤٨)].

ويدخل في ذلك تحقيق الإيمان بالقدر السابق كما في حديث ابن عباس مرفوعاً: «فإن استطعتَ أن تعمل بالرضا في اليقين فافعل، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً» (٣/٥٤١) وفي رواية أخرى ـ في إسنادها ضعف ـ: قلت: يا رسول الله! كيف أصنع باليقين؟ قال: «أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك» [الآجري ١٩٨].

قوله: («أن تُرضيَ الناس بسخط الله») أي: تُؤْثِرَ رضاهم على رضا الله، فتُوافقهم على ترك المأمور، أو فعل المحظور استجلاباً لرضاهم، فلولا ضعف اليقين لَمَا فعلت ذلك، لأن من قوي يقينه علم أن الله وحده هو النافع الضار، وأنه لا مُعَوَّل إلا على رضاه، و﴿لَيْسَ﴾ لسواه ﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] كائناً ما كان، فلا يهاب أحداً، ولا يخشاه لخوف ضرر يلحقه من جهته كما قال تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب].

قوله: («وأن تحمدهم على رزق الله») أي: تَحمدَهم وتَشكرَهم على ما وصل إليك على أيديهم مِن رزق، بأن تُضيفه إليهم وتنسى المُنعِم المتفضل على الحقيقة وهو ﴿ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف]. الذي قدر هذا الرزق لك، وأوصله إليك بلطفه ورحمته فإنه ﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ﴾ و﴿هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف] فإذا أراد أمراً قَيّض له أسباباً، ولا ينافي ذلك حديث: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» صحيح [د(٤٨١١)] لأن المراد هنا إضافة النعمة إلى السبب ونسيان الخالق، والمراد بشكر الناس عدم كفر إحسانهم ومجازاتهم على ذلك بما استطعت، فإن لم تجد فجازِهم بالدعاء.

قوله: («وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله») أي: إذا طلبتهم شيئاً فمنعوك ذَمَمْتَهم على ذلك، فلو علمت يقيناً أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده، وأن المخلوق مُدَبَّر ﴿لَا يَمْلِكُ﴾ لنفسه ﴿ضَرًّا وَلَا

نَفْعًا ﴿٨٩﴾ [طه] فضلاً عن غيره، وأن الله لو قدر لك رزقاً أتاك ولو اجتهد الخلق كلهم في دفعه، وإن أرادك بمنع لم يأتك مرادك ولو اجتمع الخلق كلهم في إيصاله إليك = لَقطعتَ العلائق عن الخلائق وتوجهت بقلبك إلى الخالق تبارك وتعالى.

ولهذا قرر ذلك بقوله: («**إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره**») فلا تُرْضِ الخلق بما يسخط الله، ولا تحمدْهم على رزق الله، ولا تذمهم على ما لم يؤتك الله = طلباً لحصولِ رزقٍ من جهتهم، فـ ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر].

قال شيخ الإسلام: (اليقين): يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد الله أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أَرْضيتَهم بسخط الله لم تكن موقناً لا بوعد الله ولا برزق الله، فإنه إنما يَحمل الإنسانَ على ذلك إما مَيْل إلى ما في أيديهم فيترك القيام فيهم بأمر الله لِما يرجوه منهم، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهلَ طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة، فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم، وإرضاؤهم بما يُسخِطه إنما يكون خوفاً منهم ورجاءً لهم، وذلك من ضعف اليقين، وإذا لم يُقدّر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذَمَمتَهم على ما يقدر، كان ذلك من ضعف يقينك فلا تَخَفْهم ولا تَرْجُهم، ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك، ولكن مَن حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود، ومَن ذمه الله ورسوله فهو المذموم. ولّما قال بعض وفد بني تميم: أي محمد! أَعْطِني، فإن حَمْدي زَيْنٌ وذَمّيْ شَيْنٌ = قال ﷺ: «ذاك الله» [ت (٣٤٩٧)]. صحيح

وفي الحديث: أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال داخلة في الإيمان وإلاّ لم تكن هذه الثلاثُ مِن ضعفه، و: أضدادُها مِن قوته.

قال: وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «مَنِ التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومَنِ التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في «صحيحه». صحيح

ش: هذا الحديث رواه ابن حبان (٢٧٦) بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف، ورواه الترمذي (٢٥٤٠) عن رجل من أهل المدينة. قال: كتب معاوية إلى عائشة أنِ: اكتبي لي كتاباً توصيني فيه، ولا تُكْثِري عليّ، فكتبت عائشة إلى معاوية: سلام عليك أما بعد فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنِ التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومَنِ التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس» والسلام عليك؛ رواه أبو نعيم (١٨٨/٨) وغيره.

قوله: («من التمس») أي: طلب. **قال شيخ الإسلام**: وكتبت عائشة إلى معاوية، ورُوي أنها رَفعتْه: «مَن أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومَن أرضى الناس بسخط الله لم يُغْنُوا عنه من الله شيئاً» هذا لفظ المرفوع. ولفظ الموقوف: (مَن أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومَن أرضى الناس بسخط الله عاد حامِدُه من الناس له ذَامّاً» هذا اللفظ المأثور عنها. **وهذا** مِن أعظم الفقه في الدين، والمأثور أحق وأصدق، **فإن من أرضى الله بسخطهم** كان قدِ اتّقاه. وكان عَبْدَه الصالحَ، والله ﴿يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف] وهو كاف ﴿عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق] والله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب. وأما كون الناس كلهم يَرْضَون عنه فقد يحصل ذلك، لكن يَرْضَون إذا سلموا من الأعراض، وإذا تبين لهم العاقبة. «ومن **أرضى الناس بسخط الله** لم يُغْنُوا عنه من الله شيئاً» كالظالم الذي ﴿يَعَضُّ . . . عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان:٢٧]، وأما كون حامِده ينقلب ذامّاً، فهذا يقع كثيراً ويحصل في العاقبة، فإن ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ١٣٢﴾ [طه] لا تحصل ابتداء

عند أهوائهم. **قلت**: وإنما يحمل الإنسان على إرضاء الخلق «بسخط» الخالق هو الخوف منهم، فلو كان خوفه خالصاً لله لَمَا أرضاهم بسخطه، فإن العبيدَ فقراءُ عاجزون لا قدرة لهم على نفع ولا ضَرٍّ ٱلْبَتَّةَ، ﴿وَمَا﴾ بهم ﴿مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣]، فكيف يَحْسُن بالموحد المخلص أن يُؤْثِر رضاهم على رضا رب العالمين الذي ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ كله، ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [التغابن:١] كله، وبيده ﴿ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران:٢٦] كله، ومنه الـ﴿خَيْرٌ﴾ [البقرة:١٠٥] كله، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود:١٢٣] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران:١٨،٦] وقد أخبر تعالى أن ذلك من صفات المنافقين في قوله: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣﴾ [الحشر] وما أحسن ما قيل!:

إذا صح منك الودّ يا غايةَ المُنىٰ   فكل الذي فوق الترابِ ترابُ

قال ابن رجب: فمنْ تحقق أن كل مخلوق فوق التراب، فهو تراب، فكيف يُقدِّم طاعةَ من هو تراب على طاعة رب الأرباب؟! أم كيف يُرضي الترابَ بسخط الملك الوهاب؟! ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص].

وفي الحديث: عقوبة من خاف الناس وآثر رضاهم على رضا الله، وأن العقوبة قد تكون في الدِّين ـ عياذاً بالله من ذلك! فإن المصيبة في الأديان أعظم من المصيبة في الأموال والأبدان ـ **وفيه**: شدة الخوف على عقوبات الذنوب، لا سيما في الدِّين، فإن كثيراً من الناس يفعل المعاصيَ ويستهين ولا يرىٰ أثراً لعقوبتها، ولا يدري المسكين بماذا أُصيب؟! فقد تكون عقوبته في قلبه كما قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝٧٧﴾ [التوبة] (اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، «صحيح الجامع» (١٢٨٠)
وبعفوك من عقوبتك، وبك منك، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك).

٢٧ ـ باب قول الله تعالى:
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾...﴾ الآية [المائدة]

قال أبو السعادات: يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان، أي: ألجأته واعتمدت عليه فيه، ووكل فلان فلاناً: إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عَجَزَ عن القيام بأمر نفسه. **انتهى.** ومراد المصنف بهذه الترجمة النص على أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى لأنه من أفضل العبادات، وأعلى مقامات التوحيد. بل لا يقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين، كما تقدم (=٨١) في صفة (السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب)، ولذلك أمر الله به في غير آية من القرآن أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة، بل جعله شرطاً في الإيمان والإسلام، ومفهوم ذلك انتفاء الإيمان والإسلام عند انتفائه كما في الآية المترجم لها، وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس] وقوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣] وقوله: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل] وقوله: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾ [الأسراء] وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان] وقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة] وغير ذلك من الآيات. وفي الحديث: «من سره أن يكون أقوى الناس إيماناً فليتوكل على الله» رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والحاكم (٤/٢٧٠)، وفي حديث آخَرَ: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِماصاً وتروح بِطاناً» رواه أحمد (٢٠٥) وابن ماجه (٤١٦٤). قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب. **وقال أبو إسماعيل الأنصاري:** التوكل كِلَةُ الأمر إلى مالكه والتعويل على وكالته.

ضعيف جداً: «الجامع» (٥٦٢٧)

صحيح

إذا تبين ذلك فمعنى الآية المترجم لها أن موسى ﷺ أمر قومه بدخول (﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى﴾) كتبها (﴿ٱللَّهُ﴾) لهم (﴿وَلَا﴾) يرتدوا (﴿عَلَىٰٓ﴾) أدبارهم خوفاً من الـ (﴿جَبَّارِينَ﴾) بل يَمضوا قُدُماً لا يهابونهم ولا يخشونهم، متوكلين (﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾) في هزيمتهم، مصدقين بصحة وَعْدِه لهم (﴿إِن﴾) كانوا (﴿مُّؤْمِنِينَ﴾).

قال ابن القيم: فجعل التوكل على الله شرطاً في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه. وفي الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس] فجعل دليلَ صحة الإسلامِ التوكلَ، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران: ،١٦٠...] فذِكر اسم الإيمان هٰهنا دون سائر أسمائهم دليل على استدعاء الإيمان للتوكل، وأن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفاً، فهو دليل على ضعف الإيمان ولا بد. والله تبارك وتعالى يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية. فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان، ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس [،حم (٢٢٨٧١)]، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقوماته إلا على ساق التوكل.

قلت: وفي الآية دليل على أن التوكل على الله عبادة، وعلى أنه فرض، وإذا كان كذلك فصرْفه لغير الله شرك. **قال شيخ الإسلام:** وما رَجا أحد مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه، فإنه مشرك ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿١٣﴾﴾ [الحج].

قلت: لكن التوكل على غير الله قسمان: **أحدهما:** التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات

والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة، فهذا شرك أكبر فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة العادية، كمن يتوكل على أمير أو سلطان، فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذى ونحو ذلك. فهذا نوع شرك خفي، والوكالة الجائزة هي توكل الإنسان في فعل مقدور عليه. ولكن ليس له أن يتوكل عليه وإن وكله، بل يتوكل على الله ويعتمد عليه في تيسير ما وكله فيه، كما قرره **شيخ الإسلام**.

قال: وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ . . .﴾ الآية [الأنفال].

قال ابن عباس في الآية: المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون على الله، ولا يصلّون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: (﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾) فأَدَّوْا فرائضه؛ رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. وهذه صفة المؤمن الذي ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ وجل قلبه أي: خاف من الله ففعل أوامره، وترك زواجره، فإن وَجَلَ القلبِ من الله يستلزم القيام بفعل المأمور، وترك المحظور كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات] ولهذا قال السُّدّيّ ـ في قوله: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ـ: هو الرجل يريد أن يظلم، أو قال: يَهمّ بمعصية، فيقال له: اتّقِ الله فَيَجِلُ قلبُه؛ رواه ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتِم.

وقوله: (﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾) قد استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم بهذه الآية وأمثالها على زيادة الإيمان

ونقصانه. قال عُمر بن حبيب [الخطمي] الصحابي: إن الإيمان يزيد وينقص. فقيل له: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وخَشِيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه؛ رواه ابن سعد. وقال مجاهد في هذه الآية: الإيمان يزيد وينقص، وهو قول وعمل. رواه ابن أبي حاتِمِ. وحكىٰ الإجماعَ على ذلك الشافعي وأحمد وأبو عبيد وغيرهم.

وقوله: (﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾) [الأنفال] أي: يعتمدون عليه بقلوبهم، مُفوِّضين إليه أمورهم وحده لا شريك له، فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يرغبون إلا إليه، يعلمون أن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له.

وفي الآية: وصف المؤمنين ﴿حَقًّا﴾ بثلاث مقامات من مقامات الإحسان، وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده.

فإن قيل: إذا كان المؤمن حقاً هو الذي فعل المأمور وترك المحظور فلماذا لم يذكر إلا خمسة أشياء؟ = **قيل**: لأن ما ذكر مستلزم لِما ترك، فإنه ذكر وَجَلَ قلوبِهم ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ وزيادةَ إيمانهم ﴿إِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ مع التوكلِ عليه، وإقام الصلاة على الوجه المأمور به باطناً وظاهراً، والإنفاقِ من المالِ والمنافع = فكان مستلزماً للباقي. فإنّ وجل القلب عند ذكر الله يقتضي خشيته والخوف منه، وذلك يدعو صاحبه إلى فعل المأمور، وترك المحظور. وكذلك زيادة الإيمان عند تلاوة آيات الله يقتضي زيادته علماً وعملاً. ثم لا بد من التوكل على الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ومن طاعة الله فيما يقدر عليه. وأصل ذلك الصلاة، والزكاة، فمن قام بهذه الخمس كما أمر لزم أن يأتي بسائر الواجبات، بل الصلاة نفسها إذا فعلها كما أمر فهي ﴿تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. **ذكر ذلك شيخ الإسلام**.

قال: وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ [وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٤]﴾ الآية [الأنفال].

قال ابن القيم: أي: الله وحده كافِيْك وكافِيْ أتباعِك، فلا

تحتاجون معه إلى أحد. وقيل: المعنى ﴿حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ وحسبك المؤمنون. **قال ابن القيم:** وهذا خطأٌ محضٌ لا يجوز حمل الآية عليه؛ فإن الحَسْبَ والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة. قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنفال] ففرق بين الحَسْب والتأييد، فجعل الحَسْب له وحده، وجعل التأييد له بنصره وبعباده، وأثنى على أهل التوحيد من عباده حيث أفردوه بالحَسْب فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران] ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله، فإذا كان هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم بذلك فكيف يقول لرسوله: الله وأتباعك حسبك؟! وأتباعه قد أفردوا الرب تعالى بالحسْب، ولم يشركوا بينه وبين رسوله، فكيف يشرك بينه وبينهم في حَسْب رسوله ﷺ؟! هذا من أمحل المحال وأبطل الباطل. ونظير هذا قوله سبحانه: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة]. فتأمل كيف جعل الإيتاء لله والرسول كما قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:٧]. وجعل الحَسْب له، فلم يقل: وقالوا حسبنا الله ورسوله، بل جعله خالص حقه، كما قال: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة]. ولم يَقُلْ: وإلى رسوله، بل جعل الرغبة إليه وحده، كما قال: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ [الشرح]. فالرغبة والتوكل والإنابة والحَسْب لله وحده، كما أن العبادة والتقوى والسجود والنذر والحلف لا يكون إلا له سبحانه وتعالى. **انتهى كلامه.**

وبهذا يتبين مطابقة الآية للترجمة، لأن الله تعالى أخبر أنه حَسْب رسوله، وحَسْب أتباعه. أي: كافيهم وناصرهم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨] وفي ضمن ذلك أمر لهم بإفراده تعالى بالحَسْب، استكفاء بكفايته تبارك وتعالى وذلك هو التوكل.

قال: وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

قال ابن القيم: أي: كافِيْه، ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذىً لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش. وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبداً. وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء، وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يُشْتَفى به منه. قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته، فقال: (﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾) ولم يقل: فله كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه، وحسبه، وواقيه، فلو توكل العبد على الله حق توكله، وكادته ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ... وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء:٤٤] لجعل له مخرجاً، وكفاه، ونصره. **انتهى**.

وفي أثر رواه أحمد في «الزهد» عن وهب بن منبه، قال الله ﷻ في بعض كتبه: (بعزتي، إنه من اعتصم بي فإنْ كادته السمٰوات ومن فيهن، والأرضون بمن فيهن، فإني أجعل له بذلك مخرجاً، ومن لم يعتصم بي، فإني أقطع يديه من أسباب السماء، وأخسف من تحت قدميه الأرض، فأجعله في الهواء ثم أَكِله إلى نفسه، كفىٰ بي لعبدي مآلاً، إذا كان عبدي في طاعتي أعطيه قبل أن يسألني، وأستجيب له قبل أن يدعوني، فأنا أعلم بحاجته التي ترفق به منه).

وفي الآية: دليل على فضل التوكل، وأنه أعظم الأسباب في جلب المنافع، ودفع المضارّ، لأن الله علق الجملة الأخيرة على الأولى تعليق الجزاء على الشرط فيمتنع أن يكون وجود الشرط كعدمه، لأنه تعالى رتب الحكم على الوصف المناسب له، فعلم أن توكله هو سبب كون الله حَسْباً له، **ذكره شيخ الإسلام**.

وفيها: تنبيه على القيام بالأسباب مع التوكل، لأنه تبارك وتعالى ذكر التقوى، ثم ذكر التوكل، كما قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة] فجعل [التوكل مع] التقوى الذي هو قيام

بالأسباب المأمور بها، فحينئذٍ إذا توكل ﴿عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز محض، وإن كان مشوباً بنوع من التوكل، فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزاً، ولا عجزه توكلاً، بل يجعل توكله من جملة الأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها كلها؛ **ذكر معناه ابن القيم**.

قال: عن ابن عباس: قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران:١٧٣]؛ رواه البخاري (٤٥٦٣).

ش: **قوله**: (﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾) أي: كافينا فلا نتوكل إلا عليه، كما قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] أي كافيه. كما قال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر].

قوله: (﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾) أي: نعم الموكل إليه المتوكل عليه؛ كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج] فقد تضمنت هذه الكلمة العظيمة التوكل على الله والالتجاء إليه. **قال ابن القيم**: وهو حَسْب من توكل عليه، وكافي مَن لجأ إليه، وهو الذي يُؤمِن خوف الخائف، ويجير المستجير وهو ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال]؛ فمن تولاه، واستنصر به، وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه تولاه وحفظه وحرسه وصانه؛ ومَن خافه واتقاه؛ آمنه مما يخاف ويحذر؛ وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع.

قوله: (**قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار**) وفي روايةٍ عن ابن عباس؛ قال: كان آخر قول إبراهيم ﷺ ـ حين أُلقي في النار ـ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾؛ رواه البخاري، وقد ذكر الله القصة في سورة الأنبياء [٥١ ـ ٧٣] ﷺ.

قوله: (**وقالها محمد ﷺ...**) إلى آخره. وذلك؛ بعدما كان من أمر أُحُد ما كان. بلغ النبي ﷺ وأصحابه أن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا الكَرّة عليهم، فخرج النبي ﷺ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمـٰن بن عوف، وحذيفة بن اليمان وعبد اللّه بن مسعود، وأبو عبيدة بن الجراح، في سبعين راكباً حتى انتهى إلى حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثلاثة أميال، ثم ألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان، فرجع إلى مكة، ومر به ركب من عبد قيس فقال: أين تريدون؟ فقالوا: نريد المدينة، قال: فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنّا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه، فقال: «﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾». والقصة مشهورة في السير والتفاسير.

ففي هاتين القصتين: فضل هذه الكلمة. **وأنها** قول إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام في الشدائد، ولهذا جاء في الحديث: «إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾»؛ رواه ابن مردويه. (ضعيف «ضعيف الجامع» (٧٢٩)) **وأن** القيام بالأسباب مع التوكل على الله لا يتنافيان، بل يجب على العبد القيام بهما، كما فعل الخليلان عليهما الصلاة والسلام، ولهذا جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد (٢٣٩٧٦) وأبو داود (٣٦٢٧) والنسائي (١٠٤٦٢) (ضعيف) عن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قضىٰ بين رجلين فقال المقضىٰ عليه لمّا أدبر: حسبي الله ونعم الوكيل، فقال رسول الله ﷺ: «ردّوا علي الرجل» فقال: ما قلت؟ قال: قلت: حَسْبِي الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكَيْس، فإذا غلبك أمر؛ فقل: «﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾». **وفي الآية**؛ دليل على: أن الإيمان يزيد وينقص. قال مجاهد ـ في قوله: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ قال ـ:

الإيمان يزيد وينقص. وعلى أن ما يكرهه الإنسان قد يكون خيراً له. وأن التوكل أعظم الأسباب في حصول الخير، ودفع الشر في الدنيا والآخرة.

٢٨ ـ باب قول الله تعالى:
﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف]

المراد بهذه الترجمة التنبيه على الجمع بين الرجاء والخوف، ولذلك ذكر بعد هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر] هذا هو مقام الأنبياء والصديقين كما قال تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء] فابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب بحبه وطاعته، ثم ذكر الرجاء والخوف وهذه أركان الإيمان. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء] وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام] وقال عن شعيب: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ﴾ [الأعراف] = فوكَلا الأمر إلى مالكه. وقال تعالى عن الملائكة عليهم السلام: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل] وقال النبي ﷺ: «إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية» [خ (٦١٠١)، م (٢٣٥٦)]. وكلما قوي إيمان العبد ويقينه قوي خوفه ورجاؤه مطلقاً. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [فاطر:٢٨] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون] قالت عائشة:

صحيح يا رسول الله! هو الرجل يزني ويسرق ويخاف أن يعاقب؟ قال: «لا! يا بنت الصديق، هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ألّا يقبل منه» رواه الإمام أحمد (٢٥٢٥٠) والترمذي (٣٤٠١) وابن جرير وابن أبي حاتمٍ والحاكم (٢/٣٩٣) وصححه.

قال ابن القيم: الخوف مِن أجلِّ منازل الطريق، وخوف الخاصة أعظم من خوف العامة، وهم إليه أحوج، وهم به أليق وله ألزم، فإن العبد إما أن يكون مستقيماً أو مائلاً عنِ الاستقامة. فإن كان مائلاً عن الاستقامة فخوفه من العقوبة على ميله، ولا يصح الإيمان إلا بهذا الخوف، وهو ينشأ من ثلاثة أمور: **أحدها:** معرفته بالجناية وقبحها، **والثاني:** تصديق الوعيد وأن الله رتب على المعصية عقوبتها، **الثالث:** أنه لا يعلم أنه يمنع من التوبة، ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب. فبهذه الأمور الثلاثة يتم له الخوف. وسبب قوتها وضعفها بِكون قوة الخوف وضعفه، هذا قبل الذنب، فإذا عمله كان خوفه أشد. وبالجملة فمَنِ استقر في قلبه ذِكْر الدار الآخرة وجزائها، وذِكْر المعصية والتوعد عليها، وعدم الوقوف بإتيانه بالتوبة النصوح، هاج من قلبه من الخوف ما لا يملكه، ولا يفارقه حتى ينجو. وأما إن كان مستقيماً مع الله، فخوفه يكون من جريان الأنفاس لعلمه بأن الله مقلب
صحيح القلوب. و(ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمٰن ﷻ فإن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه) كما ثبت عن النبي ﷺ [صـ (١٩٩)]. وكانت أكثر يمينه «لا ومقلب القلوب» [خ (٧٣٩١)] ويكفي في هذا قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤] فأيّ قرار لمن هذه حاله؟! ومن أحق بالخوف منه؟! بل خوفه لازم له في كل حال، وإن توارى عنه بغلبة حال أخرى عليه، فالخوف حشو قلبه، ولكن توارى عنه بغلبة غيره، فوجود الشيء غير العلم به، فالخوف الأول ثمرة العلم بالوعد والوعيد، وهذا الخوف ثمرة العلم بقدرة الله ﷻ وعزته وجلاله، وأنه الـ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا

يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود. البروج:١٦]، وأنه المحرك للقلب المصرف له ﴿كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران] **انتهى**. فهذا الخوف الثاني هو من خوف المكر.

إذا علمت هذا، فمعنى الآية المترجم لها أن الله تبارك وتعالى لمّا ذكر حال ﴿أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ المكذبين للرسل، بيّن أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من عذاب الله، وعدم الخوف منه، كما قال: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأعراف].

ثم بين أن ذلك بسبب الجهل والغِرّة بالله، ﴿أَفَأَمِنُوا﴾ مكره فيما ابتلاهم به من السراء والضراء، بأن يكون استدراجاً، فقال: (﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾) [الأعراف] أي: الهالكون. فدل على وجوب الخوف من مكر الله. قال الحسن: مَن وسع عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له، ومَن قتر عليه، فلم ير أنه ينظر له فلا رأي له = وقال قَتادة: بَغَت القوم أمرُ الله، وما أخذ الله قوماً قط إلا عند سَلوتهم وغِرّتهم ونعمتهم. فلا تغتروا بالله إنه لا يغتر به ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف] = رواهما ابن أبي حاتم. وفي الحديث: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب؛ فإنما هو استدراج» رواه أحمد (١٧٢٨٠) وابن جرير وابن أبي حاتم. وقال إسماعيل بن رافع: مِن الأمن من مكر الله: إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة؛ رواه ابن أبي حاتم.

«صحيح الجامع» (٥٦١)

قال: وقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر].

نبه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الآية على الجمع بين الرجاء والخوف، فإذا خاف فلا ﴿يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ﴾ الله، بل يرجوها مع العمل الصالح ـ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة] فذكر سبحانه

أنهم يرجون رحمة اللهِ مع الاجتهاد في الأعمال الصالحة فأما الرجاء مع الإصرار على المعاصي، فذاك من غرور الشيطان - إذا تبين ذلك، **فقوله** تعالى: (﴿وَمَن يَقْنَطُ﴾) حكايةُ قولِ إبراهيم عليه السلام لمّا بَشّرتْه الملائكة بولده إسحاق عليه السلام، فـ ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الحجر] استبعاداً لوقوع هذا في العادة مع كبر السن منه ومن زوجته ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: الذي لا ريب فيه ولا مَثْنَوِيّةَ، بل هو أمر الذي ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس] وإن بَعُدَ مثله في العادة التي أجراها فإن ذلك عليه يسير، إذا أراده (﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾) أي لا تيأس من رحمة الله ﴿قَالَ﴾ إبراهيم عليه السلام: (﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾) فأجابهم بأنه ليس بقانط، ولكن يرجو من الله الولد، وإن كان قد كبر، وأَسَنَّتِ امرأته، فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك. **قال السُّدِّيّ:** (﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ﴾) قال: ﴿مَن﴾ ييأس ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ﴾؛ رواه ابن أبي حاتم. (﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾) قال بعضهم: إلا المخطئون طريق الصواب، أوِ: الكافرون، كقوله: ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف] وفي حديث مرفوع: «~~العاجز~~ [الفاجر] الراجي لرحمة الله: أقرب منها من العابد القانط» رواه الحكيم الترمذي والحاكم في «تاريخه». موضوع: «الجامع» (٤٠٢٢)

قال: عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر قال: «الشرك بالله، واليأس ﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٧] والأمن من ﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٩٩]».

ش: هذا الحديث رواه البزار (١٠٦ز) وابن أبي حاتِم من طريق شَبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان متكئاً، فدخل عليه رجل، فقال: ما الكبائر؟ فقال: «الشرك بالله...» وذكر الحديث. ورجاله ثقات إلا شبيب بن بشر فقال ابن

معين: ثقة، ولَيّنه ابن أبي حاتِم. ومثل هذا يكون حسناً. **وقال ابن كثير**: في إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً.

قوله: («الشرك بالله») هو أكبر الكبائر، إذْ مضمونه تنقيص رب العالمين ـ وإلـهـم ومالكهم وخالقهم الذي لا إلـه إلا هو ـ، وعَدْلُ غيرِه به، كما قال: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام] فهو أظلم الظلم، وأقبح القبيح، ولهذا ﴿لَا يَغْفِرُ﴾ [النساء:٤٨،١١٦] إن لم يتب منه، بخلاف غيره من الذنوب، ففي مشيئة الله إن شاء غفرها، وإن شاء عذب بها.

قوله: («واليأس من روح الله») أي: قطع الرجاء والأمل من الله فيما يرومه ويقصده، قال تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف:٨٧] وذلك إساءة ظن بكرم الله ورحمته وَ جُوده ومغفرته.

قوله: («والأمن من مكر الله») أي: استدراجه للعبد أو سلبه ما أعطاه من الإيمان ـ نعوذ بالله من غضبه ـ وذلك جهل بالله وبقدرته، وثقة بالنفس وعجب بها. **واعلم** أن هذا الحديث لم يُرَدْ فيه حصر الكبائر فيما ذكر، بل الكبائر كثيرة، لكن ذكر ما هو أكبرها، أو من أكبرها، ولهذا قال ابن عباس: (هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع) رواه ابن جرير، وابن أبي حاتِم. وفي رواية: هي إلى سبعمئة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرةً مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار.

قال: وعن ابن مسعود قال: (أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من ﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ والقنوط من رحمة الله، واليأس ﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾). رواه عبد الرزاق (١٩٧٠١).

ش: هذا الأثر رواه ابن جرير بأسانيدَ صِحاحٍ عن ابن مسعود، **قال ابن كثير**: وهو صحيح إليه بلا شك، ورواه الطبرانيّ (٨٧٨٣) أيضاً.

قوله: (أكبر الكبائر: الإشراك بالله) أي: في ربوبيته أو عبادته، وهذا بالإجماع.

قوله: (والقنوط من رحمة الله) **قال أبو السعادات**: هو أشد اليأس من الشيء. **قلت**: فعلى هذا يكون الفرق بينه وبين اليأس كالفرق بين الاستغاثة والدعاء، فيكون القنوط من اليأس، وظاهر القرآن أن اليأس أشد لأنه: حَكَم لأهله بالكفر، ولأهل القنوط بالضلال.

وفيه: التنبيه على الجمع بين الرجاء والخوف، فإذا خاف فلا يقنط ولا ييأس، وكان السلف يستحبّون أن يُقوّىٰ في الصحة الخوف، وفي المرض الرجاء، هذه طريقة أبي سُلَيمان وغيره، قال: وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف. فإذا كان الغالبُ عليه الرجاءَ فَسَدَ[1]. فنسأل الله تعالى أن يرزقنا خشيته في الغيب والشهادة ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت. الأحقاف:٣٣].

٢٩ - باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله

لمّا كان ببديع حكمته، ولطيف رحمته، قضى أن يبتليَ النوعَ الإنسانيَّ بالأوامر والنواهي والمصائب التي قدرها عليهم، أمرهم بالصبر على ذلك، وافترضه عليهم تسلية لهم وتَقْوية على ذلك، ووعدهم عليه الثواب ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ كما قال: ﴿يُوَفَّى الصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر]. فعلى هذا يكون الصبر ثلاثة أنواع: صبر على المأمور، وصبر عن المحظور، وصبر على المقدور، ويشملها قوله تعالى: ﴿﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد] وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [النحل. العنكبوت:٥٩]. ولمّا كان الصبر لا

(١) قال تعالى: ﴿﴿٩﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ الَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِۦ...﴾ الآية [الزمر] قدم الحذر على الرجاء.

يحصل إلا بالله ـ كما قال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل] ـ أرشد تبارك وتعالى إلى الجمع بينهما. وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور] قال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً. وقال النبي ﷺ: «والصبر ضياء» رواه أحمد (٢٢٩٠٣) ومسلم (٢٢٣). وقال ﷺ: «ما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر» رواه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣). وفي حديث آخَرَ: «الصبر نصف الإيمان» رواه أبو نعيم (٥/٣٤) والبيهقي في «الشعب». «ضعيف الجامع» (٣٥٣٦) وقال عمر: (وجدنا خير عيشنا بالصبر) رواه البخاري [مُعلّقاً قبل (٦٤٧٠)]. وقال علي بن أبي طالب: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قطع الرأس بَأْنَ الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له. والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة.

واشتقاقه مِن (صَبَر): إذا حبس ومنع، فالصبر حَبْس: النفسِ عن الجزع، واللسانِ عن التشكي والسخط، والجوارحِ عن لطم الخدود، وشق الجيوب ونحوِهما؛ **ذكره ابن القيم**.

قال: وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

ش: أول الآيــة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾. أخبر تعالى أن ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ في الأرض ولا في الأنفس ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بقدره وأمره، كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد] **قال ابن عباس** ـ في قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ـ: إلا بأمر الله، يعني من قدره ومشيئته ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ أي: ﴿وَمَن﴾ أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله = جازاه الله تعالى بهداية قلبه التي هي أصل كل سعادةٍ وخيرٍ في الدنيا والآخرة. وقد يُخْلِف

عليه أيضاً في الدنيا ما أخذه منه أو خيراً منه كما قال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة]. **قال ابن عباس:** ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ اليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. وفي الحديث الصحيح: «عجباً للمؤمن! لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له، إنْ أصابتْه ضراء فصبر كان خيراً له، وإن أصابته سراء فشكر كان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن» [م (٢٩٩٩)].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ تنبيه على أن ذلك صادر عن علمه المتضمن لحكمته، وذلك يوجب الصبر والرضا.

قوله: قال عَلْقَمةُ: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

ش: هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتِم عن علقمةَ. وهو صحيح. و(**علقمة**) هو ابن قيس بن عبد اللّه النَّخَعيّ الكوفي، ولد في حياة النبي ﷺ، وسمع من أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ وسعدٍ وابن مسعودٍ وعائشةَ وغيرِهم، وهو من كبار التابعين وأجِلّائهم وعلمائهم وثِقاتِهم. مات بعد الستين.

قوله: (**هو الرجل تصيبه المصيبة...**) إلى آخره. هذا تفسير للإيمان المذكور في الآية لكنه تفسير باللازم، وهو صحيح، لأن هذا: اللازمُ للإيمان الراسخ في القلب. وقريب منه تفسير سعيد بن جُبير: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يعني: يسترجع؛ يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة].

وفي الآية: أن الصبر سبب لهداية القلب. **وأن:** مِن ثوابِ الحسنةِ الحسنةَ بعدها. **وأن:** الأعمال من الإيمان. **وفيها:** إثبات القدر.

قال: وفي «صحيح مسلم» (٦٧) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت».

ش: **قوله**: («هما») أيِ: الاثنتان.

قوله: («بهم كفر») أي: «هما» بالناس، أي: فيهم («كفر»).

قال شيخ الإسلام: أي: هاتان الخصلتان «هما... كفر» قائم في الناس. فنفس الخصلتين «كفر» حيث كانتا في أعمال الكفار، و«هما» قائمتان بالناس، لكن ليس مَن قام به شعبةٌ مِن شعب الكفر يصير كافراً الكفرَ المطلق، حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً حتى يقوم به أصل الإيمان، وفَرْقٌ بين الكفر المعرَّف باللام ـ كما في قوله: «ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة»[1] ـ وبين كفر منكَّر في الإثبات.

قوله: («الطعن في النسب») أي: عَيْبه، ويدخل فيه أن يقال: (هذا ليس ابن فلان) مع ثبوت نسبه في ظاهر الشرع؛ ذكره بعضهم.

قوله: («والنياحة على الميت») أي: رفع الصوت بالندب بتعديد شمائله؛ لِما في ذلك من التسخّط على القدر والجزع المُنافي للصبر، وذلك كقول النائحة : وَاعَضُداه، وَانَاصِراه، واكَاسِياه، ونحو ذلك. **وفيه**: دليل على أن الصبر واجب، لأن النياحةَ مُنافيةٌ له، فإذا حُرمتْ دل على وجوبه. **وفيه**: أن مِن الكفر ما لا يَنْقل عَنِ المِلّة.

قال: ولهما [خ (١٢٩٤)، م (١٠٣)] عنِ ابن مسعود مرفوعاً: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعى بدعوى الجاهلية».

ش: **قوله**: («ليس منا») هذا من نصوص الوعيد. وقد جاء عن سفيانَ الثَّوريِّ وأحمدَ كراهةُ تأويلها ليكون أَوْقَعَ في النفوس، وأَبْلَغَ

---

(١) هـ (١٠٨٠) عن أنس بلفظه. وبنحوه عند م (٨٢) عن جابر.

في الزجر. وقيل أي: «ليس» من أهل سُنّتنا وطريقتنا، لأن الفاعل لذلك ارتكب محرّماً، وترك واجباً. وليس المرادُ إخراجه من الإسلام، بل المراد المبالغة في الردع عن الوقوع في ذلك، كما يقول الرجل لولده عند معاقبته: لست مني ولست منك، فالمراد أن فاعل ذلك «ليس» من المؤمنين الذين قاموا بواجبات الإيمان.

قوله: («من ضرب الخدود») **قال الحافظ**: خص الخد بذلك لكونه الغالب، وإلا فضَرْب بقية الوجه مثله. **قلت**: بل ولو ضرب غير الوجه كالصدر فكما لو ضرب الخد، فيدخل في معنى ضرب الخد، إذِ الكل جزع منافٍ للصبر، فيحرم.

قوله: («وشق الجيوب») جمع جيب وهو الذي يدخل فيه الرأس من الثوب، وكانوا يشقونه حزناً على الميت. **قال الحافظ**: والمراد إكمال فَتْحه إلى آخره. **قلت**: الظاهر أن فتح بعضه كفتحه كله.

قوله: («ودعى بدعوى الجاهلية») **قال شيخ الإسلام**: هو ندب الميت. **وقال غيره**: هو الدعاء بالويل والثبور. **وقال الحافظ**: أي: مِن: النياحة، . . .، ونحوِها، وكذا الندب به كقولهم: واجبلاه، وكذا الدعاء بالويل والثبور. **وقال ابن القيم**: الدعاء «**بدعوى الجاهلية**»، كالدعاء إلى القبائل والعصبية للإنسان، ومثله التعصب للمذاهب والطوائف، والمشايخ وتفضيل بعضٍ على بعضٍ في الهوى والعصبية، وكونه منتسباً إليه يدعو إلى ذلك، ويُوالي عليه، ويُعادي ويَزِنُ الناسَ به، فكل هذا مِن دعوى الجاهلية.

قلت: الصحيح أن دعوى الجَاهلية يَعُمُّ ذلك كلَّه، وقد جاء لعن
صحيح مَن فعل ما في هذا الحديث: عن ابن ماجه (١٥٨٥) وصححه ابن حِبّان (٣١٥٦) عن أبي أُمامة أن رسول الله ﷺ: لعن الخامشة وجهَها، والشّاقّةَ جيبَها، والداعيةَ بالويل والثُّبُور. وهذا يدل على أن هذه الأمور من الكبائر، لأنها مشتملة على: التسخطِ على الرب، وعدمِ

الصبر الواجب، والإضرارِ بالنفس ـ من: لطمِ الوجه، وإتلافِ المال؛ بشق الثياب وتمزيقها ـ، وذكرِ الميت بما لَيس فيه، والدعاءِ بالويل والثبور، والتظلمِ من الله تعالى. وبدون هذا يثبت التحريم الشديد، فأما الكلمات اليَسيرة ـ إذا كانت صدقاً لا على وجه النوح والتسخط ـ فلا تحرم. ولا تُنافي الصبر الواجب. نص عليه أحمد لما رواه في «مسنده» (٢٤٠٢٢) عن أنس [عائشة] أن أبا بكر ﷺ دخل على النبي ﷺ بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه، ووضع يديه على صُدْغَيْه وقال: وَانَبِيّاهْ، وَاخَلِيلاهْ، وَاصَفِيّاهْ[1]. وكذلك صح عن فاطمة ﷺ أنها ندبت أباها ﷺ فقالت: (يا أَبَتَاهْ! أجاب رَبّاً دَعَاهُ. . .) الحديث [خ(٤٤٦٢)].

واْعلم أن الحديث المشروح لا يدل على النهي عن البكاء أصلاً، وإنما يدل على النهي عما ذكر فيه فقط. وكذلك يدل على النهي عما في معناه كالبكاء بِرَنّةٍ، وحلق الشعر، وخمش الوجوه، ونحو ذلك. أما البكاء على وجه الرحمة والرِّقّة ونحو ذلك فيجوز، بل **قال شيخ الإسلام:** البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب، ولا يُنافي الرضا بقضاء الله، بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه.

قلت: ويدل لذلك قوله ﷺ لـمّا مات ابنه إبراهيم: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا بك يا إبراهيم لَمَحْزونون» وهو في «الصحيح» [خ(١٣٠٣)، م(٢٣١٥)]. وفي «الصحيحين» [خ(١٢٨٤)، م(٩٢٣)] عن أسامةَ بن زيد أن رسول الله ﷺ انطلق إلى أحد بناته ولها صبي في الموت، فرُفع إليه الصبيُّ ونفسه تَقَعْقَعُ كأنها شَنٌّ، ففاضت عيناه، فقال سعد: ما هذا يا رسول الله! قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

(١) وروى البخاري (٤٤٥٢) تقبيل أبي بكر للنبي بعد وفاته. وبين عينيه في «صحيح النسائي» (١٧٣٥).

حسن صحيح قال: وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «وإذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافِيَ به يومَ القيامة».

ش: هذا الأثر رواه الترمذي (٢٥٢٠)، والحاكم (٣٤٩/١ و٣٧٦/٤)، وحسنه الترمذي. وفي إسناده سَعْد بن سنان. **قال الذهبي** في موضعٍ: سعد ليس حجة. وفي آخَرَ: كأنه غير صحيح. وأخرجه الطبرانيّ، والحاكم (٣٤٩/١) عن عبد اللَّه بن مُغَفَّلٍ، وأخرجه ابن عدي (١١٩٢/٣) عن أبي هريرة، والطبراني عن عمار بن ياسر. وحسنه السيوطي.

قوله: (**«إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا»**)

قال شارح «الجامع الصغير»: أي: بِصَبِّ البلاءِ والمصائب عليه جزاءً لِمَا فَرَطَ من الذنوب منه، فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافي به يوم القيامة، كما يُعلم مِن مقابلهِ الآتي، ومَن فُعل ذلك به فقد أعظم اللطف به، لأن من حوسب بعمله عاجلاً في الدنيا خف جزاؤه عليه حتى يُكفّر بالشوكة يشاكها، حتى بالقلم يسقط مِن الكاتب، فيكفر عن المؤمن بكل ما يلحقه في دنياه حتى يموت على طهارة من دنسه.

قلت: وفي «الصحيح»: «لا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة» (=٤٤٩) وفي «المسند» [(٧٨٤٢)، ت (٢٥٢٣)] وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله وفي ولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة». حسن صحيح

قال شيخ الإسلام: المصائب نعمة، لأنها مكفرات للذنوب، ولأنها تدعو إلى الصبر، فيثاب عليها، ولأنها تقتضي الإنابة إلى الله والذلّ له، والإعراض عن الخلق، إلى غير ذلك من المصالح العظيمة. فنفس البلاء يكفر الله به الخطايا، ومعلوم أن هذا من أعظم النعم، ولو كان رجل من أفجر الناس فإنه لا بد أن يخفف الله عنه عذابه بمصائبه. فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق إلا أنْ يدخل صاحبها بسببها في معاصي أعظم مما كان قبل ذلك، فتكون

شرّاً عليه من جهة ما أصابه في دينه، فإن من الناس من إذا ابتلي بفقر أو مرض أو جوع حصل له من: الجزع والسخط والنفاق ومرض القلب، أو الكفر الظاهر، أو ترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات = ما يوجب له ضرراً في دينه بحسب ذلك. فهذا كانتِ العافية خيراً له من جهة ما أورثته المصيبة، لا من جهة المصيبة، كما أن من أوجبت له المصيبة صبراً وطاعة كانت في حقه نعمة دينية، فهي بعينها فعل الرب ﷻ رحمة للخلق، والله تبارك وتعالى محمود عليها، فإنِ اقترن بها طاعة كان ذلك نعمة ثانية على صاحبها، وإن اقترن بها للمؤمن معصية، فهذا مما تتنوع فيه أحوال الناس كما تتنوع أحوالهم في العافية، فمَنِ ابتلي فرزق الصبر كان الصبر عليه نعمة في دينه، وحصل له بعد ما كفّر من خطاياه رحمة، وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه حيث قال: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ۝١٥٧﴾ [البقرة] فحصل له غفران السيئات، ورفع الدرجات وهذا من أعظم النعم. فالصبر واجب على كل مصاب؛ فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك. انتهى ملخصاً.

قوله: («وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه») أي: أخّر عنه العقوبة بذنبه.

قوله: («حتى يُوافِيَ به يوم القيامة») هو بضم الياء وكسر الفاء منصوباً بـ «حتى» مبنياً للفاعل. **قال العَزِيزيُّ**: أي: لا يجازيه بذنبه في الدنيا حتى يجيء في الآخرة مستوفيَ الذنوب وَافِيَها فيستوفي ما يستحقه من العقاب.

قلت: وهذا مما يزهد العبد في الصحة الدائمة خوفاً أن تكون طيباته عجلت له في الحياة الدنيا، والله تعالى لم يَرْضَ الدنيا لعقوبة أعدائه، كما لم يرضها لإثابة أوليائه بل جعل ثوابهم أنْ أسكنهم في جواره ورضي عنهم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾ [القمر] لهذا لمّا ذَكَر النبيُّ ﷺ

ضعيف الأسقامَ قال رجل: يا رسول الله! وما الأسقام؟ والله ما مرضت قط. قال: «قم عنّا فلست منا» رواه أبو داود (٣٠٨٩). **وهذه الجملة** هي آخر الحديث، **فأما قوله: (وقال النبي ﷺ: «إن عِظَم الجزاء...») إلى** آخره؛ فهو أول حديث آخر لكن لمّا رواهما الترمذي بإسناد واحد عن صحابي واحد جعلهما المصنف كالحديث الواحد.

وفيه من الفوائد: أن البلاء للمؤمن من علامات الخير، خلافاً لِما يظنه كثير من الناس، **وفيه**: الخوف من الصحة الدائمة أن تكون علامة شر، **وفيه**: تنبيه على رجاء الله وحسن الظن به فيما يقضيه لك مما تكره، **وفيه**: معنى قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ الآية [البقرة:٢١٦].

حسن **قال المصنف**: وقال النبي ﷺ: «إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» حسنه الترمذي.

ش: هذا الحديث رواه الترمذي (١/٢٥٢٠) ولفظه: حدثنا قتيبة، ثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سَعْد بن سنان، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير...» الحديثَ الذي قبل هذا، ثم قال: وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «إن عظم الجزاء...» الحديثَ، ثم قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. ورواه ابن ماجه (٤٠٣١) وصححه السيوطي. وروى الإمام أحمد (٢٣٦١٦) عن محمود بن لبيد مرفوعاً: «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع» **قال المنذري**: رواته ثقات.

قوله: (**«إن عِظَم الجزاء مع عظم البلاء»**) بكسر المهملة وفتح الظاء فيهما، ويجوز ضمها مع سكون الظاء، أي: من كان ابتلاؤه أعظم فجزاؤه أعظم، فعظمة الأجر وكثرة الثواب مع عظم البلاء كيفيةً وكميةً ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا ٢٦﴾ [النبا].

قلت: ولمّا كان الأنبياء ﷺ أعظم الناس جزاءً كانوا أشد الناس بلاء، كما في حديث سَعْدٍ: سئل النبي ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياءُ ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإنْ كان في دينه صُلْباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رِقّة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» رواه الدارمي (٢/٣٢٠)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، والترمذي (٢٥٢٢) وصححه. حسن صحيح

وقد يَحتج بقوله: (**«إن عظم الجزاء مع عظم البلاء»**) من يقول: إن المصائب والأسقام يثاب عليها غير تكفير الخطايا، ورجح **ابن القيم** وغيره أن ثوابها تكفير الخطايا فقط إلا إن كانت سبباً لعمل صالح كالتوبة والاستغفار والصبر والرضا، فإنه حينئذٍ يثاب على ما تولد منها كما في حديث: «إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم يبلغها» ـ أو قال: «لم ينلها بعمله ـ ابتلاه الله في جسده، أو في ولده، أو في ماله، ثم صبره حتى يبلّغه المنزلة التي سبقت له من الله ﷻ» رواه أبو داود (٣٠٩٠) في رواية ابن داسَة والبخاري في «تاريخه» وأبو يعلى في «مسنده» (٩٢٣) وحسنه بعضهم. وعلى هذا فيجاب عن الأول: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء**» أي: إذا صبر واحتسب. صحيح

قوله: (**«وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم»**) صريح في حصول الابتلاء لمن أحبه الله. ولمّا كان الأنبياء ﷺ أفضل الأحباب كانوا أشد الناس بلاء، وأصابهم من البلاء في الله ما لم يُصِبْ أحداً لِينالوا بذلك الثوابَ العظيم والرضوان الأكبر، ولِيأتسيَ بهم مَن بعدهم، ويعلموا أنهم بَشَرٌ تصيبهمُ المحن والبلايا فلا يعبدونهم. **فإن قلت**: كيف يبتلي الله أحبابه؟! = **قيل**: لمّا كان أحد لا يخلو مِن ذنب كان الابتلاء تطهيراً لهم كما صحتْ بذلك الأحاديث. وفي أثرٍ إلٰهيٍّ: (أبْتَليهم بالمصائب لأطهِّرَهم من المعايب). ولأنه زيادة في درجاتهم لِما يحصل مع المصيبة للمؤمن من الأعمال الصالحة كما تقدم في

حديث: «إذا سبقت للعبد من الله منزلة...» الحديث، ولأن ذلك يدعو إلى التوبة فإن الله تعالى يبتلي العباد بعذاب الدنيا ليتوبوا من الذنوب كما قال تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم] فمن رزقه الله التوبة بسبب المصيبة كان ذلك من أعظم نعم الله عليه، ولأن ذلك يحصل به دعاء الله والتضرع إليه؛ ولهذا ذم الله من لا يستكين لربه، ولا يتضرع عند حصول البأساء كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون] ودعاء الله والتضرع إليه من أعظم النعم، فهذه النعمة والتي قبلها من أعظم صلاح الدين، فإن صلاح الدين في أن يعبد الله وحده ويتوكل عليه، ألاّ تدعو ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الشعراء:٢١٣، القصص:٨٨] لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة. فإذا حصلت لك التوبة التي مضمونها أن تعبد الله وحده، وتطيع رسله بفعل المأمور وترك المحظور، كنت ممن يعبد الله، وإذا حصل لك الدعاء الذي هو سؤال الله حاجاتك ـ فتسأله ما تنتفع به، وتستعيذ به مما تستضرّ به ـ كان هذا من أعظم نعم الله عليك، وهذا كثيراً ما يحصل بالمصائب. وإذا كانت هذه النعم في المصائب، فأولى الناس بها أحبابه، فعليهم حينئذٍ أن يشكروا الله. لَخَّصْتُ ذلك **من كلام شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: («فمن رضي فله الرضا») أي: من رضي بما قضاه الله وقدره عليه من الابتلاء فله الرضا من الله ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ] كما قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة:٨] وهذا دليل على فضيلة الرضا، وهو ألّا يعترض على الحكم ولا يتسخطه ولا يكرهه، وقد وصى النبي ﷺ رجلاً فقال: «لا تَتَّهِم الله في شيء قضاه لك» [ضعيف] [حم (٢٢٧١٢)] فإذا نظر المؤمن بالقضاء والقَدر في حكمة الله ورحمته، وأنه غير متهم في قضائه، دعاه ذلك إلى الرضا، **قال ابن مسعود**: إن الله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط. **وقال ابن عون**: إرْضَ بقضاء الله مِن عسرٍ

ويسرٍ، فإن ذلك أقل لهمّك، وأبلغ فيما تطلب من أمر آخرتك، واعلم أن العبد لن يصيب حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر والبلاء كرضاه عند الغنىٰ والرخاء. كيف تستقضي الله في أمرك، ثم تسخط إنْ رأيت قضاءه مخالفاً لهواك؟! ولعل ماهويت من ذلك لو وفق لك لكان فيه هلاكك، وترضى قضاءه إذا وافق هواك، وذلك لقلة علمك بالغيب، إذا كنت كذلك ما أنصفت من نفسك، ولا أصبت باب الرضا. **ذكره ابن رجب**؛ قال: وهذا كلام حسن.

قوله: («ومن سَخِط») هو بكسر الخاء. **قال أبو السعادات**: السخط: الكراهية للشيء وعدم الرضا به، أي: «من سخط» أقدار الله «**فله السخط**» أي: من الله، وكفى بذلك عقوبة. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٢٨﴾ [محمد]. **وفيه**: دليل أن السخط من أكبر الكبائر وقد يستدل به على إيجاب الرضا كما هو اختيار ابن عَقيل. واختار القاضي عدم الوجوب، ورجحه شيخ الإسلام، وابن القيم. **قال شيخ الإسلام**: ولم يجئ الأمر به كما جاء الأمر بالصبر، وإنما جاء الثناء على أصحابه ومدحهم. قال: وأما ما جاء من الأثر: (من لم يصبر على بلائي، ولم يَرْضَ بقضائي فليتخذ ربّاً سِوايَ) فهذا إسرائيلي ليس يصح عن النبي ﷺ. **قلت**: قد روى الطبراني في «الأوسط» معناه عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: «من لم يرض بقضاء الله ويؤمن بقدر الله، فليلتمس إلٰهاً غير الله» **قال الهيثمي**: فيه حَزْمُ بن أبي حزم؛ ـ وثقه ابن مَعين، وضعفه جَمْعٌ ـ وبقية رجاله ثقات. فإنْ ثبت هذا دل على وجوبه. **قال شيخ الإسلام**: وأعلى من ذلك ـ أي: من الرضا ـ أن يشكر الله على المصيبة لِما يرى من إنعام الله تعالى عليه بها. **انتهى**. واعلم أنه لا تنافيَ بين الرضا وبين الإحساس بالألم، فكثير ممن له أنين ـ مِن وجعٍ وشدةِ مرضٍ ـ قلبه مشحون من الرضا والتسليم لأمر الله.

«ضعيف الجامع» (٥٨٤٢)

فإن قيل: ما الفرق بين الرضا والصبر؟

فالجواب: قال طائفة من السلف ـ منهم عمر بن عبد العزيز، والفضيل، وأبو سليمان، وابن المبارك، وغيرهم ـ: إن الراضيَ لا يتمنى غير حاله التي هو عليها، بخلاف الصابر. وقال الخَوّاصُ: الصبر دون الرضا، الرضا أن يكون الرجل قبل نزول المصيبة راضٍ بأي ذاك كان، والصبر أن يكون بعد نزول المصيبة يصبر. **قلت**: كلام الخَوّاصِ هذا عَزْمٌ على الرضا ليس هو الرضا، فإنه إنما يكون بعد القضاء كما في الحديث: «وأسألك الرضا بعد القضا» [ن (١٢٣٧)] لأن العبد قد يعزم على الرضا بالقضاء قبل وقوعه فإذا وقع انفسخت تلك العزيمة، فمَنْ رضي بعد وقوع القضاء فهو الراضي حقيقة. **قاله ابن رجب**. صحيح

٣٠ ـ باب ما جاء في الرياء

أي: من الوعيد. ولمّا كان خلوص العمل من الشرك والرياء شرطاً في قبوله لمنافاة الشرك والرياء للتوحيد، نبه المصنف على ذلك تحقيقاً للتوحيد. والرياء مصدر راءى يرائي مراءاة ورياء؛ وهو أن يري الناس أنه يعمل عملاً على صفةٍ وهو يضمر في قلبه صفة أخرى، فلا اعتداد ولا ثواب إلا بما خلصت فيه النية لله تعالى. **ذكره القاضي أبو بكر** بمعناه. **وقال الحافظ**: هو مشتق من الرؤية، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمد صاحبها. **انتهى**. والفرق بينه وبين السمعة أن الرياء هو العمل لرؤية الناس، والسمعة العمل لأجل سماعهم، فالرياء يتعلق بحاسة البصر، والسمعة بحاسة السمع، ويدخل فيه أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس.

قال: وقول الله تعالى: ﴿(١١٠) قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الآية [الكهف].

يقول تعالى لنبيه ﷺ: (﴿قُلْ﴾) يا محمد للناس: (﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾) أي: في البشرية ولكن الله مَنّ عليَّ وفضلني بالرسالة، وليس لي من الربوبية ولا من الإلـٰهـية شيء، بل ذلك لله وحده لا شريك له

كما قال: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾) أي: معبودكم الذي أدعوكم إلى عبادته ﴿إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ لا شريك له (﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾) أي: من كان يخاف لقاء الله يوم القيامة. **قال شيخ الإسلام:** أما اللقاء، فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والسير، وقالوا: إن لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى. وأطال في ذلك واحتج له. **وقال سعيد بن جبير:** ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ قال: (من كان يخشى البعث في الآخرة) رواه ابن أبي حاتم. (﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠﴾) أي: كائناً ما كان. **قال ابن القيم:** أي: كما أنه إلٰه واحد لا إلٰه سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له، فكما تفرد بالإلٰهية يجب أن يفرد بالعبودية، فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء، المقيد بالسنة. **انتهى.** وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون صواباً خالصاً، فالصواب أن يكون على السُّنّة ـ وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ ـ والخالص أن يخلص من الشرك الجليّ والخفيّ ـ وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ ـ. روى عبد الرزاق [مرسل] وابن أبي الدنيا في كتاب «الإخلاص» وابن أبي حاتِم والحاكم (٤/٣٢٩) عن طاوس قال: قال رجل: يا نبي الله! إني أقفُ المواقف أبتغي وجه الله وأحب أن يُرى موطني. فلم يَرُدّ عليه شيئاً حتى نزلت هذه الآية ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠﴾ رواه الحاكم (٢/١١١) وصححه موصولاً عن طاوس عن ابن عباس.

وفي الآية: دليل على الشهادتين. **وأن:** الله تعالى فرض على نبينا ﷺ أن يخبرنا بتوحيد الإلٰهية. وإلا فتوحيد الربوبية لم ينكره الكفار الذين كذبوه وقاتلوه. **ذكره المصنف. وفيها:** تسمية الرياء شركاً. **وفيها:** أن من شروط الإيمان بالله واليوم الآخر أن ﴿لَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ ففيه التصريح بأن الشرك الواقع من المشركين إنما هو في العبادة لا في الربوبية. **وفيها:** الرد على من قال: أولئك يتشفعون

بالأصنام ونحن نتشفع بصالح؛ لأنه قال: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ فليس بعد هذا بيان؛ افتتح الآية بذكر براءة النبي ﷺ الذي هو أقرب الخلق إلى الله وسيلة، أي: براءته من الإلٰهية، وختمها بقوله: ﴿أَحَدًۢا﴾. واعلم رحمك الله أن هذه الآية لا ينتفع بها إلا من مَيّز بين توحيد الربوبية وبين توحيد الإلٰهية تمييزاً تاماً وعرف ما عليه غالب الناس: إما طواغيت ينازعون الله في توحيد الربوبية الذي لم يَصِلْ إليه شرك المشركين، وإمّا مصدق لهم تابع لهم، وإما شاكٌّ لا يدري ما أنزل الله على رسوله ولا يميز بين دين الرسول ﷺ وبين دين النصارى. ذكره المصنف. **وفيها**: أن أصل دين النبي ﷺ الذي بعث به هو الإخلاص كما في هذه الآية، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [هود] وذلك هو دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء] وذلك هو الحنيفية الإبراهيمية، جعلنا الله من أهلها بمنّه وكرمه.

قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «قال الله تعالى: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تَرَكْتُه وشركه» رواه مسلم (٢٩٨٥).

ش: **قوله**: («أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك») لمّا كان المرائي قاصداً بعمله الله تعالى وغيره كان قد جعل الله تعالى شريكاً، فإذا كان كذلك، فالله تعالى هو الغنيّ على الإطلاق، والشركاء بل جميع الخلق فقراء إليه بكل اعتبار؛ فلا يليق بكرمه وغِناه التامّ أن يقبل العمل الذي جعل له فيه شريك، فإن كماله تبارك وتعالى وكرمه وغناه يوجب ألّا يقبل ذلك. ولا يلزم من اسم التفضيل إثبات غِنىً للشركاء، فقد تقع المفاضلة بين الشيئين وإنْ كان أحدهما لا فضل فيه، كقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل] وقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان].

قوله: («من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري») أي: من قصد بذلك العمل ـ الذي يعمل لوجهي ـ غيري من المخلوقين (**«تركته وشركه»**) وفي روايةٍ عند ابن ماجه (٤٢٠٢) وغيره: «فأنا منه بريء وهو للذي أشرك». صحيح **قال الطِّيبي**: الضمير المنصوب في **«تركته»** يجوز أن يرجع إلى العمل، والمراد من الشركِ الشريكُ.

قال ابن رجب: واعلم أن العمل لغير الله أقسام: **فتارةً**: يكون رياء محضاً، فلا يراد به سوى مراءاة المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء:١٤٢] وكذلك وصف الله الكفار بالرياء في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال] وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة، أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة. **وتارة**: يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله، فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه، ثم ذكر أحاديث تدل على ذلك، منها الحديث الذي ذكره المصنف، وحديث شداد بن أوس مرفوعاً: «من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك، وإن الله ﷻ يقول: أنا خير قسيم لمن أشرك بي، فمن أشرك بي شيئاً فإن حَشْدَهُ[1] عَمَلَهُ قليلَه وكثيرَه لشريكه الذي أشرك به، أنا عنه غنيّ» رواه أحمد (١٧١١٠). «ضعيف الجامع» (١٧٤٩) وحديث الضحاك بن قيس مرفوعاً: «إن الله ﷻ يقول: (أنا خير شريك، فمَن أشرك معي شريكاً، فهو لشريكي) يا أيها الناس! أخلِصوا أعمالكم لله ﷻ، فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له. ولا

(١) في الطبعة الأولى: جدة.

تقولوا: (هذا لله والرحم) فإنها للرحم وليس لله منه شيء، ولا تقولوا: (هذا لله ولوجوهكم) فإنه لوجوهكم وليس لله منه شيء رواه البزار (٣٥٦٧) وابن مردويه والبيهقي [هب (٦٨٣٦)] بسندٍ قال **المنذري**: لا بأس به. وحديث أبي أُمامة الباهِلِيّ أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له» فأعادها عليه ثلاث مرات يقول له رسول الله ﷺ: «لا شيء له» ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه» رواه أبو داود (؟) والنسائي (٢٩٤٣) بإسناد جيد. ثم قال: فإن خالط نيةَ الجهاد مثلاً نية غير الرياء مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة، أو التجارة، نقص بذلك أجر جهادهم ولم يبطل بالكلية. وفي «صحيح مسلم» (١٩٠٦) عن عبد اللّٰه بن عَمْرٍو[1] عن النبي ﷺ: «إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثيْ أجرهم، فإن لم يغنموا شيئاً تم لهم أجرهم» **قلت**: هذا لا يدل على أنهم غَزَوْا لأجلها، فلا يدل على ثبوت الأجر لِمَنْ غزا يلتمس عَرَضاً. قال: وقد ذكرنا ـ فيما مضى ـ أحاديثَ تدل على أن من أراد بجهاده عرضاً من الدنيا أنه لا أجر له، وهي محمولة على أنه لم يكن له غرض في الجهاد إلا الدنيا. **قلت**: ظاهرُ حديثِ أبي هريرة ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا أجر له» فأعاد عليه ثلاثاً والنبي ﷺ يقول: «لا أجر له» رواه أبو داود (٢٥١٦) ـ يدل على أن نية الجهاد إذا خالطها نيةُ أجرةِ الخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة لم يكن له أجر، ويحتمل أن يكون معنى: (يريد الجهاد) أي: يريد سفر الجهاد ولم يَنْوِ الجهاد، إنما نوى عرض الدنيا. **قال ابن رجب**: وقال الإمام أحمد: التاجر والمستأجر والمكاري أجرهم على

حسن صحيح

حسن

(١) في الطبعة الأولى: عمر دون الواو وهو خطأ.

قدر ما يخلص من نيتهم في غَزَواتهم، ولا يكونون مثل من جاهد بنفسه، وماله لا يخلط به غيره. وقال أيضاً في من يأخذ جُعْلاً على الجهاد: إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس، كأنه خرج لدينه، فإن أعطي شيئاً أخذه. وكذا روي عن عبد اللّٰه بن عمرو قال: إذا أجمع أحدكم على الغزو، فعوّضه الله رزقاً فلا بأس بذلك وأما أن أحدكم إن أعطي درهماً غزا، وإن لم يعط درهماً لم يغز، فلا خير في ذلك.

قلت: هذا يدل على الفرق بين ما كانت نية الدنيا مخالطة له من أول مرة، بحيث تكون هي الباعث له على العمل، أو من جملة ما يبعث عليه، كالذي يلتمس الأجر والذكر، فهذا الأجر له. وبين ما كانت النية خالصة لله من أول مرة، ثم عرض له أمر من الدنيا لا يبالي به، سواء حصل له أو لم يحصل، كالذي أجمع على الغزو سواء أعطي أو لم يعط. فهذا لا يضره. ونحوه التجارة في الحج كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة] وعلى هذا يُنزَّل ما روي عن مجاهد أنه قال في حج الجَمّال وحج الأجير وحج التاجر: هو تامٌّ لا ينقص من أجورهم شيء، أي: لأن قصدهم الأصلي كان هو الحج دون التكسب. قال: وأما إن كان أصل العمل لله، ثم طرأ عليه نية الرياء، فإن كان خاطراً ودفعه، فلا يضره، بغير خلاف، وإن استرسل معه، فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك، ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف، حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يُجازى بنيته الأولى، وهو مروي عن الحسن البصري وغيره. ويستدل لهذا القول بما أخرجه أبو داود في «مراسيله» (٣٢١) عن عطاء الخراساني أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن بني سلمة كلهم يقاتل، فمنهم من يقاتل للدنيا، ومنهم من يقاتل نجدة، ومنهم من يقاتل ابتغاء وجه الله [فأيهم الشهيد؟] قال: «كلهم، إذا كان أَصْل أمره أن تكون كلمة الله هي العليا». وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو

في عمل مرتبط آخره بأوله، كالصلاة والصيام والحج، فأما ما لا ارتباط فيه، كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم، فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه، ويحتاج إلى تجديد نية. فأما إذا عمل العمل لله خالصاً، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك؛ لم يضره.

وفي هذا المعنى جاء في حديث أبي ذر عن النبي ﷺ أنه سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير، يحمده الناس عليه، فقال: «تلك عاجِلُ بشرىٰ المؤمن» رواه مسلم (٢٦٤٢) **انتهى** ملخصاً.

إذا تبين هذا؛ فقد دل الكتاب والسنة على حبوط العمل بالرياء، وجاء الوعيد بالعذاب عليه، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ والآية بعدها [هود]. وروى مسلم في «صحيحه» (١٩٠٥) حديثَ الثلاثة الذين هم أول مَن تُسَعَّر بهم النار، المقاتل ليقال: جريء، والمتعلم ليقال: عالم، والمتصدق ليقال: جواد. فأما ما رواه البزار وابن منده والبيهقي عن معاذ بن جبل مرفوعاً: «مَن عمل رياء: لا يكتب لا له، ولا عليه» ذكره السيوطي في «الدر» ولم أقف على إسناده = فما أظنه يثبت، والكتاب والسنة يدلان على خلافه، بل هو موضوع.

حسن قال: وعن أبي سعيد مرفوعاً: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى. قال: «الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيصلي فيزيِّن صلاته لِمَا يرى مِن نظر رجل» رواه أحمد.

ش: هذا الحديث رواه أحمد (١١٢٣٨) كما قال المصنف، ورواه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وابن أبي حاتِم، والبيهقي (هب (٦٨٣٢))، وفيه قصة، ولفظ ابن ماجه والبيهقي: خرج علينا رسول الله ﷺ ، ونحن نتذاكر المسيح الدجال، فقال: «ألا أخبركم...» الحديثَ. وفي سنده

ضَعْف[١]، ومعناه صحيح. وروى ابن خزيمة في «صحيحه» (٩٣٧) معناه عن محمود بن لبيد[٢] قال: خرج النبي ﷺ فقال: «يا أيها الناس! إياكم وشِرْكَ السرائر» قالوا: يا رسول الله! وما شرك السرائر؟ قال: «يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لِما يرى من نظر الرجل إليه، فذلك شرك السرائر». حسن: «الترغيب» (٢٨)

قوله: (**عن أبي سعيد**) هو الخُدْريّ، تقدمت ترجمته.

قوله: («**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح الدجال؟**») إنما كان الرياء كذلك، لِخَفائه وقوة الداعي إليه، وعُسْر التخلص منه لِما يزينه الشيطان والنفس الأمّارة في قلب صاحبه.

قوله: (**قالوا: بلى**) **فيه**: الحرص على العلم. **وأن**: من عرض عليك أن يخبرك بما فيك فلا ينبغي لك رده، بل قابله بالقبول والتعلم.

قوله: (**قال: «الشرك الخفي»**) سمي الرياء شركاً خفيّاً، لأن صاحبه يظهر أن عمله لله، ويخفي في قلبه أنه لغيره، وإنما تزين بإظهاره أنه لله بخلاف الشرك الجلي. وفي حديث محمود بن لبيد ـ الذي تقدم في (باب: الخوف من الشرك) (=٩٠) ـ تسميتُه بالشرك الأصغر. وعن شداد بن أوس قال: كنا نعدّ الرياء على عهد رسول الله ﷺ، الشرك الأصغر؛ رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخلاص» وابن جرير في «التهذيب» والطبراني (٧١٦٠) والحاكم (٣٢٩/٤) وصححه. فظاهره أنه من الأصغر مطلقاً، وهو ظاهر قول الجمهور. **وقال ابن القيم**: وأما الشرك الأصغر؛ فَكَيَسير الرياء والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ومالي إلا الله وأنت، «صحيح الترغيب» (٣٢)

(١) كلا فإن سنده حسن، وحسنه البوصيري في «الزوائد».

(٢) في الطبعة الأولى: (لبيدة) وهو خطأ.

وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركاً أكبر. بحسب حال قائله ومقصده. **انتهى.** ففسر الشرك الأصغر باليسير من الرياء، فدل على أن كثيره أكبر. وضد الشرك الأكبرِ والأصغرِ: التوحيدُ والإخلاص، **وهو:** إفراد الله تعالى بالعبادة باطناً وظاهراً كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝١١﴾ [الزمر] وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ۝١٤﴾ [الزمر] **وقيل:** الإخلاص استواء أحوال العبد في الظاهر والباطن، والرياء أن يكون ظاهره خيراً من باطنه، أي: لملاحظة الخلق، والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعمر من ظاهره.

قوله: («**فيصلي فيزيّن صلاته لِما يرى مِن نظرِ رجلٍ**») فَسَّرَ الشرك الخفيّ بهذا: أن يعمل الرجل العمل لله، لكن يزيد فيه صفة كتحسينه وتطويله ونحو ذلك «**لما يرى من نظر رجل**» فهذا هو الشرك الخفي، وهو الرياء، والحامل له على ذلك هو حب الرياسة، والجاه عند الناس. **قال الطِّيبي:** وهو من أضر غوائل النفس وبواطن مكايِدها، يبتلى به العلماء والعُبّاد والمُشمِّرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة، فإنهم مهما قهروا أنفسهم، وفطموها عن الشهوات، وصانوها عن الشبهات، عَجَزتْ نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة، الواقعة على الجوارح، فطلبتِ الاستراحة إلى التظاهر[١] بالخير، وإظهار العلم والعمل، فوجدت مَخْلَصاً مِن مشقّة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق، ولم تقنع[٢] باطّلاع الخالق تبارك وتعالى، وفرحتْ بحمد الناس، ولم تقنع بحمد الله وحده، فأحب[٣] مدحهم

(١) في الطبعة الأولى: (الظاهر)،
(٢) في الطبعة الأولى: (يقتنع).
(٣) في الطبعة الأولى: (فأجبت).

وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل، فأصابتِ النفس في ذلك أعظم اللذات، وأعظم الشهوات. وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعبادته، وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول الناقدة[1]، قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين، وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين. وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصِّدِّيقون، ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة. **انتهى** كلامه. **وفي الحديث** من الفوائد: شفقته ﷺ على أمته ونصحه لهم. **وأن** الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال. **والحذر** من الرياء ومن الشرك الأكبر، إذ كان ﷺ يخاف الرياء **على أصحابه** مع علمهم وفضلهم، فغيرهم أولى بالخوف.

٣١ - باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

قد ظن بعض الناس أن هذا الباب داخل في الرياء وأن هذا مجرد تكرير، فأخطأ، بل المراد بهذا: أن يعمل الإنسان عملاً صالحاً يريد به الدنيا كالذي يجاهد للقطيفة والخميلة ونحو ذلك، ولهذا سماه النبي ﷺ عبداً لذلك، بخلاف المرائي، فإنه إنما يعمل ليراه الناس ويعظموه، والذي يعمل لأجل الدراهم والقطيفة ونحو ذلك أعقل من المرائي، لأن ذلك عمل لدنيا يصيبها. والمرائي عمل لأجل المدح. والجلالة في أعين الناس، وكلاهما خاسر، نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه.

قال: وقوله تعالى: ﴿(١٥) مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا. . .﴾ الآيتين [هود].

قال ابن عباس: (﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾) أي: ثوابها (﴿وَزِينَتَهَا﴾) أي: مالها ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾ نوفر لهم ثواب ﴿أَعْمَـٰلَهُمْ﴾

(١) في الطبعة الأولى: (النافذة).

بالصحة والسرور في الأهل والمال والولد (﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾) لا ينقصون، ثم نسختها ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء]. رواه النَّحّاس في «ناسخه». وقوله: ثم نسختها، أي: قَيَّدَتْها أو خصصتها، فإن السلف كانوا يسمون التقييد والتخصيص نسخاً، وإلا فالآية محكمة. وقال الضحاك: من عمل صالحاً من أهل الإيمان من غير تقوى، عجل له ثواب عمله في الدنيا. واختاره **الفراء. قال ابن القيم:** وهذا القول أرجح. ومعنى الآية على هذا: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾. وقالت طائفة: هذه الآية في حق الكفار، بدليل قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾) أي: أنهم لم يعملوا إلا للحياة الدنيا وزينتها (﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾) قال بعض المفسرين: أي: وحبط في الآخرة ما صنعوه، أو صنيعهم يعني: لم يكن لهم ثواب، لأنهم لم يريدوا به الآخرة، إنما أرادوا به الدنيا، وقد وفى إليهم ما أرادوا (﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾) أي: كان عمله في نفسه باطلاً، لأنه لم يعمل لوجه صحيح، والعمل الباطل لا ثواب لهّ. **انتهى**.

فإن قيل: الآية على القول الأول تقتضي تخليد المؤمن ـ من المريد بعمله: الدنيا ـ في النار.

= **قيل:** إن الله سبحانه ذكر جزاء من يريد بعمله ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ وهو النار، وأخبر بحبوط عمله وبطلانه، فإذا أحبط ما ينجو به وبطل، لم يبق معه ما ينجيه. فإن كان معه إيمان لم يرد به ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بل أراد به الله والدار الآخرة، لم يدخل هذا الإيمان في العمل الذي حبط وبطل، ونجّاه هذا الإيمان من الخلود في النار، وإن دخلها بحبوط عمله الذي به النجاة المطلقة. فالإيمان إيمانان: إيمان: يمنع دخول النار، وهو الإيمان الباعث على أن تكون الأعمال لله وحده يبتغي بها وجهه وثوابه، وإيمان: يمنع الخلود في النار، فإن

كان مع المرائي شيء منه، وإلا كان من أهل الخلود، فالآية لها حكم نظائرها من آيات الوعيد. **ذكره ابن القيم**..

وقد سئل شيخ الإسلام **المصنف** عن معنى هذه الآية فأجاب بما ملخصه: ذُكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم، ولا يعرفون معناه:

فمن ذلك: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلاة وإحسان إلى الناس، وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان، أو يتركه خالصاً لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيَه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظه أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم، ولا همة له في طلب الجنة، والهرب من النار، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس ﴿لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن... نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى]. وهذا النوع ذكره ابن عباس.

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكر مجاهد في الآية أنها نزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالاً صالحة، ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً، مثل أن يحج لمالٍ يأخذه، لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذُكر أيضاً هذا النوع في تفسير هذه الآية. وكما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقع كثيراً، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم، لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا من أجل المدح والجلالة في أعين الناس، ولا يحصل لهم طائل، والنوع الأول أعقل من هؤلاء، لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يطلبوا منه الخير الكثير الدائم وهو الجنة، ولم يهربوا من الشر العظيم وهو النار.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يُكفِّره كفراً يخرجه عن الإسلام، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة، يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم. فهذا النوع أيضاً قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره. وكان السلف يخافون منها، قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت، لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة].

ثم قال: بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالباً ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدنيا ـ مثل أن يحج فَرْضَه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا، كما هو واقع ـ فهو لِما غلب عليه منهما. وقد قال بعضهم: القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخُلَّص، وأهل النار الخلص، ويسكت عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله. **انتهى** وقد أجاد وأفاد رحمه الله.

وفي الآية من الفوائد: **أن** الشرك محبط للأعمال. **وأن**: إرادة ﴿ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بالعمل كذلك. **وأن**: الله يجازي الكافر بحسناته، وكذلك طالب الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة. **الخامسة**: شدة الوعيد على ذلك. **السادسة**: الفرق بين الحبوط والبطلان.

قال: في «الصحيح» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعِسَ عبدُ الدينار، وتعس عبد الدرهم، وتعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يُعْطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شِيكَ فلا انْتَقَشَ، طوبى لعبدٍ آخذٍ بعِنان فرسه في سبيل الله،

أشعثَ رأسُه، مغبرةٍ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إنِ استأذن لم يؤذن له، وإن شَفَع لم يُشَفَّع».

قوله: (في «الصحيح») أي: «صحيح البخاري» (٢٨٨٧).

قوله: («تعس عبد الدينار») هو بكسر العين، ويجوز الفتح، أي: سقط. والمراد هنا: هلك، **قاله الحافظ**. وقال في موضع آخر: وهو ضد سعد، أي: شقي. وقيل: معنى التعس: الكبة على الوجه. **قال أبو السّعادات**: يقال: تعس يتعس، إذا عثر، وانكب لوجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك.

قوله: («تعس عبد الخميصة») **قال أبو السّعادات**: هو ثوب خَزٍّ أو صوف مُعْلَم. وقيل: لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء مُعْلَمة، وكانت من لباس الناس قديماً، وجمعها الخمائص. و**«الخميلة»**: بفتح الخاء المعجمة، **قال أبو السّعادات**: الخميل والخميلة: القطيفة، وهي ثوب له خَمْل من أي شيء كان، وقيل: الخميل الأسود من الثياب.

قوله: («تعس وانتكس») **قال الحافظ**: هو بالمهملة، أي: عاوده المرض. **وقال أبو السّعادات**: أي: انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة، لأن من انتكس في أمره فقد خاب وخسر. **وقال الطّيبي: وفيه**: الترقي بالدعاء عليه، لأنه إذا تعس انكب على وجهه، فإذا انتكس انقلب على رأسه بعد أن سقط.

قوله: («وإذا شِيكَ») أي: أصابته شوكة («فلا انتقش») **قال أبو السّعادات**: أي: إذا شاكته شوكة؛ فلا يقدر على انتقاشها، وهو إخراجها بالمنقاش. **وقال الحافظ**: أي: إذا دخلت فيه شوكة لم يجد من يخرجها بالمنقاش، قال: وفي الدعاء عليه بذلك إشارة إلى عكس مقصوده، لأن من عثر فدخلت في رجله الشوكة، فلم يجد من يخرجها يصير عاجزاً عن السعي والحركة في تحصيل مصالح الدنيا.

وقال الطيبي: المعنى أنه إذا وقع في البلاء لا يُترحم عليه، فإن من وقع في البلاء إذا ترحم له الناس ربما هان الخطب عليه، ويتسلى بعض التسلي، وهؤلاء بخلافه، بل يزيد غيظهم بفرح الأعداء أو شماتتهم.

فإن قيل: لِمَ سماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم؟

قيل: لمّا كان ذلك هو مقصودَه ومطلوبه الذي عمل له، وسعى في تحصيله بكل ممكن حتى صارت نيته مقصورة عليه، يغضب ويرضى له = صار عبداً له.

قال شيخ الإسلام: فسماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم، وعبد القطيفة، وعبد الخميصة، وذكر فيه ما هو دعاء وخبر؛ وهو قوله: «**تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**» وهذه حال مَن أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه «تعس وانتكس» فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه، وهذه حال مَن عبد المال. وقد وصف ذلك بأنه («**إن أعطي رضي وإن**») منع («**سخط**») كما قال تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [التوبة] فرضاهم لغير الله، وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقاً برئاسة أو بصورة، أو نحو ذلك مِن أهواء نفسه؛ إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبدُ ما يهواه من ذلك، وهو رقيقٌ له، إذِ الرِّق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرقَّ القلبُ واستعبده، فهو عبده... إلى أن قال: وهكذا أيضاً طالب المال فإن ذلك يستعبده ويسترقّه.

وهذه الأمور نوعان: **فمنها:** ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشربه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك، فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه، فيكون المال عنده، يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطه الذي يجلس عليه من غير أن يستعبدوه فيكون

﴿هَلُوعًا ۝١٩﴾ [المعارج] **ومنها**: ما لا يحتاج إليه العبد، فهذه ينبغي ألّا يعلق قلبه بها، فإذا تعلق قلبه بها، صار مستعبداً لها وربما صار مستعبداً معتمداً على غير الله فيها، فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله، ولا حقيقة التوكل عليه، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله، وشعبة من التوكل على غير الله، وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ: «**تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، وتعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة**» وهذا هو عبد لهذه الأمور، ولو طلبها من الله، فإن الله إذا أعطاه إياه رضي، وإن منعه إياها سخط. وإنما عبد اللّه من يرضيه ما يرضي الله، ويسخطه ما يسخط الله، ويحب ما أحب الله ورسوله، ويبغض ما أبغض الله ورسوله، ويوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله فهذا الذي استكمل الإيمان. **انتهى** ملخصاً.

قوله: («**طوبى لعبد**») **قال ابو السعادات**: «**طوبى**» اسم الجنة، وقيل: هي شجرة فيها. **قلت**: قد روى ابن وَهْبٍ عن عمرو بن الحارث أن دَرّاجاً حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد في حديثٍ: فقال رجل: يا رسول الله! وما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة مسيرة مئة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» رواه حرملة عنه [م(١١٦٥٩)]. ورواه أحمد في «مسنده» (١٧٦١١) من حديث عُتْبة بن عبدٍ السلمي جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الحوض، وذَكَرَ الجنةَ. ثم قال الأعرابي: وفيها فاكهة؟ قال: «نعم وفيها شجرة تدعى طوبى. . . » الحديثَ. **قال الزَّجاج** ـ في قوله: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ [الرعد:٢٩] ـ: معناه: العيش الطيب. **وقال ابن الأنباريّ**: الحال المستطابة لهم، لأنه (فُعْلى) من الطيب. وقيل: معناه هنيئاً بطيب العيش لهم. وهذه الأقوال ترجع إلى قول واحد.

حسن: «الجامع» (٣٩١٨)

[ضعيف]

قوله: («**أخذ بعِنان فرسه في سبيل الله**») أي: في طريق الجهاد.

قوله: («**أشعثَ رأسُه**») هو بنصب «**أشعث**» صفة «**لعبد**» لأنه غير مصروف للصفة ووَزْن الفعل، و«**رأسُه**» مرفوع على الفاعلية لـ «أشعث» وهو مغبر الرأس. **وفيه**: فضل إصابة الغبار في سبيل الله.

قوله: («مغبرة قدماه») هو كـ «أشعث» في الإعراب. والمراد به كثرة الغبار له في سبيل الله لكثرة جهاده ومصابرته.

قوله: («إنْ كان في الحراسة») قال بعضهم: هو بكسر الحاء أي: حماية الجيش ومحافظتهم عن أن يهجم عليه عدوّهم.

قوله: («كان في الحراسة») أيِ: امتثل غير مقصّر فيها بالنوم والغفلة ونحوهما.

قوله: («وإن كان في الساقة كان في الساقة») أي: إنْ جعل في مؤخرة الجيش صار فيها ولزمها. **وقال ابن الجوزي**: المعنى: أنه خامل الذكر، لا يقصد السموّ، فأي موضعٍ اتفق له كان فيه. **وقال الخَلْخالي**: المعنى ائتماره لِما أمر، وإقامته حيث أقيم لا يفقد من مكانه، وإنما ذكر الحراسة والساقة، لأنهما أشد مشقة وأكثر آفة. **قلت**: **وفيه**: فضيلة الحرس في سبيل الله.

قوله: («إنِ استأذن لم يؤذن له») أي: «**إنِ استأذن**» على الأمراء ونحوهم «**لم**» يأذنوا «**له**»، لأنه ليس بذي جاه ولا يقصد بعمله الدنيا فيطلبها منهم ويتردد إليهم لأجلها، بل هو مخلص لله.

قوله: («وإن شَفَع») بفتح أوله وثانيه مبني للفاعل، و(«**يُشفَّع**») بتشديد الفاء، مبني للمفعول، والمراد والله أعلم أنه لا يشفع عند الملوك ونحوهم، لعدم جاهه عندهم، وعلى تقدير شفاعته «**إنْ شَفَع لم يُشفَّع**» بل يَردّون شفاعته. قال بعضهم: قيل: إن هذا إشارة إلى عدم التفاته إلى الدنيا وأربابها بحيث لا يبتغي مالاً ولا جاهاً عند الناس، بل يكون عند الله وجيهاً ولم يقبل الناس شفاعته، ويكون عند الله شفيعاً مشفعاً، كما في الحديث الذي رواه أحمد [(١٢٤٦٠) عن انس بنحوه] ومسلم (٢٦٢٢) عن أبي هريرة مرفوعاً: «رُبَّ أشعثَ مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه». **وقال الحافظ**: **فيه**: ترك حب الرئاسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع.

قلت: **وفيه**: أن هذه الأمور ونحوها لا تكون لِهَوان المؤمن على الله بل لكرامته، **وفيه: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات. قاله المصنف.**

٣٢ ـ باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرمه الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله

ش: لمّا كانتِ الطاعة من أنواع العبادة، بل هي العبادة، فإنها طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة رسله عليهم السلام = نبه المصنف رحمه الله بهذه الترجمة على وجوب اختصاص الخالق تبارك وتعالى بها، وأنه لا يطاع أحد من الخلق إلا حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله وإلا فلا تجب طاعة أحد من الخلق استقلالاً. والمقصود هنا الطاعة الخاصة في تحريم الحلال أو تحليل الحرام، فمن أطاع مخلوقاً في ذلك غير الرسول ﷺ ـ فإنه لا ﴿يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم] ـ فهو مشرك كما بيّنه الله تعالى في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾ أي: علماءهم ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة] وفسرها النبي ﷺ بطاعتهم في تحريم الحلال، وتحليل الحرام كما سيأتي في حديث عَدِيٍّ (=٤٧٦).

فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩] قيل: هم العلماء، وقيل: هم الأمراء، وهما روايتان عن أحمد. **قال ابن القيم**: والتحقيق بأن الآية تَعُمّ الطائفتين.

= **قيل**: إنما تجب طاعتهم إذا أمروا بطاعة الله وطاعة رسوله، فكان العلماء مبلغين لأمر الله وأمر رسوله، والأمراء منفّذين له، فحينئذٍ تجب طاعتهم تبعاً لطاعة الله ورسوله كما قال ﷺ: «لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف = وقال: «على المرءِ المسلمِ

السمعُ والطاعة ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» = حديثان صحيحان [خ (٧٢٥٧ و٧١٤٤)، م (١٨٤٠ و١٨٣٩)]. فليس في هذه الآية ما يخالف آية براءة.

قال: وقال ابن عباس: يُوشِك أن تنزل عليكم ﴿حِجَارَةٌ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال:٣٢]. أقول: (قال رسول الله ﷺ) وتقولون: قال أبو بكر وعمر!.

ش: **قوله**: («يوُشِك») بضم أوله وكسر الشين المعجمة. **قال أبو السعادات**: أي: يقرب ويدنو ويسرع. وهذا الكلام قاله ابن عباس لِمَنْ ناظره في متعة الحج. وكان ابن عباس يأمر بها، فاحتج عليه المناظر بنهي أبي بكر وعمر عنها، أي: هما أعلم منك وأحق بالاتّباع. فقال هذا الكلام الصادر عن محض الإيمان وتجريد المتابعة للرسول ﷺ وإن خالفه مَن خالفه كائناً من كان، كما قال الشافعي: أجمع العلماء على أنّ مَنِ ٱسْتَبَانَتْ له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد. فإذا كان هذا كلام ابن عباس لمن عارضه بأبي بكر وعمر وهما [هما][1] فماذا تظنه يقول لمن يعارض سنن الرسول ﷺ بإمامه وصاحب مذهبه الذي ينتسب إليه، ويجعل قوله عياراً على الكتاب والسنة، فما وافقه قبله، وما خالفه رده، أو تأوله؟! فالله المستعان. وما أحسن ما قال بعض المتأخرين:

فإنْ جاءهم فيه الدليل موافقاً ... لما كان للإبا إليه ذهاب
رَضوه، وإلا قيل: هذا مؤول ... ويركب للتأويل فيه صعاب

ولا ريب أن هذا داخل في قوله تعالى: ﴿(٣٠) ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة].

قال المصنف: وقال أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد

(١) سقطت من الطبعة الأولى.

وصحّته يذهبون إلى رأي سفيان! والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور:٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشركُ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزّيغ فيهلِكَ.

ش: هذا الكلام عن أحمد رواه عنه الفضل بن زياد وأبو طالب.

قال الفضل عن أحمد: نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول في ثلاثة وثلاثين موضعاً، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ...﴾ [النساء:٦٣] الآية وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة إلا الشرك، لعله إذا ~~أراد~~ [ردّ] بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه، فيهلكه. وجعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥].

وقال أبو طالب عن أحمد ـ وقيل له: إن قوماً يَدَّعون الحديث، ويذهبون إلى رأي سفيان؟ فقال ـ: أعجب(١) لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحّته يَدَعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره. قال الله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور] وتدري ما الفتنة؟ الكفر؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة:٢١٧] فيَدَعون الحديثَ عن رسول الله ﷺ وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي. **ذكر ذلك شيخ الإسلام. قلت**: وكلام أحمد في ذمّه التقليدَ وإنكارِ تأليفِ كتب الرأي كثيرٌ مشهور.

قوله: (**«عرفوا الإسناد»**) أي: إسناد الحديث (**وصحّته**) أي: صحة الإسناد، وصحّته دليلٌ على صحة الحديث.

قوله: (**يذهبون إلى رأي سفيان**) أيِ: الثوريِّ، الإمام الزاهد العابد الثقة الفقيه، وكان له أصحاب ومذهب مشهور، فانقطع.

---

(١) في الطبعة الأولى: أعجبت.

ومراد أحمد الإنكار على من يعرف إسناد الحديث وصحته، ثم بعد ذلك يقلد سفيان أو غيره، ويعتذر بالأعذار الباطلة: إمّا بأنّ الأخذ بالحديث اجتهاد والاجتهاد انقطع منذ زمان. وإمّا بأن هذا الإمام الذي قلّدْته أعلم مني، فهو لا يقول إلا بعلم، ولا يترك هذا الحديث مثلاً إلا عن علم. وإما بأن ذلك اجتهاد، ويشترط في المجتهد أن يكون عالماً بكتاب الله عالماً بسنة رسول الله ﷺ، وناسخ ذلك ومنسوخه، وصحيح السنة وسقيمها، عالماً بوجوه الدلالات، عالماً بالعربية والنحو والأصول، ونحو ذلك من الشروط التي لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما **كما قاله المصنف**، فيقال له: هذا إن صح، فمرادهم بذلك المجتهد المطلق، أما أن يكون ذلك شرطاً في جواز العمل بالكتاب والسنة، فكذب على الله، وعلى رسوله ﷺ، وعلى أئمة العلماء، بلِ الفرض والحتم على المؤمن إذا بلغه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلم معنى ذلك في أي شيء كان = أن يعمل به ولو خالفه من خالفه، فبذلك أمرنا ربنا تبارك وتعالى ونبينا ﷺ، وأجمع على ذلك العلماء قاطبة إلا جهال المقلدين وجفاتهم، ومثل هؤلاء ليسوا من أهل العلم، كما حكىٰ الإجماعَ على أنهم ليسوا من أهل العلم[١] أبو عمر بن عبد البر وغيره. قال الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف] وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور] فشهد تعالى لمن أطاع الرسول ﷺ بالهداية، وعند جفاة المقلدين أن من أطاعه ﷺ ليس بمهتدي إنما المهتدي مَن عصاه، وعَدَلَ عن أقواله، ورغب عن سنته إلى مذهبٍ أو شيخٍ ونحو ذلك، وقد وقع في هذا التقليد المحرّم خلق كثير ممن يدّعي العلم والمعرفة بالعلوم، ويصنف التصانيف في

---

(١) في الطبعة الأولى زيادة كلمة: (منهم).

الحديث والسنن، ثم بعد ذلك تجده جامداً على أحد هذه المذاهب، ويرى الخروج عنها من العظائم.

وفي كلام أحمد إشارة إلى أن التقليد قبل بلوغ الحجة لا يذم، إنما المذموم المنكر الحرام: الإقامة على ذلك بعد بلوغ الحجة، نعم! وينكر الإعراض عن كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، والإقبال على تعلم الكتب المصنفة في الفقة استغناء بها عن الكتاب والسنة، بل إن قرؤوا شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإنما يقرؤون تبركاً، لا تعلماً وتفقهاً، أو لكون بعض المُوْقِفين وقف على من قرأ البخاريَّ مثلاً، فيقرؤونه لتحصيل الوظيفة لا لتحصيل الشريعة، فهؤلاء مِن أحق الناس بدخولهم في قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ۝١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ۝١٠١﴾ [طـــه] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ . . .﴾ إلى قوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٢٧﴾ [طه].

فإن قلت: فماذا يجوز للإنسان من قراءة هذه الكتب المصنفة في المذاهب؟ = **قيل**: يجوز من ذلك قراءتها على سبيل الاستعانة بها على فهم الكتاب والسنة، وتصوير المسائل، فتكون من نوع الكتب الآلية. أما أن تكون هي المقدّمةَ على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، الحاكمةَ بين الناس فيما اختلفوا فيه، المدعوَّ إلى التحاكم إليها دون التحاكم إلى الله والرسول ﷺ = فلا ريب أن ذلك مُنافٍ للإيمان مُضادٌّ له كما قاله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء].

فإذا كان التحاكم عند المشاجرة إليها دون الله ورسوله، ثم إذا قضى الله ورسوله أمراً وجدت الحرج في نفسك، وإن قضى أهل الكتاب بأمر لم تجد حرجاً، ثم إذا قضى الرسول ﷺ بأمر لم تُسلِّم له، وإذا[1]

(١) في الطبعة الأولى: (إنما) بدل (إذا).

قَضَوْا بأمر سَلَّمتَ له = فقد أقسم الله تعالى سبحانه ـ وهو أصدق القائلين ـ بأجلٍ مُقْسَم به، وهو نفسه تبارك وتعالى أنك لست بمؤمن والحالة هذه وبعد ذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝﴾ [القيامة].

على أن الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل العلم، قد نَهَوْا عن تقليدهم مع ظهور السّنّة[1].

فكلام أحمد الذي ذكره المصنف كافٍ عن تكثير النقل عنه.

وقال أبو حنيفة: إذا جاء الحديث عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين، فنحن رجال وهم رجال.

وفي «روضة العلماء»: سئل أبو حنيفة: إذا قلتَ قولاً وكتاب الله يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لكتاب الله. قيل: إذا كان قول الرسول يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر الرسول ﷺ. قيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لقول الصحابة. فلم يقل هذا الإمام ما يدّعيه جفاة المقلدين له أنه لا يقول قولاً يخالف كتاب الله، حتى أنزَلوه بمنزلة المعصوم الذي لا ﴿يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝﴾ [النجم].

وروى البيهقي في «السنن» (؟) عن الشافعي أنه قال: إذا قلت قولاً ـ وكان عن النبي ﷺ خلاف قولي ـ فما يصح من حديث رسول الله ﷺ أولى، فلا تقلدوني. **وقال الربيع:** سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنّة رسول الله ﷺ، ودَعُوْا ما قلت. وتواتر عنه أنه قال: إذا صح الحديث ـ أي: بخلاف قولي ـ فاضربوا بقولي الحائط.

(١) وترى أقوالهم مخرّجة في مقدمة «صفة صلاة النبي» للشيخ الألباني رحمه الله. وهو من مطبوعاتنا.

وقال مالك: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

وكلام الأئمة مثل هذا كثير. فخالَفَ المقلدون ذلك، وجمدوا على ما وجدوه في الكتب المذهبية، سواء كان صواباً أم خطأً مع أن كثيراً من هذه الأقوال المنسوبة إلى الأئمة ليست أقوالاً لهم منصوصاً عليها، وإنما هي تفريعات ووجوه واحتمالات وقياس على أقوالهم، ولسنا نقول: إن الأئمة على خطإٍ، بل هم إن شاء الله ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة ولقمان:٥] وقد قاموا بما أوجب الله عليهم من الإيمان بالرسول ﷺ ومتابعته، ولكن العصمة منتفية عن غير الرسول، فهو الذي ﴿مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم] فما العذر في اتّباعهم وترك اتّباع الذي لا ﴿يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾؟!

قوله: (لعله) أي: لعل الإنسان الذي تصح عنده سنة رسول الله ﷺ.

قوله: (إذا رد بعض قوله) أي: قول النبي ﷺ.

قوله: (أن يقع في قلبه شيء من الزَّيْغ فيهلِك) هذا تنبيه على أن رد قول الرسول ﷺ سبب لزَيغ القلب الذي هو سبب الهلاك في الدنيا والآخرة، فإذا كانت إساءة الأدب معه في الخطاب سبباً لحبوط الأعمال ـ كما قال تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات] ـ فما ظنك برد أحكامه وسنته لقول أحد من الناس كائناً من كان؟ **قال شيخ الإسلام**: فإذا كان المخالف عن أمره قد حذر من الكفر والشرك، أو من العذاب الأليم، دل على أنه قد يكون مفضياً إلى الكفر والعذاب الأليم، ومعلوم أن إفضاءه إلى العذاب هو مجرد فعل المعصية، فإفضاؤه إلى الكفر إنما هو لِما يقترن به من استخفاف بحق الآمر، كما فعل إبليس لعنه الله.

فإذا علمت أن المخالفة عن أمره ﷺ سبب للفتنة ـ التي هي

الشرك - والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، علمت أن من رد قوله وخالف أمره - لقول أبي حنيفة، أو مالك، أو غيرهما - لهم النصيب الكامل، والحظ الوافر من هذه الآية، وهذا الوعيد على مخالفة أمره ﷺ. وقد استَدل بهذه الآية كثير من العلماء على أن أصل الأمر للوجوب حتى يقوم دليل على استحبابه.

حسن

قال: عن عَدِيِّ بن حاتِم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾ الآية [التوبة: ٣١] فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟!» فقلت: بلىٰ. قال: «فتلك عبادتهم» رواه أحمد[١] والترمذي (٣٣٠٦) وحسنه.

ش: هذا الحديث قد روي من طرق[٢] فرواه ابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن جرير، وابن أبي حاتِم، والطبراني [١٧/(٢١٨)]، وأبو الشيخ، وابن مَردويه، والبيهقي في «السُّنن» (١١٦/١٠) وفيه قصة اختصرها المصنف.

قوله: (**عن عَدِيٍّ بن حاتِم**) أي: الطائيّ المشهور، وهو ابن عبد اللَّه بن سعد بن الحَشْرَج، بفَتح المهملة وسكون المعجمة وآخره

---

(١) عزو الحديث لأحمد عند الإطلاق يراد به «المسند» وهذا الحديث ليس في «مسنده»، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢٣٠/٣ لم يعزه إليه مع أنه عزاه إلى من هو دون أحمد كما نقل عنه الشارح. ط١.

(٢) للحديث طريق واحد فقط: أخرجه الترمذي (٣٠٩٤) وابن جرير (١٦٦٣١ و١٦٦٣٢ و١٦٦٣٣) عن غُطيف بن أعْيَن عن مصعب بن سعد عن عَدِيِّ بن حاتِم، وغُطيف ضعيف، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بالمعروف في الحديث. **أقول**: لكن له شاهد موقوف من حديث حذيفة عند ابن جرير (١٦٦٣٤) بنحوه ربما يتقوى به. ط١. [وقد جزم الشيخ الألباني ﷺ بحسنه].

جيم، مات مشركاً ـ وعدي يكنى أبا طَريف بفتح المهملة، صحابي شهير، حسن الإسلام، مات سنة ثمانٍ وستين وله مئة وعشرون سنة.

قوله: (**فقلت: إنّا لسنا نعبدهم**) عن ظَنِّ عَدِيٍّ أن العبادة المراد بها التقرب إليهم بأنواع العبادة، من السجود والذبح والنذر ونحو ذلك فقال: **إنا لسنا نعبدهم**.

قوله: («**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه...؟**») إلى آخره. صرح ﷺ في هذا الحديث بأن عبادة الأحبار والرهبان هي طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام، وهو طاعتهم في خلاف حكم الله ورسوله.

قال شيخ الإسلام: وهؤلاء الذين ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ـ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وعكسه ـ يكونون على وجهين:

أحدهما: أنهم يعلمون أنهم بدلوا دين الله، فيتبّعونهم على التبديل ـ فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتّباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل ـ فهذا كُفْر، وقد جعله الله ورسوله شركاً وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال، وتحليل الحرام ثابتاً ـ لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي ـ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما ثبت في «الصحيحين» [خ (٧٢٥٧)، م (١٨٤٠)] عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما الطاعة في المعروف».

ثم نقول: اتّباع هذا المُحلِّلِ للحرام والمحرم للحلال إنْ كان مجتهداً قصده اتّباع الرسول ﷺ، لكن خفي عليه الحقّ في نفس الأمر، وقد اتقى الله ما استطاع = فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه. ولكن مَن علم أن هذا الخطأ

فيما جاء به رسول الله ﷺ، ثم اتّبعه على خطئه وعدل عن قول الرسول ﷺ، فله نصيب من الشرك الذي ذمه الله، لا سيما إنِ اتّبعه في ذلك لهواه ونصره باللسان واليد مع علمه بأنه مخالف للرسول ﷺ، فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه، ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز تقليد أحد في خلافه؛ وأما إنْ كان المتّبع للمجتهد عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل، وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد، فهذا لا يؤاخذ إنْ أخطأ، كما في القبلة. وأما إنْ قَلّد شخصاً دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علم أن الحق معه، فهذا من أهل الجاهلية، فإن كان متبوعه مصيباً لم يكن عمله صالحاً، وإن كان متبوعه مخطئاً، كان آثماً، كمن قال في القرآن برأيه، فإن أصاب فقد أخطأ، وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار. **انتهى** ملخصاً.

قال المصنف: وفيه: تغير الأحوال إلى هذه الغاية [حتى] صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال ويسمونها **الولاية. وعبادة** الأحبار هي العلم والفقه، ثم تَغيّرتِ الحال إلى أن عبد من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

قوله: (**صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال**) يشير إلى ما يعتقده كثير من الناس في من ينتسب إلى الولاية من الضر والنفع، والعطاء والمنع، ويسمون ذلك الولاية والسر ونحو ذلك، وهو الشرك.

قوله: (**وعبادة الأحبار هي العلم والفقه**) أي: هي التي تسمّىٰ اليوم **العلم والفقه** المؤلف على مذاهب الأئمة ونحوهم، فيطيعونهم في كل ما يطيعونك سواء وافق حكم الله أم خالفه، بل لا يعبؤون بما خالف ذلك من كتابٍ وسنّة، بل يريدون كلام الله وكلام رسوله لأقوال من قلدوه، ويصرحون بأنه لا يَحِلُّ العمل بكتابٍ ولا سنّة، وأنه لا يجوز تلقي العلم والهدى منهما، وإنما الفقه والهدى عندهم

هو ما وجدوه في هذه الكتب. بل أعظم من ذلك وأَطَمُّ رَمْيُ كثيرٍ منهم كلامَ الله وكلام رسوله بأنه لا يفيد العلم ولا اليقين في باب معرفة أسماء الله وصفاته وتوحيده، ويسمونها ظواهر لفظية، ويسمون ما وضعه الفلاسفة المشركون القواطع العقلية، ثم يقدمونها ـ في باب الأسماء والصفات والتوحيد ـ على ما جاء من عند الله، ثم يرمون مَن خرج عن عبادة الأحبار والرهبان إلى طاعة رب العالمين، وطاعة رسوله وتحكيم ما أنزل الله في موارد النزاع = بالبدعة أو الكفر.

قوله: (**ثم تَغيّرتِ الأحوال إلى أن عبد من ليس من الصالحين**) وذلك كاعتقادهم في كثير ممن ينتسب إلى الولاية من الفساق والمجاذيب.

وقوله: (**وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين**) وذلك كاعتقادِهِمُ العلمَ في أناس مِن جَهَلَةِ المقلِّدين، فيُحسِّنون لهم البِدَعَ والشرك فيطيعونهم، ويظنون أنهم علماء مصلحون ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة].

٣٣ ـ باب قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾...﴾ الآيات [النساء: ٦٠ ـ ٦٩]

ش: لمّا كان التوحيد ـ الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله ـ مشتملاً على الإيمان بالرسول ﷺ، مستلزماً له، وذلك هو الشهادتان، ولهذا جعلهما النبي ﷺ، ركناً واحداً في قوله: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إلـه إلا الله، وأن محمداً

رسول الله، ﴿وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ﴾ [النور:٣٨ وكذا: الأنبياء:٨٣]، وصوم رمضان، و﴿حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧]» [خ (٨)، م (١٦)]

= نبه في هذا الباب على ما تضمنه التوحيد واستَلْزَمَه من تحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع، إذْ هذا هو مقتضى شهادة أن لا إلٰه إلا الله ولازِمها الذي لا بد منه لكل مؤمن، فإن مَن عرف أنْ لا إلـٰه إلا الله، فلا بد مِنَ الانقياد لحكم الله والتسليم لأمره الذي جاء من عنده على يد رسوله محمد ﷺ. فمَنْ شهد أنْ لا إلـٰه إلا الله، ثم عدل إلى تحكيم غير الرسول ﷺ في موارد النِّزاع، فقد كذب في شهادته.

وإنْ شئت قلت: لمّا كان التوحيد مبنياً على الشهادتين ـ إذْ لا تنفك إحداهما عن الأخرى لتلازمهما ـ وكان ما تقدم من هذا الكتاب في معنى شهادة أنْ لا إلـٰه إلا الله التي تتضمن حق الله على عباده = نبه في هذا الباب على معنى شهادة أن محمداً رسول الله، التي تتضمن حق الرسول ﷺ، فإنها تتضمن أنه عبد لا يعبد، ورسول صادق لا يكذب، بل يطاع ويتبع، لأنه المبلغ عن الله تعالى. فله عليه الصلاة والسلام منصب الرسالة، والتبليغ عن الله، والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، إذْ هو لا يحكم إلا بحكم الله، ومحبته على النفس والأهل والمال والوطن، وليس له من الإلـٰهية شيء، بل هو عبد الله وسوله كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن] وقال ﷺ: «إنما أنا عبد فقولوا: عبد لله ورسوله» [خ (٣٤٤٥)]. ومن لوازم ذلك متابعته وتحكيمه في موارد النزاع، وترك التحاكم إلى غيره، كالمنافقين الذين يدّعون الإيمان به، ويتحاكمون إلى غيره، وبهذا يتحقق العبد بكمال التوحيد وكمال المتابعة، وذلك هو كمال سعادته، وهو معنى الشهادتين.

إذا تبين هذا فمعنى الآية المترجم لها: أن الله تبارك وتعالى أنكر على مَن يدّعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله، وعلى الأنبياء

قبله، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر المصنف في سبب نزولها. **قال ابن القيم:** و﴿الطَّاغُوتِ﴾: كل مَن تعدّى به حده، من (الطُّغْيان)، وهو: مجاوزة الحد، فكل ما تحاكم إليه متنازعان غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو طاغوت إذْ قد تعدى به حده. ومن هذا كل من عبد شيئاً دون الله فإنما عبد الطاغوت، وجاوز بمعبوده حده فأعطاه العبادة التي لا تنبغي له، كما أن من دعا إلى تحكيم غير الله تعالى ورسوله ﷺ، فقد دعا إلى تحكيم الطاغوت. وتأمل تصديره سبحانه الآية منكراً لهذا التحكيم على من زعم أنه قد آمن بما أنزله الله على رسوله ﷺ، وعلى من قبله ثم هو مع ذلك يدعو إلى تحكيم غير الله ورسوله ﷺ، ويتحاكم إليه عند النزاع. وفي ضمن **قوله:** (﴿يَزْعُمُونَ﴾) نفي لما زعموه من الإيمان، ولهذا لم يقل: ألم تر إلى الذين آمنوا، فإنهم لو كانوا من أهل الإيمان حقيقة لم يريدوا أن يتحاكموا إلى غير الله تعالى ورسوله ﷺ. ولم يقل فيهم ﴿يَزْعُمُونَ﴾ فإن هذا إنما يقال غالباً لمَنِ ادّعى دعوى هو فيها كاذب، أو منزل منزلة الكاذب، لمخالفته لموجبها وعمله بما ينافيها. **قال ابن كثير:** والآية ذامّة لمَنْ عَدَلَ عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هٰهنا.

وقوله تعالى: (﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ﴾). أي: بـ ﴿الطَّاغُوتِ﴾ وهو دليل على [أنّ] التحاكم إلى الطاغوت مُنافٍ للإيمان مُضادٌّ له، فلا يصح الإيمان إلا بالكفر به، وترك التحاكم إليه، فمن لم يكفر بالطاغوت لم يؤمن بالله.

وقوله: (﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾). أي: لأن إرادة التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من طاعة الشيطان، وهو ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا﴾ أحزابه ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر] **وفي الآية:** دليل على أن ترك التحاكم إلى الطاغوت ـ الذي هو ما سوى

الكتاب والسنة ـ من الفرائض. **وأن** المتحاكم إليه غير مؤمن بل ولا مسلم.

وقوله تعالى: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾) أي: ﴿إِذَا﴾ دُعُوا إلى التحاكم ﴿إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ أعرضوا إعراضاً مستكبرين كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النور]. **قال ابن القيم:** هذا دليل على أن من دعي إلى تحكيم الكتاب والسنة، فلم يقبل، وأبى ذلك = أنه من المنافقين. و﴿يَصُدُّونَ﴾ هنا لازمٌ لا مُتَعَدٍّ، وهو بمعنى: يُعْرِضون، لا بمعنى: يمنعون غيرهم، ولهذا أتى مصدره على: (﴿صُدُودًا﴾) ومصدر المتعدي: صَدّاً. فإذا كان المُعْرِض عن ذلك قد حكم الله سبحانه بنفاقهم، فكيف بمَنِ ازداد إلى إعراضه: مَنْع الناس من تحكيم الكتاب والسنة، والتحاكم إليهما بقوله وعمله وتصانيفه؟! ثم يزعم مع ذلك أنه إنما أراد الإحسان والتوفيق: الإحسان في فعله ذلك، والتوفيق بين الطاغوت الذي حَكّمه، وبين الكتاب والسنة!

قلت: وهذا حال كثير ممن يدّعي العلم والإيمان في هذه الأزمان ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ نتحاكم ﴿إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ ﴿رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾ [المنافقون]، و﴿يَعْتَذِرُونَ﴾ [التوبة: ٩٤] أنهم لا يعرفون ذلك، ولا يعقلون، ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾. **قال ابن كثير:** أي (﴿فَكَيْفَ﴾) بهم (﴿إِذَا﴾) ساقتهم المقادير إليك في المصائب بسبب ذنوبهم، واحتاجوا إليك في ذلك. **وقال ابن القيم:** قيل: (المصيبة): فضيحتُهم إذا أنزل القرآن بحالهم،

ولا ريب أن هذا أعظم المصيبة والإضرار، فالمصائب التي تصيبهم (﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾) في أبدانهم وقلوبهم وأديانهم بسبب مخالفة الرسول عليه الصلاة والسلام، أعظمها مصائبُ القلبِ والدِّينِ، فيرى المعروف منكراً، والهدى ضلالاً، والرشاد غَيّاً، والحق باطلاً، والصلاح فساداً، وهذا من المصيبة التي أصيب بها في قلبه، وهو الطَّبَعُ الذي أوجبه مخالفة الرسول ﷺ وتحكيم غيره، **قال سفيان الثوري** - في قوله ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور:٦٣] قال ـ: هي أن تطبع على قلوبهم.

وقوله تعالى: (﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾). **قال ابن كثير**: أي: يعتذرون و(﴿يَحْلِفُونَ. . . إِنْ أَرَدْنَآ﴾) بذهابنا إلى غيرك (﴿إِلَّآ﴾) الإحسان والتوفيق، أي: المداراة والمصانعة. **وقال غيره**: ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ أي: لا إساءة ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ أي: بين الخصمين، ولم نُرِدْ مخالفةً لك، ولا تسخّطاً لحكمك.

قلت: فإذا كان هذا حال المنافقين؛ يعتذرون عن أمرهم، ويُلبّسونه لئلا يُظَنّ أنهم قصدوا المخالفة لحكم النبي ﷺ، أو التسخط، فكيف بمن يصرح بما كان المنافقون يضمرونه حتى يزعم أنه مَن حَكَّم الكتاب والسنة في موارد النزاع، فهو إما كافر وإما مبتدع ضالّ؟! وفعل المنافقين الذي ذكره الله عنهم في هذه الآية هو بعينه الذي يفعله المحرّفون لـ﴿ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦. المائدة:١٣] الذين يقولون: إنما قصدنا التوفيق بين القواطع العقلية ـ بزعمهم ـ التي هي الفلسفة والكلام، وبين الأدلة النقلية، ثم يجعلون الفلسفة ـ التي هي سفاهة وضلالة ـ الأصلَ، ويردّون بها ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة، زعموا أن ذلك يخالف الفلسفة التي يسمونها القواطع، فتَطلّبوا له وجوه التأويلات البعيدة، وحملوه على شواذّ اللغة التي لا تكاد تُعرَف.

وقوله تعالى: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾).

قال ابن كثير: أي: هذا الضرب من الناس هم المنافقون، والله أعلم بـ (﴿مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾) وسيجزيهم على ذلك، فإنه ﴿لَا تَخْفَىٰ﴾ عليه ﴿خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة]. فاكتف به يا محمد فيهم، فإنه عالم ببواطنهم وظواهرهم.

وقوله تعالى: (﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ۝٦٣﴾). **قال ابن القيم:** أمر الله رسوله ﷺ فيهم بثلاثة أشياء:

أحدها: الإعراض عنهم، إهانةً لهم وتحقيراً لشأنهم وتصغيراً لأمرهم، لا إعراض مُتارَكةٍ وإهمالٍ، وبهذا يُعلَم أنها غير منسوخة.

الثاني: قوله: (﴿وَعِظْهُمْ﴾) وهو تخويفُهم عقوبةَ الله وبأسَه ونقمته إن أصرّوا على التحاكم إلى غير رسوله ﷺ، وما أنزل عليه.

الثالث: قوله: (﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾) أي: يبلغ تأثيره إلى قلوبهم، ليس قولاً ليّناً لا يتأثر به المقول له، وهذه المادة تدل على بلوغ المراد: بالقول، فهو قول يبلغ به مراد قائله من الزجر والتخويف ويبلغ تأثيره إلى نفس المقول له، ليس هو كالقول الذي يمر على الأذن صفحاً، وهذا القول البليغ يتضمن ثلاثة أمور: **أحدها:** عِظَم معناه، وتأثُّر النفوس به. **الثاني:** فخامة ألفاظه وجزالتها. **الثالث:** كيفية القائل في إلقائه إلى المخاطب، فإن القولَ كالسَّهْم، والقلبَ كالقوسِ الذي يدفعه. و: كالسيف، والقلبَ كالساعد الذي يضرب به.

وفي متعلَّق قوله: ﴿فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ قولان:

أحدهما: بقوله ﴿بَلِيغًا﴾ أي: قولاً بليغاً في أنفسهم، وهذا حسنٌ من جهة المعنى، ضعيفٌ من جهة الإعراب، لأن صفة الموصوف لا تعمل فيما قبلها.

والقول الثاني: أنه متعلق بـ ﴿قُل﴾ وفي المعنى على هذا قولان: **أحدهما:** ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ خالياً بهم ليس معهم غيرهم بل

مُسِرّاً لهمُ النصيحةَ. **والثاني**: أن معناه ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ﴾ معنى ﴿أَنفُسِهِمْ﴾ كما يقال: قل لفلان في كَيْتَ وكَيْتَ، أي: في ذلك المعنى. **قلت**: وهذا القول أحسن.

ثم قال تعالى: (﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٣]) **قال ابن كثير**: أي: إنما فُرضتْ طاعته على من أرسله إليهم. **وقال ابن القيم**: هذا تنبيه على جلالة منصب الرسالة، وعظم شأنها، وأنه سبحانه لم يرسل رسله عليهم الصلاة والسلام إلا ليطاعوا بإذنه، فتكون الطاعة لهم لا لغيرهم، لأن طاعتهم طاعة مرسلهم، وفي ضمنه أن من كذّب رسوله محمداً ﷺ، فقد كذّب الرسل. والمعنى أنك واحد منهم تجب طاعتك، وتتعين عليهم كما وجبت طاعة من قبلك من المرسلين، فإن كانوا قد أطاعوهم كما زعموا وآمنوا بهم، فما لَهم لا يطيعونك، ويؤمنون بك؟! والإذن هٰهنا هو الإذن الأمْريّ لا الكَونيّ، إذْ لو كان إذناً كونياً قدرياً لَمَا تَخلّفتْ طاعتهم، وفي ذِكره نكتة وهي أنه بنفس إرساله تتعين طاعته، وإرساله نفسه إذن في طاعته، فلا تتوقف على نصٍّ آخرَ ـ سوى الإرسال ـ بِأمر فيه بالطاعة، بل متى تَحققتْ رسالته، وجبت طاعته. فرسالته نفسها متضمنة للإذن في الطاعة. ويصح أن يكون الإذن هٰهنا إذناً كونياً قدرياً، ويكون المعنى: ﴿لِيُطَاعَ﴾ بتوفيق الله وهدايته، فتُضمَّن الآية الأمرين الشرع والقدر، ويكون فيها دليل على أن أحداً لا يطيع رسله إلا بتوفيقه وإرشاده وهدايته، وهذا حسن جداً. والمقصود أن الغاية من الرسل هي طاعتهم ومتابعتهم، فإذا كانت الطاعة والمتابعة لغيرهم، لم تحصل الفائدة المقصودة من إرسالهم.

وقوله: (﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾) [النساء].

قال ابن القيم: لمّا علم سبحانه أن المرسَل إليهم لا بد لهم مِن ظلمٍ لأنفسهم واتّباعٍ لأهوائهم، أرشدهم إلى ما يدفع عنهم شر ذلك

الظلم وموجبه، وهو شيئان: **أحدهما** منهم: وهو استغفارهم ربهم ﷻ، **والثاني** من غيرهم: وهو استغفار الرسول ﷺ لهم إذا جاؤوه، وانقادوا له، واعترفوا بظلمهم، فمتى فعلوا ذلك وجدوا (﴿ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾) يتوب عليهم فيمحو أثر سيئاتهم ويَقِيْهم شرّها، ويزيدهم مع ذلك رحمته وبره وإحسانه.

فإن قلت: فما حظ من ظلم نفسه بعد موت النبي ﷺ من هذه الآية؟ وهل كلام بعض الناس في دعوى المجيء إلى قبره ﷺ، والاستغفار عنده، والاستشفاع به، والاستدلال بهذه الآية على ذلك صحيح أم لا؟

= **قيل**: أما حظ من ظلم نفسه بعد موت النبي ﷺ من هذه الآية فالاستغفار، وأن يتوب إلى الله توبة نصوحاً في كل زمان ومكان، ولا يشترط في صحة التوبة المجيء إلى قبره، والاستغفار عنده، بالإجماع. وأما المجيء إلى قبره، والاستغفار عنده، والاستشفاع به، والاستدلال بالآية على ذلك = فهو استدلال على ما لا تدل الآية عليه بوجهٍ من وجوه الدلالات، لأنه ليس في الآية إلا المجيء إليه ﷺ - لا المجيء إلى قبره - واستغفاره لهم - لا استشفاعهم به بعد موته -. فعلم أن ذلك باطل، يوضح ذلك أن الصحابة - الذين هم أعلم الناس بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ - ما فهموا هذا من الآية، فعلم أن ذلك بدعة. وأكثر ما استدل به مَن أجاز ذلك: روايةُ العُتْبيِّ عن أعرابيٍّ مجهول، على أن القصة لا نعلم لها إسناداً. ومثل هذا لو كان حديثاً أو أثراً عن صحابي لم يَجُزِ الاحتجاج به، ولم يلزمنا حكمه لعدم صحته، فكيف يجوز الاحتجاج في هذا بقصةٍ لا تصح، عن بَدويٍّ لا يعرف؟!

ثم قال تعالى: (﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾).

قال ابن القيم: أقسم سبحانه بأجلّ مُقسَم به، وهو نفسه ﷻ،

على أنه لا يَثبُت لهمُ الإيمان، ولا يكونون من أهله حتى يحكم لرسوله ﷺ في جميع موارد النزاع، وفي جميع أبواب الدين فإن لفظة ﴿ما﴾ من صيغ العموم، ولم يقتصر على هذا حتى ضم إليه انشراح صدورهم بحكمه، بحيث لا يجدون ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ وهو الضيق والحصر من حكمه، بل يقبلون حكمه بالانشراح، ويقابلونه بالقبول، لا يأخذونه على إغماض و[لا][1] يشربونه على قَذىً، فإن هذا مُنافٍ للإيمان، بل لا بد أن يكون أخْذه بقبول ورضاً، وانشراحِ صَدْرٍ. ومتى أراد العبد شاهداً فلينظر في حاله، ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار وما دونها ﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة] فسبحان الله! كم من حزازةٍ في نفوس كثيرٍ: من النصوص، وبودّهم أنْ لو لم تَرِدْ، وكم من حرارة في أكبادهم منها، وكم مِن شَجىً في حلوقهم من موردها. ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قوله: (﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾) فذكر الفعل مؤكداً له بالمصدر القائم مقام ذكره مرتين، وهو الخضوع والانقياد لِما حكم به طوعاً ورضاً ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لا قهراً أو مصابرة، كما يُسلِّم المقهور لمن قهره كرهاً، بل تسليم عبدٍ مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء إليه، يعلم أن سعادته وفلاحه في تسليماته. **انتهى**.

وقد ورد في «الصحيح» [خ (٢٣٦٠)، م (٢٣٥٧)] أن سبب نزولها قصة الزبير لمّا اختصم هو والأنصاري في شراج الحَرّة[2]. ولكن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. فإذا كان سبب نزولها مخاصمة في مسيل ماء قضى فيه رسول الله ﷺ بقضاء، فلم يَرْضَه الأنصاريُّ،

---

(١) سقطت: (لا) من الطبعة الأولى. و(الإغماض): المسامحة والمساهلة.

(٢) جمع (شَرْجة)، وهي: مَسيل الماء من الحَرّة إلى السهل. و(الحرة) أرض ذات حجارة سود بظاهر المدينة.

فنفى تعالى عنه الإيمان بذلك = فما ظنك بمنَ لم يَرْضَ بقضائه ﷺ وأحكامِه في أصول الدين وفروعه؟! بل ﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى﴾ [النور:٤٨] ذلك تولوا ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آل عمران] ولم يَكْفِهم ذلك حتى صَدّوا الناس عنه، ولم يَكْفِهم ذلك حتى كَفّروا أو بدعوا مَنِ اتّبعه ﷺ وحَكّمه في أصول الدين وفروعه، ورضي بحكمه في ذلك، ولم يَبْغِ عنه ﴿حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف].

وقوله تعالى: (﴿۞ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾). المعنى - والله أعلم - أيْ: (﴿لَوْ﴾) أوجبنا (﴿عَلَيْهِمْ﴾) مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتلهم أنفسهم، أو خروجهم (﴿مِّن﴾) ديارهم حين استُتيبوا عن عبادة العجل (﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾) وهذا توبيخ لمَنْ لم يُحكّم الرسول ﷺ في موارد الشِّجار، أي: نحن لم نكتب عليهم ذلك، بل إنما أوجبنا عليهم ما في وُسْعهم، فما لهم لا يحكمونك، ولا يَرْضَون بحكمك؟!

ثم قال تعالى: (﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾).

قال ابن القيم: أخبر تعالى أنهم (﴿لَوْ . . فَعَلُواْ مَا﴾) يعظهم (﴿بِهِۦ﴾) وهو أمْره ونهيه المقرون بوعده ووعيده (﴿لَكَانَ﴾) فعل أمره وترك نهيه (﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾) في دينهم ودنياهم (﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾) لهم على الحق، وتحقيقاً لإيمانهم، وقوة لعزائمهم وإراداتهم، وثباتاً لقلوبهم عند جيوش الباطل، وعند واردات الشبهات المضلة، والشهوات المُرْدية. فطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ هي سبب ثبات القلب، وقوته قوة عزائمه وإراداته ونفاذ بصيرته. **وهذا**: دليل على أن طاعة الرسول ﷺ تُثمِر: الهداية، وثبات القلب عليها. ومخالفتَه تثمر: زَيْغ القلب، واضطرابَه وعدمَ ثباته.

ثم قال تعالى: (﴿وَإِذًا لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ

صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾) فهذه أربعة أنواع من الجزاء المرتب على طاعة الرسول ﷺ: **أحدها**: حصول الخير المطلق بها. **الثاني**: التثبت والقوة المتضمن للنصر والغلبة. **والثالث**: حصول الأجر العظيم لهم في الآخرة. **والرابع**: هدايتهمُ الصراط المستقيم. وهذه الهداية هي هداية ثانية أوجبتْها طاعة الرسول ﷺ، فطاعته ﷺ ثمرة الهداية السابقة عليها، فهي محفوفة بهدايتين: هداية قبلها وهي سبب الطاعة، وهداية بعدها هي ثمرة لها. **وهذا**: يدل على انتفاء هذه الأمور الأربعة عند انتفاء طاعة الرسول ﷺ.

ثم قال تعالى: (﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾).

قال ابن القيم: فأخبر سبحانه أن طاعته وطاعة رسوله ﷺ توجب مرافقة المُنعَم عليهم، وهم أهل السعادة الكاملة وهم أربعة أصناف: النبيون وهم أفضلهم، ثم الصديقون وهم بعدهم في الدرجة، ثم الشهداء، ثم الصالحون. فهؤلاء المُنعَم عليهم النعمة التامة، وهم السعداء الفائزون، ولا فلاح لأحد إلا بمرافقتهم، والكونِ معهم، ولا سبيل إلى مرافقتهم إلا بطاعة الرسول ﷺ، ولا سبيل إليها إلا بمعرفة سُنّته وما جاء به. **فدل** على أن: مَن عدم العلم بسنته وما جاء به، فليس له إلى مرافقة هؤلاء سبيل، بل هو ممن ﴿يَعَضُّ. . . عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ يوم القيامة، و﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان].

قلت: ما لمن لم يُحكّم الرسولَ ﷺ في موارد النزاع إلى مرافقة هؤلاء المُنعَم عليهم = سبيل، وكيف يكون له سبيل إلى ذلك، وعنده أن مَن حَكّم الرسول ﷺ في موارد النزاع، فهو إما زنديق أو مبتدع! وأنّىٰ له بطاعة الله ورسوله، وهذا أصل اعتقاده الذي بنى عليه دينه. ومع ذلك ﴿ يَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف] إذا حَكّموا غير الرسول ﷺ، ونبذوا حكمه ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة].

قال المصنف: وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦].

قال أبو بكر بن عياش في الآية: إن الله بعث محمداً ﷺ إلى أهل الأرض، وهم في فسادٍ فأصلحهمُ الله بمحمد ﷺ، فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ، فهو من المفسدين (﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾).

وقال ابن القيم: قال أكثر المفسرين: (﴿لَا تُفْسِدُوا﴾) فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله (﴿بَعْدَ﴾) إصلاح الله إياها ببعثِ الرسل، وبيان الشريعة، والدعاءِ إلى طاعة الله، فإن عبادة غير الله، والدعوة إلى غيره، والشرك به = هو أعظم فسادٍ في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به، ومخالفة أمره. فالشرك، والدعوة إلى غير الله، وإقامةُ معبودٍ غيره ومطاعٍ متّبَع غير رسول الله ﷺ = هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاحَ لها ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتّباع لرسوله ليس إلّا. وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته، فلا سمع له ولا طاعة. ومَن تدبّر أحوال العالم، وجد: كلَّ صلاح في الأرض فسببه: توحيد الله، وعبادته، وطاعة رسوله. وكلَّ شر في العالم وفتنةٍ وبلاءٍ وقحطٍ وتسليط عدوٍّ وغيرِ ذلك، فسببه: مخالفة رسوله، والدعوة إلى غير الله ورسوله. **انتهى**.

وبهذا: يتبين وجه مطابقة الآية للترجمة، لأن من يدعو إلى التحاكم إلى غير ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ فقد أتى بأعظم الفساد.

قال: وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة].

قال أبو العالية في الآية: يعني: (﴿لَا﴾) تعصوا (﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾) وكان فسادهم ذلك معصية الله، لأن مَن عصىٰ الله في الأرض، أو أمر بمعصية الله، فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء

بالطاعة. **قلت**: ومطابقة الآية للترجمة ظاهر، لأن من دعا إلى التحاكم إلى غير ﴿مَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾ فقد أتى بأعظم الفساد. **وفي الآية** دليل على: وجوب اطّراح الرأي مع السُّنّة، وإنِ ادّعى صاحبه أنه مصلح. **وأن**: دعوى الإصلاح ليس بعذر في ترك ﴿مَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾. **والحذر** من العجب بالرأي.

قال: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ . . .﴾ الآية [المائدة: ٥٠].

قال ابن كثير: ينكر تعالى على مَن خرج عن حكم الله تعالى ـ: المشتملِ على كل خير وعدل، الناهي عن كل شر ـ إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستندٍ من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجَهالات، كما يحكم به التَّتَار من السياسات المأخوذة عن جَنْكِزْ خان الذي وضع لهم كتاباً مجموعاً من أحكامٍ اقتبسها من شرائع شَتّى من المِلّة الإسلامية وغيرها، وفيها كثيرٌ من الأحكام أخذها عن مجرد نظره، فصار في بَنيهِ شرعاً يُقدّمونه على الحكم بالكتاب والسُّنّة. ومَن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله. فلا يُحكّم سواه في قليل ولا كثير، قال تعالى: (﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾) أي: يريدون (﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾) أي: ﴿وَمَنْ﴾ أعدل ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ في حكمه، لمَنْ عقل عن الله شَرْعه وآمَنَ وأيقن، وعَلِمَ أنه تعالى ﴿أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۝٤٥﴾ [هود] وأرحم بعباده من الوالدة بولدها. فإنه تعالى العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء. **قلت**: **وفي الآية**: إشارة إلى أن مَنِ ابتغى غير حكم الله ورسوله، فقد ابتغى حكم ﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾ كائناً ما كان.

ضعيف **قال**: عن عبد الله بن عَمْرٍو أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تَبَعاً لِما جئتُ به». **قال النووي**: حديث صحيح رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح.

ش: هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب «الحجة على تارك المَحَجّة» بإسناد صحيح كما قال المصنف عن النووي، وهو كتاب يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسُّنّة. ورواه الطبراني وأبو بكر بن [أبي] عاصم[1]، والحافظ أبو نعيم في «الأربعين» التي شرط في أولها أن تكون من صحاح الأخبار.

وقال ابن رجب: (تصحيح هذا الحديث بعيداً جداً من وجوه. . .) ذكرها، وتعقبه بعضهم. **قلت**: ومعناه صحيح قطعاً وإن لم يصح إسناده، وأصله في القرآن كثير كقوله تعالى: ﴿(٦٤) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء]. وقوله: ﴿(٣٥) وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب] وقوله: ﴿(٤٩) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص] وغير ذلك من الآيات، فلا يضر عدم صحة إسناده.

قوله: («**لا يؤمن أحدكم**») أي: لا يحصل له الإيمان الواجب ولا يكون من أهله.

قوله: («**حتى يكون هواه تَبَعاً لِما جئت به**») قال بعضهم: «**هواه**» بالقصر، أي: ما يهواه، أي: تحبه نفسه وتميل إليه، ثم المعروف في استعمال (الهوى) عند الإطلاق أنه الميل إلى خلاف الحق ومنه ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:٢٦] وقد يطلق على الميل والمحبة ليشمل الميل للحقِّ وغيره، وربما استعمل في محبة الحق خاصة والانقياد إليه، كما في حديث صفوانَ بنِ عَسّال أنه سئل: (هل سمعت النبي ﷺ يذكر الهوى؟. . .) الحديث [ت (٣٧٨٢)]. حسن

قال ابن رجب: أما معنى الحديث، فهو أن الإنسان لا يكون

(١) في «السُّنّة» (١٥) وهو من مطبوعاتنا، بتحقيق الشيخ الألباني رحمه الله.

مؤمناً كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحب ما أمر به ويكره ما نهى عنه. وقد ورد القرآن بمثل هذا في غير موضع، وذم سبحانه من كره ما أحبه الله تعالى، أو أحب ما كره الله كما قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد] وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد] فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبةً توجب له الإتيان بما وجب عليه منه، فإن زادتِ المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه كان ذلك فضلاً. وأن يكره ما كره الله كراهةً توجب له الكفّ عما حرم عليه منه، فان زادتِ الكراهة حتى أوجبتِ الكفّ عما كرهه تنزيهاً كان ذلك فضلاً.

فمَنْ أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه، أوجب ذلك له أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ويكره ما يكرهه الله ورسوله. ويرضى بما يرضى به الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض.

فإن عمل بجوارحه شيئاً يخالف ذلك، بأنِ ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه = دل ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذلك، ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة. فجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله، وقد وصف الله المشركين باتّباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى: ﴿﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص]، وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا سمي أهلُها أهلَ الأهواء، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وكذلك حب الأشخاص: الواجبُ فيه أن يكون تَبَعاً لما جاء به الرسول ﷺ. فيجب على المؤمن محبة ما يحبه الله من

الملائكة والرسل والصِّدِّيقين، والأنبياء والشهداء والصالحين عموماً. ولهذا كان علامة وجود حلاوة الإيمان: «أن يحب المرء لا يحبه إلا لله» [خ (١٦)، م (٤٣)] وتحرم موالاة أعداء الله ومن يكرهه الله عموماً، وبهذا ﴿ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال:٣٩]. و«من أحب لله، وأبغض لله وأعطى لله، ومنع لله، فقدِ استكمل الإيمان» [د (٤٦٨١)]. صحيح
ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه: لهوىٰ نفسه = كان ذلك نقصاً في إيمانه الواجب، فتجب عليه التوبة من ذلك، والرجوع إلى اتّباع ما جاء به الرسول ﷺ من: تقديم محبة الله ورسوله، وما فيه رضا الله ورسوله= على هوى النفس ومرادها. **انتهى** ملخصاً.

ومطابقة الحديث للباب ظاهرة من جهة أن الرجل **«لا يؤمن حتى يكون هواه تبعاً لِما»** جاء به الرسول ﷺ في كل شيء حتى في الحكم وغيره. فإذا حكم بحكم أو قضى بقضاء، فهو الحق الذي لا محيد للمؤمن عنه، ولا اختيار له بعده.

قال المصنف: وقال الشَّعْبيّ: كان بين رجل من المنافقين، ورجل من اليهود خصومة. فقال اليهودي: (نتحاكم إلى محمد) عرف أنه لا يأخذ الرِّشوة. وقال المنافق: (نتحاكم إلى اليهود) لِعِلْمه أنهم يأخذون الرِّشوة. فاتفقا على أن يأتيا كاهناً في جُهَيْنة فيتحاكما إليه فنزلت ﴿(٦٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ . . .﴾ الآية [النساء].

ش: هذا الأثر رواه ابن جرير، وابن المنذر بنحوه.

قوله: **(كان بين رجل من المنافقين، ورجل من اليهود خصومة)** لم أقف على تسمية هذين الرجلين، وقد روى ابن إسحاق وابن المنذر، وابن أبي حاتِم قال: كان الجُلاَس بن الصامت قبل توبته، ومعتب بن قشير، ورافع بن زيد، وبشير، كانوا يدّعون الإسلام، فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ، فدَعَوْهم إلى الكهان حكام الجاهلية فأنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ. . .﴾ الآية. فيحتمل أن يكون المنافق

المذكور في قصة الشَّعْبي أحد هؤلاء، بل روى الثَّعْلبيّ عنِ ابن عباس أن المنافق اسمه بشير.

قوله: (عرف أنه لا يأخذ الرشوة) هي بتثليث الراء، **قال أبو السَّعادات**: وهو الوُصْلة إلى الحاجة؛ بالمُصانعة، وأصله من (الرِّشاء) الذي يُتوصل به إلى الماء، والراشي: من يعطي الذي يعينه على الباطل، والمرتشي: الآخذ. **قلت**: فعلى هذا رشوة الحاكم هي ما يُعْطاه ليحكم بالباطل، سواء طلبها أم لا. **وفيه**: دليل على شهادة أن محمداً رسول الله، لأن أعداءه يعلمون عدله في الأحكام، ونزاهته عن قذر الرشوة ﷺ بخلاف حُكّام الباطل.

قوله: (فاتفقا على أن يأتيا كاهناً في جهينة) لم أقف على تسمية هذا الكاهن. وفي قصة رواها ابن جرير وابن أبي حاتِم، عن السُّدّي في سبب نزول الآية قال: (فتفاخرتِ النَّضِير وقُرَيظةُ، فقَالت النَّضير: نحن أكرم من قريظة، وقالت قريظة: نحن أكرم منكم، فدخلوا المدينة إلى أبي بُرْدة الأسلمي...) وذكر القصة.

قال المصنف: وقيل: ونزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عُمَرَ فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يَرْضَ برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله.

ش: هذه القصة قد رويت من طرق متعددة من أقربها لسياق المصنف ما رواه الثعلبي ـ وذكره البغوي ـ، عن ابن عباس ـ في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟...﴾ الآيـة ـ، قـال: نزلت في رجل من المنافقين ـ يقال له: بشير ـ خاصم يهودياً، فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ، ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف، ثم إنهما احتكما للنبي ﷺ فقضى لليهودي فلم يَرْضَ المنافق، وقال:

تعالَ نَتحاكمْ إلى عمر بن الخطاب. فقال اليهودي لعمر: قضى لنا رسول الله ﷺ، فلم يرض بقضائه. فقال للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما، فدخل عمر فاشتمل على سيفه، ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى بَرَدَ. ثم قال: (هكذا أقضي لمن لم يَرْضَ بقضاء الله ورسوله). فنزلتْ.

وروى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» هذه القصة عن مكحول، وقال في آخرها: فأتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله ﷺ، فقال: إنّ عمر قد قتل الرجل، وفرق الله بين الحق والباطل على لسان عمر، فسمي الفاروق. ورواه أبو إسحاق بن دُحَيم في «تفسيره» على ما ذكره **شيخ الإسلام، وابن كثير**، ورواه ابن أبي حاتِم، وابن مَرْدَوَيْهِ من طريق ابن لَهِيعة عن أبي الأسود. . . ، وذكر القصة، وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن» فأنزل الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ. . .﴾ الآيةَ، فهدر دم ذلك الرجل وبرئ عمر مِن قتله، فكره الله أن يَسُنّ ذلك بَعْدُ، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ . . .﴾ إلى قوله: ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء].

وبالجملة: فهذه القصة مشهورة متداولة بين السلف والخلف تداولاً يغني عن الإسناد، ولها طرق كثيرة، ولا يضرّها ضعف إسنادها.

وكعب بن الأشرف المذكور هنا هو طاغوت من رؤساء اليهود وعلمائهم، ذكر ابن إسحاق وغيره أنه كان مُوادِعاً للنبي ﷺ في جملة مَن وادَعه من يهود المدينة، وكان عربياً من بني طيِّئ وكانت أمه من بني النضير. قالوا: فلما قتل أهل بدر، شَقّ ذلك عليه، وذهب إلى مكة ورثاهم لقريش، وفَضّل دين الجاهلية على دين الإسلام، حتى أنـزل الله فيـه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء] ثم لمّا رجع إلى المدينة أخذ ينشد الأشعار يهجو بها

رسول الله ﷺ، وشَبَّب بنساء المسلمين حتى آذاهم ـ حتى قال النبي ﷺ: «مَنْ لِكعبِ بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله...» وذكر قصة قَتْله، وقَتَله: محمد بن مَسْلمة، وأبو نائلة، وأبو عَبْس بن جبير، وعباد بن بشر ﷺ [خ (٤٠٣٧)، م (١٨٠١)] ـ.

وفي القصة من الفوائد: أن الدعاء إلى تحكيم غير الله ورسوله من صفات المنافقين، ولو كان الدعاء إلى تحكيم إمام فاضل. **ومعرفةُ** أعداء رسوله الله ﷺ بما كان عليه من العلم والعدل في الأحكام. **وفيها:** الغضب لله تعالى، والشدة في أمر الله كما فعل عمر رضي الله عنه. **وفيها** أن مَن طعن في أحكام النبي ﷺ أو في شيء من دينه قُتِلَ، كهذا المنافق بل أولى. **وفيها:** جواز تغيير المنكر باليد، وإن لم يأذن فيه الإمام، وكذلك تعزير مَن فعل شيئاً من المنكرات التي يستحق عليها التعزير، لكن إذا كان الإمام لا يرضى بذلك ـ وربما أدى إلى وقوع فُرقة أو فتنة ـ فيُشترط إذنه في التعزير فقط. **وفيها:** أن معرفة الحق لا تكفي عن العمل والانقياد، فإن اليهود يعلمون أن محمداً رسول الله ويتحاكمون إليه في كثير من الأمور.

٣٤ ـ باب مَن جحد شيئاً من الأسماء والصفات

أي: من أسماء الله وصفاته، والمراد ما حكمه هل هو ناجٍ أو هالِكٌ؟ ولمّا كان تحقيق التوحيد، بل التوحيد لا يحصل إلا بالإيمان بالله والإيمان بأسمائه وصفاته، نبه المصنف على وجوب الإيمان بذلك. وأيضاً فالتوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد العبادة. والأوّلان وسيلة إلى الثالث، فهو الغاية والحكمة؛ المقصود بالخلق والأمر. وكلها متلازمة فناسَب التنبيه على الإيمان بتوحيد الصفات.

قال: وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ...﴾ الآية [الرعد: ٣٠].

أي: يجحدون هذا الاسم، لا أنهم يجحدون الله، فإنهم يُقرّون

به كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] والمراد بهذا كفار قريش أو طائفة منهم، فإنهم جحدوا هذا الاسم عِناداً أو جهلاً، ولهذا لمّا قال النبي ﷺ لعلي يوم الحُدَيْبِيَةِ: «اكتب: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①﴾». فقالوا: لا نعرف الرحمٰن ولا الرحيم، [* ع (٢٧٣١)]، وفي بعض الروايات: (لا نعرف الرحمٰن إلا رحمٰان اليَمَامة). يعنون مُسَيْلِمة الكذاب، فإنه ـ قبَّحه الله ـ كان قد تسمّى بهذا الاسم. وأما كثير من أهل الجاهلية فيُقرّون بهذا الاسم كما قال بعضهم:

وما يشإ الرحمٰن يعقد ويطلق

قال ابن كثير: (﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾) أي: لا يقرون به، لأنهم يَأبَوْنَ مِن وصف الله ﴿بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الرحيم. **ومطابقة** الآية للترجمة ظاهرة، لأن الله تعالى سمى جحود اسم من أسمائه كفراً، فدل على أن جحود شيء من أسماء الله وصفاته كفر، فمَن جحد شيئاً من أسماء الله وصفاته من الفلاسفة والجَهْمية والمعتزلة ونحوهم، فله نصيب من الكفر بقدر ما جحد من الاسم أو الصفة، فإن الجَهْمية والمعتزلة ونحوهم، وإن كانوا يقرون بجنس الأسماء والصفات فعند التحقيق لا يقرون بشيء، لأن الأسماء عندهم أعلام مَحْضة، لا تدل على صفات قائمة بالرب تبارك وتعالى وهذا نصف كفر الذين جحدوا اسم الرحمٰن.

وقوله: (﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ③⓪﴾). أي: (﴿قُلْ﴾) يا محمد راداً عليهم في كفرهم بالرحمٰن تبارك وتعالى: ﴿هُوَ﴾ أي: الرحمٰن ﷻ (﴿رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) أي: لا معبود سواه (﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾) أي: إليه مرجعي وأَوْبتي، وهو مصدر؛ من قول القائل: تُبْتُ متاباً وتوبة. **قاله ابن جرير.**

وفي الآية دليل: **على** أن التوكل عبادة. **وعلى**: أن التوبة عبادة،

وإذا كان كذلك فالتوبة إلى غيره شرك. ولمّا قال سارق ـ وقد قطعت يده ـ للنبي ﷺ: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد = قال النبي ﷺ: «عرف الحق لأهله» رواه أحمد (١٥٥٦٥). [ضعيف]

قال: وفي «صحيح البخاري» قال علي: حدِّثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يُكذَّبَ الله ورسوله.

ش: هذا الأثر رواه البخاري (١٢٧) مسنداً لا مُعلَّقاً، لكنه في بعض الروايات علقه أولاً ثم ذكر إسناده، وفي بعضها ساق إسناده أولاً فرواه عن عُبيد اللَّه بن موسى، عن معروف بن خُرَّبوذ، عن أبي الطُّفَيل، عن علي، به، ولفظه: أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

قوله: (بما يعرفون) أي: بما يفهمون. **قال الحافظ:** وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب «العلم» له عن عبد اللَّه بن داود عن معروف في آخره: ودَعُوا ما يُنْكِرون. أي: ما يشتبه عليهم فهمه. قال: **وفيه:** دليل على أن المُتشابِه لا ينبغي أن يذكر عند العامة. ومثله قول ابن مسعود: ما أنت مُحَدِّثٌ قوماً حديثاً لا تَبْلُغُه عقولُهم إلا كان لبعضهم فتنة؛ رواه مسلم [بعد (٥)] قال: وممن رأى التحديثَ ببعضٍ دون بعضٍ: أحمدُ في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالكٌ في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومِن قَبْلهم أبو هريرة كما تقدم عنه[1] في الجِرابَين وأن المراد ما يقع من الفتن، ونحوه عن حذيفة. وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنسٍ للحَجّاج بقصة العُرَنيين، لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي. وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يُقوّي البدعة، وظاهره في الأصل غير مُرادٍ، فالإمساك عنه ـ عند مَن يُخشى

(١) أي في البخاري (١٢٠) إذ هذا النص قطعة من «شرح البخاري» لابن حجر.

عليه الأخذُ بظاهره ـ مطلوبٌ. **انتهى**[١].

وما ذكره عن مالك في أحاديث الصفات ما أظنه يثبت عن مالك، وهل في أحاديث الصفات أكثر من آيات الصفات التي في القرآن؟ فهل يقول مالك أو غيره من علماء الإسلام: إن آيات الصفات لا تتلى على العوام! وما زال العلماء قديماً وحديثاً من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم يقرؤون آياتِ الصفات، وأحاديثَها بحضرة عوامّ المؤمنين وخواصّهم، بل شَرْط الإيمان هو الإيمان بالله وصفاتِ كماله التي وصف بها نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ فكيف يكتم ذلك عن عوامّ المؤمنين؟! بل نقول: من لم يؤمن بذلك فليس من المؤمنين، ومَن وجد في قلبه حرجاً من ذلك، فهو من المنافقين. ولكن هذا مِن بدع الجَهْمية وأتْباعهمُ الذين ينفون صفات الرب تبارك وتعالى، فلمّا رَأَوْا أحاديث الصفات مُبْطِلةً لمذاهبهم، قامعةً لبدعهم؛ تَواصَوْا بكتمانها عن عوامّ المؤمنين، ، لئلا يعلموا ضلالهم، وفسادَ اعتقادهم. فاعلم ذلك.

وفي الأثر: دليل على أنه إذا خشي ضرر من تحديث الناس ببعضِ ما يعرفون فلا ينبغي تحديثهم به، وليس ذلك على إطلاق. **وأن** كثيراً من الدِّين والسنن يجهله الناس، فإذا حُدّثوا به كَذّبوا بذلك وأعظموه، فلا يترك العالم تحديثهم، بل يعلمهم برِفق ويدعوهم ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١) قال في «فتح المجيد»: وقد كان شيخنا المصنف ﷺ لا يحب أن يقرأ على الناس إلا ما ينفعهم في أصل دينهم وعبادتهم ومعاملاتهم، الذي لا غنىً لهم عن معرفته، وينهاهم عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي: كـ «المنعش» و«المرعش» و«التبصرة» لما في ذلك من الإعراض عما هو أوجب وأنفع، وفيها ما الله أعلم، مما لا ينبغي اعتقاده. والمعصوم من عصمه الله.

قال: وروى عبد الرزاق (٢٠٨٩٥) عن مَعْمَر، عن [ابن] طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس أنه رأى رجلاً انتفض ـ لمّا سمع حديثاً عن النبي ﷺ، في الصفات، استنكاراً لذلك ـ فقال: ما فرق هؤلاء، يَجِدُون رِقّة عند محكمه، ويَهْلِكون عند مُتشابِهه. **انتهى**[(١)].

ش: **قوله**: (**روى عبد الرزاق**) هو ابن همام الصنعاني، الإمام الحافظ صاحب التصانيف كـ «المصنف» وغيره. روى عنه أحمد بن حنبل ويحيـى بن مَعين، وخَلْقٌ لا يُحْصَوْن، مات سنة إحدى عشرة ومئتين.

و(**معمر**) هو ابن راشد الأَزْديّ، أبو عُرْوة البصري، نزل اليمن، ثقة ثَبْتٌ، مات سنة أربع وخمسين ومئة، وله ثمان وخمسون سنة.

و(**ابن طاوس**) هو عبد اللَّه بن طاوس اليماني، ثقة فاضل عابد، مات سنة اثنتين وثلاثين ومئة. وأبوه **طاوس** بن كَيْسان اليماني، ثقة فقيه فاضل من جِلّة أصحاب ابن عباس وعلمائهم، مات سنة ست ومئة.

قوله: (**أنه رأى رجلاً**) لم يُسَمَّ هذا الرجل.

قوله: (**انتفض**) أيِ: ارتعد (**لمّا سمع حديثاً عن النبي ﷺ**) فاستنكره، إما لأن عقله لا يحتمله، أو لكونه اعتقد عدم صحته فأنكره.

قوله: (**فقال**) أيِ: ابن عباس، وهو عبد اللَّه رضي الله عنه.

قوله: (**ما فرق هؤلاء**) يحتمل وجهين:

أحدهما: أن تكون (**ما**) استفهامية إنكارية. و(**فَرَقُ**) بفتح الفاء والراء، وهو الخوف والفزع، أي: ما فَزَعُ هذا وأضرابِه من أحاديث الصفات واستنكارهم لها؟! والمراد الإنكار عليهم، فإن الواجب على

---

(١) ورواه ابن أبي عاصم (٤٨٥) بنحوه بإسناد صحيح.

العبد التسليم والإذعان والإيمان بما صح عن الله وعن رسوله ﷺ وإن لم يُحِطْ به علماً. ولهذا قال الشافعي: آمنت بالله، وبما جاء عن الله على مُرادِ الله، وآمنت برسول الله، وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.

والثاني: أن يكون بفتح الفاء وتشديد الراء، ويجوز تخفيفها. و**(ما)** نافية أي: **ما فَرّق** هذا وأضرابه بين الحق والباطل، ولا عرفوا ذلك، فلهذا قال: **(يَجِدُون رقة)** وهي ضد القسوة، أي: ليناً وقَبولاً للمحكم، **(ويَهلِكون عند متشابِهه)** أي: ما يشتبه عليهم فهمه، لأن آيات الصفات هي المُتشابه كما تقوله الجَهْمية ونحوُهم، ولأن في القرآن متشابهاً لا يعرف معناه كالألفاظ الأعجمية، فإن لفظ التَّشابُه والمُتشابِه يدلان على بُطلان ذلك، وإنما المراد بالمُتشابِه، أي: ما يَشتبه فَهْمُه على بعض الناس دون بعض، فالمتشابه أمر نسبيّ إضافيّ، فقد يكون مشتبِهاً بالنسبة إلى قوم، بَيِّناً جَليّاً بالنسبة إلى آخرين. ولهذا قال النبي ﷺ لمّا خرج على قوم يتراجعون في القرآن، فغضب وقال: «بهذا ضَلّتِ الأمم قبلكم؛ باختلافِهم على أنبيائهم، وضربِ الكتاب بعضه ببعض، وإنّ القرآن لم يَنزلْ لِيكذّب بعضه بعضاً، ولكن نزل لأن يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه عليكم فآمنوا به» رواه ابن سعْد (١٩٢/٤) وابن الضُّريس وابن مردويه.

وأما قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران]. **فقال ابن كثير**: يخبر تعالى أن في القرآن ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾، أي: بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات ﴿وَأُخَرُ﴾ فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم. فمَن رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحَكّم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس، ولهذا قال: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾، أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ أي: تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد

تحتمل أشياء أخرى من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهمُ الفاسدةِ، وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لِما يصرفونه. فأما المحكم، فلا نصيب لهم فيه، لأنه دافِعٌ لهم، وحجة عليهم، ولهذا قال: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ أيِ: الإضلال لأتْباعهم، إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهو حجة عليهم لا لهم. **انتهى**.

وقال ابن عباس: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ يعني أهل الشك، فيحملون المحكم على المتشابه، والمتشابه على المحكم، ويُلبّسون، فلبّس الله عليهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قال: تأويله يوم القيامة، لا يعلمه إلا الله؛ رواه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتِم.

وقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ تقدم كلام ابن عباس. وقال مُقاتِل والسُّدّيّ: يبتغون أن يعلموا ما يكون، وما عواقب الأشياء من القرآن.

قلت: فهذا التأويل الذي انفرد الله بعلمه هو العلم بحقائق الأشياء وما تؤول إليه وعواقبها، كالإخبار بما يكون، وما في الجنة من النعيم، وما في النار من العذاب؛ فإن هذه الأمور وإنْ علمناها لكن العلم بحقائقها مما لا يعلمه إلا الله. ولهذا قال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء. فعلى هذا يكون الوقف على الجَلاَلة كما روي عن جماعة من السلف، وقيل: الوقف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ أي: (﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ فأما أهل الزيغ فلا يعلمون تأويله) وعلى هذا فالمراد بتأويله هو تفسيره وفهم معناه، وهذا هو المروي عن ابن عباس وجماعة من السلف. قال ابن أبي نَجيح عن مجاهد عن ابن عباس: أنا من الراسخين الذين يعلمون ﴿تَأْوِيلِهِۦ﴾. وقال مجاهد: (﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ يعرفون تأويله ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾). وكذا قال الربيع بن أنس وغيره.

جزءه المنذري

فقد تبين - ولله الحمد - أنه ليس في الآية حجة للمبطلين في جعلهم ما أخبر الله به من صفاتٍ كماله هو المتشابه، ويحتجون على باطلهم بهذه الآية. فيقال: وأين في الآية ما يدل على مطلوبكم؟ وهل جاء نصٌّ عن الله أو عن رسوله ﷺ أنه جعل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله متشابهاً؟! ولكن أصل ذلك أنهم ظنوا أن التأويل المراد في الآية هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى ما يحتمله اللفظ لدليلٍ يقترن بذلك، وهذا هو اصطلاح كثير من المتأخرين، وهو اصطلاحٌ حادث، فأرادوا حمل كلام الله على هذا الاصطلاح فـ ﴿ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١٦٧﴾ [النساء] وظنوا أن لنصوص الصفات تأويلاً يخالف ما دلت عليه؛ لا يعلمه إلا الله كما يقوله أهل التجهيل، أو يعلمه المتأولون كما يقوله أهل التأويل.

وفي الأثر المشروح: دليل على ذكر آيات الصفات، وأحاديثها بحضرة عوامّ المؤمنين وخواصّهم، **وأن**: مَن رد شيئاً منها أو استنكره بعد صحته، فهو ممن لم يفرق بين الحق والباطل، بل هو من الهالكين. **وأنه**: ينكر عليه استنكاره.

قال: ولمّا سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمـٰن أنكروا ذلك فأنزل الله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

ش: هكذا ذكر المصنف هذا الأثر بالمعنى، وقد روى ابن جرير وابن المنذر عن ابن جُرَيج [عن مجاهد] في الآية، قال: هذا لمّا كاتَبَ رسول الله ﷺ قريشاً في الحديبية، كتب: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾. فقالوا: لا نكتب الرحمـٰن، ولا ندري ﴿مَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] ولا نكتب إلا: باسمك اللهم، فأنزل الله ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾. **وفيه**: دليل على أن من أنكر شيئاً من الصفات، فهو من الهالكين، لأن الواجب على العبد الإيمان بذلك، سواء فَهِمه أم لم يفهمه، وسواء قَبِله عقله أو أنكره. فهذا: هو الواجب على العبد في كل ما صح عن الله ورسوله ﷺ، وهو الذي ذكر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

٣٥ ـ باب قول الله تعالى:

﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا...﴾ ﴿٨٣﴾ الآية [النحل]

ش: المراد بهذه الترجمة التأدب مع جناب الربوبية عن الألفاظ الشركية الخفية، كنسبة النعم إلى غير الله؛ فإن ذلك باب من أبواب الشرك الخفي، وضده باب من أبواب الشكر كما في الحديث الذي رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٤١٥) عن جابر مرفوعاً: «من أولي معروفاً فلم يجد له جزاء إلا الثناء فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره»، وفي رواية جيدة لأبي داود (٤٨١٤) «مَن أُبليَ [بلاءً] فذكره فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره». صحيح **قال المنذري**: «من أبلي» أي: مَن أُنعم عليه. (الإبلاء): الإنعام. فإذا كان ذكر المعروف الذي يقدره الله على يدي إنسان مِن شكره، فذكر معروف رب العالمين وآلائه وإحسانه ونسبة ذلك إليه أولى بأنْ يكون شكراً.

قال المصنف: قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي، وَرِثْتُه عن آبائي.

ش: هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتِم، ولفظه ـ كما في «الدر» ـ قال: المساكن والأنعام وسرابيل الثياب والحديد، يعرفه كفار قريش ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا كان لآبائنا وَرِثْناه عنهم.

قال ابن القيم ما معناه: لمّا أضافوا النعمة إلى غير الله فقد أنكروا نعمة الله بنسبتها إلى غيره، فإن الذي يقول هذا، جاحدٌ لنعمة الله عليه غير معترف بها، وهو كالأبرص والأقرع ـ اللّذين ذَكَرهما المَلَكُ بنعم الله عليهما فأنكراها وقالا: إنما ورثنا هذا «كابراً عن كابر» [م (٢٩٦٤)، خ (٣٤٦٤)] ـ، وكونها موروثة عن الآباء أبلغ في إنعام الله عليهم، إذْ أنعم بها على آبائهم ثم وَرَّثهم إياها فتمتعوا هم وآباؤهم بنعمه.

وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

ش: هذا الأثر رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتِم ولفظه ـ كما في «الدر» ـ: لولا فلان؛ أصابني كذا وكذا، ولولا فلان؛ لم أُصِبْ كذا وكذا. و(**عون**) هذا هو ابن عبد اللَّه بن عتبة بن مسعود الهُذَليّ، أبو عبد اللَّه الكوفي، ثقة عابد مات قبل سنة عشرين ومئة.

قوله: (**لولا فلان...**) إلى آخره. **قال ابن القيم** ما معناه: هذا يتضمن قطعَ إضافةِ النعمة، عمّن لولاه لم تكن، وإضافتَها إلى من لم ﴿يَمْلِكُ﴾ لنفسه ﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة:٧٦] فضلاً عن غيره، وغايته أن يكون جزءاً من أجزاء السبب، أجرى الله نعمته على يده، والسبب لا يَستقِلّ بالإيجاد، وجَعْلُه سبباً هو من نعم الله عليه. فهو المنعم بتلك النعمة، وهو المنعم بما جعله من أسبابها، فالسبب والمسبَّب من إنعامه، وهو تعالى كما أنه قد ينعم بذلك السبب، فقد ينعم بدونه ولا يكون له أثر، وقد يسلبه سَبَبِيّته، وقد يجعل لها معارضاً يقاومها، وقد يرتب على السبب ضد مقتضاه، فهو وحده المنعم على الحقيقة.

قال: وقال ابن قتيبة [في «تفسير غريب القرآن»]: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

ش: (**ابن قتيبة**) هو عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة الدِّيْنَوَرِيّ الحافظ، صاحب «التفسير» و«المعارف» وغيرها. وثَّقه الخطيب وغيره، مات سنة سبع وستين ومئتين، أو قبلها(١).

قوله: (**يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا**) **قال ابن القيم**: هذا يتضمن الشرك مع إضافة النعمة إلى غير وليّها، فالآلهة التي تعبد من دون الله أحقر وأذلُّ مِن أنْ تشفع عند الله، وهي مُحْضَرة في الهوان والعذاب مع عابدِيها، وأقربُ الخلق إلى الله وأحبُّهم إليه؛ لا ﴿يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ [البقرة:٢٥٥] ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس:٣] ﴿لِمَنِ﴾ [الأنبياء:٢٨] ارتضاهُ؛

(١) إنما مات ابن قتيبة ٢٧٦هـ.

فالشفاعة بإذنهِ من نعمه، فهو المنعم بالشفاعة، وهو المنعم بقَبولها، وهو المنعم بتأهيل المشفوع له، إذْ ليس كل أحد أهلاً أن يشفع له. فمَنِ المنعم على الحقيقة سواه؟! قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣] فالعبد لا خروج له عن نعمة الله وفضله ومنّته وإحسانه طرفة عين، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا ذم سبحانه مَن آتاه شيئاً من نعمه فـ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨].

قال المصنف: وقال أبو العباس ـ بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه أن الله تعالى قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» الحديث. وقد تقدم (= ٣٩٢) ـ: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه مَن يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به. قال بعض السلف: هو كقولهم: كانتِ الريح طيبة، والمَلّاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنةِ كثيرٍ. متفق عليه

ش: قوله: (وقال أبو العباس) هو شيخ الإسلام ابن تَيْمِيّة رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (قال بعض السلف) لم أقف على تسمية هذا البعض.

قوله: (كانتِ الريح طيبة، والمَلّاح حاذقاً) المَلّاح: هو سائس السفينة. والمعنى: أن السفن إذا ﴿جَرَيْنَ . . . بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس:٢٢] بأمر الله جَرْياً حسناً نسبوا ذلك إلى طِيب الريح، وحِذق الملاح في سياسة السفينة، ونَسُوْا ربهمُ الذي أجرى لهم الفلك في البحر رحمة بهم كما قال تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [الإسراء:٦٦] فيكون نسبةُ ذلك إلى طيب الريح وحذق الملاح؛ من جنس نسبة المطر إلى الأنواء، وإن كان المتكلم بذلك لم يقصد أن الريحَ والمَلّاح هو الفاعلُ لذلك من دون خَلْق الله وأمْره وإنما أراد أنه سبب. لكن لا ينبغي أن يضيف ذلك إلا إلى الله وحده؛ لأن غاية الأمر في ذلك أن يكون الريح والمَلّاح سبباً، أو جزءَ سبب. ولو شاء الرب تبارك وتعالى لَسَلَبه سَبَبِيّته، فلم يكن سبباً

أصلاً. فلا يليق بالمنعم عليه المطلوبِ منه الشكر: أن ينسى من بيده ﴿ٱلْخَيْرُ﴾ كله وهو ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران]، ويُضيفَ النعم إلى غيره، بل يذكرها مضافة منسوبة إلى مولاها والمنعم بها، وهو المنعم على الإطلاق كما قال تعالى: ﴿۝٥٢ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل] فهو المنعم بجميع النعم في الدنيا والآخرة وحده ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام:١٦٣]. فإن ذلك من شكرها، وضِدَّه من إنكارها. ولا يُنافي ذلك الدعاءَ والإحسان إلى من كان سبباً أو جزءَ سببٍ في بعض ما يَصِلُ إليك من النعم من الخلق. **قال المصنف:** وفيه: **اجتماع الضدين في القلب.**

٣٦ ـ باب قول الله:
﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة]

اعلم أن مِن تحقيق التوحيد الاحترازَ من الشرك بالله في الألفاظ، وإن لم يقصد المتكلم بها معنىً لا يجوز، بل ربما تجري على لسانه من غير قصد، كمن يجري على لسانه ألفاظ من أنواع الشرك الأصغر لا يقصدها.

فإن قيل: الآية نزلت في الأكبر.

قيل: السلف يحتجّون بما نزل في الأكبر: على الأصغر، كما فسرها ابن عباس، وغيره ـ فيما ذكره المصنف عنه ـ بأنواع من الشرك الأصغر، وفسرها أيضاً بالشرك الأكبر، وفسرها غيره بشرك الطاعة، وذلك لأن الكلَّ شرك. ومعنى الآية: أن الله تبارك وتعالى نهى الناس أن يجعلوا له ﴿أَندَادًا﴾ أي: أمثالاً في العبادة والطاعة، وهم يعلمون أن الذي فعل تلك الأفعال، فهو ربهم وخالِقهم، وخالِق مَن قبلهم، وجاعل على ﴿ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ والذي ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ﴾ أنواع ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا﴾ لهم. فإذا كنتم ﴿تَعْلَمُونَ﴾ ذلك ﴿فَلَا تَجْعَلُوا﴾ له ﴿أَندَادًا﴾. **قال ابن القيم:** فتأمل

هذه، وشدّةَ لزومها لتلك المقدمات قبلها، وظَفَرَ العقلِ بها بأول وهلة، وخلوصَها من كل شبهة ورَيْب وقادح؛ إذا كان الله وحده هو الذي فعل هذه الأفعال، فكيف تجعلون له ﴿أَندَادًا﴾ وقد علمتم أنه لا نِدّ له يشاركه في فعله؟!

قال المصنف: قال ابن عباس في الآية: الأنداد، هو: «الشرك أخفى من دبيب النمل»، على صفاةٍ سوداءَ في ظُلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة، وحياتي. وتقولَ: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البَطّ في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها (فلان)، هذا كله به شرك؛ رواه ابن أبي حاتِم.

ش: هذا الأثر رواه ابن أبي حاتِم، كما قال المصنف، وسنده جيد.

قوله: (هو **«الشرك أخفى من دبيب النمل»**. . .) إلى آخره. أي: إن هذه الأمور ـ من الشرك ـ خفيّةٌ في الناس، لا يكاد يتفطن لها ولا يعرفها إلا القليل، وضرب المثل لخفائها بما هو أخفى شيء وهو أثر النمل، فإنه خفيّ، فكيف إذا كان على صفاةٍ؟! فكيف إذا كانت سوداءَ؟! فكيف إذا كانت في ظلمة الليل؟! وهذا يدل على شدة خفائه على مَن يدّعي الإسلام، وعُسْرِ التخلّص منه، ولهذا جاء في حديث أبي موسى قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «أيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل»، فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتّقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لِما لا نعلمه» رواه أحمد (١٩٥٥٣) والطبراني. حسن: «الترغيب» (٣٣)

قوله: (**وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة، وحياتي**) أي: إن من الحلف بغير الله، الحلفَ بحياة المخلوق، وسيأتي الكلام عليه (= ٥١١).

قوله: (**وتقولَ: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص**) أي: السُّرّاق.

والمعنى: أن من الشرك نسبة عدم السرقة إلى الكلبة التي إذا رأتِ السُّرّاق نَبَحَتْهم، فاستيقظ أهلها وهرب السُّرّاق. وربما امتنعوا مِن إتيان المحل الذي هي فيه خوفاً مِن نُباحها، فيعلم بهم أهلها، كما [ضعيف] روى ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٥٧) عن ابن عباس قال: إن أحدكم ليشرك، حتى يشرك بكلبه؛ يقول: لولاه لَسُرِقْنا الليلةَ.

قوله: (ولولا البَطُّ في الدار لأتى اللصوص) **البَطُّ** بفتح الموحَّدة: طائر معروف يُتّخذ في البيوت، وإذا دخلها غريب صاحَ[1] واستنكره، وهو الإِوَزّ بكسر الهمزة وفتح الواو. ومعناها كالذي قبله. والواجب نسبة ذلك إلى الله تعالى، فهو الذي يحفظ عباده ويكلؤهم بالليل والنهار كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنبياء].

قوله: (وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت) وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله (= ٥١٨).

قوله: (وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها (فلان)) هكذا ثبت بخط **المصنف** بلا تنوين. والمعنى: (**لا تجعل فيها**) أي: في هذه الكلمة (**فلاناً**) فتقول: (**لولا الله وفلان**) بل قل: لولا الله وحده، ولا تقل: (**لولا الله وفلان**). فهو نهيٌ عن ذلك.

قوله: (**هذا كله به**) أي: بالله (**شرك**) وأعاد الضمير على الله، لأنه قد تقدم ذكر اسمه ﷻ. **فتبين**: أن هذه الأمور ونحوَها: من الألفاظ الشركية الخفيّة كما نص عليه ابن عباس رضي الله عنهما.

صحيح **قال**: وعن [ابن] عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «مَن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

---

(١) في الطبعة الأولى: صلح.

ش: **قوله**: (**عن عمر بن الخطاب**) هكذا وقع في الكتاب، وصوابه: (عن ابن عمر) كذلك أخرجه أحمد (٦٠٦٦) وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٩٠) والحاكم (١/١٨. ٤/٢٩٧) وصححه ابن حبان (٤٣٥٨). **وقال الزَّيْنُ العراقيّ** في «أماليه»: إسناده ثقات.

قوله: (**«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»**) قال بعضهم ما معناه: رواه الترمذي: بـ «أو» التي للشك، وفي ابن حبان والحاكم عدمها. وفي روايةٍ للحاكم: «كل يمين يحلف بها دون الله شرك». وفي «الصحيحين» [خ (٦٦٤٦)، م (١٦٤٦)] من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت». وعن بُريدة مرفوعاً: «من حلف بالأمانة فليس منا» رواه أبو داود (٣٢٥٣). والأحاديث في ذلك كثيرة، وقد تقدم كلام ابن عباس في عدِّه ذلك من الأنداد (= ٥٠٩). وقال كعب: إنكم تشركون؛ صحيح في قول الرجل: كلّا وأبيك، كلّا والكعبة، كلّا وحياتك، وأشباه هذا، احلف بالله صادقاً أو كاذباً، ولا تحلف بغيره؛ رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٥٦). وأجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله، أو بصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره. **قال ابن عبد البر**: لا يجوز الحلف بغير الله، بالإجماع. **انتهى**. ولا اعتبار بمَنْ قال من المتأخرين: إن ذلك على سبيل كراهة التنزيه، فإن هذا قول باطل. وكيف يقال ذلك لِما أطلق عليه الرسول ﷺ أنه كفر أو شرك، بل ذلك محرم. ولهذا اختار ابن مسعود رضي الله عنه أن يحلف بالله كاذباً، ولا يحلف بغيره صادقاً [طب (٨٩٠٢)]. فهذا يدل على أن الحلف بغير الله أكبر من الكذب. مع أن الكذب من المحرمات في جميع المِلَلِ، فدل ذلك أن الحلف بغير الله من أكبر المحرمات.

فإن قيل: إن الله تعالى أقسم بالمخلوقات في القرآن.

= **قيل**: ذلك يختص بالله تبارك وتعالى، فهو يُقسِم بما شاء من خلقه؛ لِما في ذلك من الدلالة على قدرة الرب ووحدانيته وإلٰهيته

وعلمه وحكمته وغير ذلك من صفات كماله. وأما المخلوق فلا يُقسِم إلا بالخالق تعالى. فالله تعالى يُقسِم بما يشاء من خلقه. وقد نهانا عن الحلف بغيره، فيجب على العبد التسليم والإذعان لِما جاء من عند الله. قال الشَّعْبيّ: الخالق يُقسِم بما شاء من خلقه والمخلوق لا يقسم إلا بالخالق، قال: وَلأَنْ أُقسِمَ بالله فأَحْنَثَ: أَحَبُّ إليّ مِن أن أقسم بغيره فأَبَرَّ = وقال مُطَرِّفُ بن عبد الله: إنما أَقْسَمَ الله بهذه الأشياء لِيُعَجِّبَ بها المخلوقين ويُعرِّفهم قدرته؛ لِعِظَمِ شأنها عندهم، ولدلالتها على خالقها = **ذكرهما ابن جرير**.

فإن قيل: قد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال للأعرابي الذي سأله عن أمور الإسلام فأخبره، فقال النبي ﷺ: «أَفلَحَ وأبيه إنْ صَدَقَ» رواه البخاري (٤٦)[1]، وقال ـ للذي سأله: أي الصدقة أفضل؟ـ «أمَا وأبيك لَتُنَبَّأنَّه» رواه مسلم (١٠٣٢) ونحو ذلك من الأحاديث.

= **قيل**: ذكر العلماء عن ذلك أجوبة:

أحدها: **ما قاله ابن عبد البر** ـ في قوله: «أفلح وأبيه إنْ صَدَقَ» ـ: هذه اللفظة غيرُ محفوظة، وقد جاءت عن راويها إسماعيل بن جعفر: «أفلح والله إن صدق». قال: وهذا أَوْلى من رواية مَن روى عنه بلفظ: «أفلح وأبيه» لأنها لفظة منكرة تَردّها الآثار الصحاح، ولم تقع في رواية مالك أصلاً، وزعم بعضهم أن بعض الرواة عنه؛ صَحّف قوله: «وأبيه» من قوله: «والله». **انتهى**. وهذا جوابٌ عن هذا الحديث الواحد فقط ولا يمكن أن يُجاب به عن غيره.

الثاني: أن هذا اللفظ كان يجري على ألسنتهم من غير قصدٍ للقسم به، والنهيُ إنما ورد في حق مَن قصد حقيقة الحلف. **ذكره**

(١) لكن ليس فيه: «وأبيه» وهي في مسلم (١١).

البيهقي. وقال النووي: إنه المَرْضيّ. **قلت:** هذا جواب فاسد، بل أحاديث النهي عامة مطلقة ليس فيها تفريق بين مَن قصد القسم وبين مَن لم يقصد. ويؤيد ذلك أن سعد بن أبي وقاص ﷺ حلف مرة باللات والعزى (=٥١٤)، ويَبْعُدُ أن يكون أراد حقيقة الحلف بهما، ولكنه جرى على لسانه من غير قصدٍ؛ على ما كانوا يعتادونه قبل ذلك، ومع هذا نهاه النبي ﷺ. غاية ما يقال: إن مَن جرى ذلك على لسانه من غير قصد: معفوٌّ عنه، أمّا أن يكون ذلك أمراً جائزاً للمسلم أنْ يعتاده فَكَلّا. وأيضاً فهذا يحتاج إلى نقل أن ذلك كان يجري على ألسنتهم من غير قصدٍ للقسم، وأن النهي إنما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف وأنّى يوجد ذلك؟!

الثالث: أن مثل ذلك يُقصَد به التأكيد لا التعظيم، وإنما وقع النهي عما يُقصَد به التعظيم. **قلت:** وهذا أَفْسَدُ من الذي قبله، وكأن مَن قال ذلك لم يتصور ما قال، فهل يراد بالحلف إلا تأكيد المحلوف عليه بذكر مَن يُعظِّمه الحالف والمحلوف له؟! فتأكيد المحلوف عليه بذكر المحلوف به مُستلزِمٌ لتعظيمه. وأيضاً فالأحاديث مطلقة ليس فيها تفريق. وأيضاً فهذا يَحتاج إلى نقلِ أن: ذلك جائز للتأكيد دون التعظيم وذلك معدوم.

الرابع: أن هذا كان في أول الأمر ثم نُسخ، فما جاء من الأحاديث فيه ذكر شيء من الحلف بغير الله فهو قبل النسخ، ثم نسخ ذلك ونُهي عن الحلف بغير الله. **وهذا الجواب ذكره الماوردي. قال السهيلي:** أكثر الشراح عليه، حتى **قال ابن العربي:** روي أنه ﷺ كان يحلف بأبيه حتى نهي عن ذلك. **قال السهيلي:** ولا يصح ذلك. وكذلك قال غيرهم. **وهذا** الجواب هو الحق، يؤيده أن ذلك كان مستعملاً شائعاً. حتى ورد النهي عن ذلك كما في حديث ابن عمر أن النبي ﷺ أدرك عمر بن الخطاب يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، مَن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»

رواه البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦). وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله» وكانت قريش تحلف بآبائها فقال: «ولا تحلفوا بآبائكم» رواه مسلم (١٦٤٦). وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: حلفت مرة باللات والعزى، فقال النبي ﷺ: «قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم انفث عن يسارك ثلاثاً وتَعوّذْ ولا تَعُدْ» رواه النسائي (٣٧٧٦)، وابن ماجه (٢٠٩٧)، وهذا لفظه. وفي هذا المعنى أحاديث. فما ورد فيه ذكر الحلف بغير الله، فهو جارٍ على العادة قبل النهي، لأن ذلك هو الأصل، حتى ورد النهي عن ذلك. ضعيف

قوله: (**«فقد كفر أو أشرك»**) أخذ به طائفة من العلماء فقالوا: يكفر مَن حلف بغير الله كُفْرَ شِرْكٍ، قالوا: ولهذا أمره النبي ﷺ بتجديد إسلامه بقول: لا إلـٰه إلا الله. فلولا أنه كُفْرٌ ينقل عن المِلّة لم يؤمر بذلك. وقال الجمهور: لا يكفر كفراً ينقله عن الملة، لكنه من الشرك الأصغر كما نص على ذلك ابن عباس وغيره. وأما كونه أَمَرَ مَن حلف باللات والعُزّىٰ أن يقول: لا إلـٰه إلا الله، فلأنّ هذا كفارة له مع استغفاره كما قال في الحديث الصحيح: «ومن حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إلـٰه إلا الله» [خ (٦٦٥٠)، م(١٦٤٧)] وفي رواية: «فليستغفر». **فهذا** كفارة له في كونه تَعاطىٰ صورة تعظيم الصنم، حيث حلف به، لا أنه لتجديد إسلامه، ولو قُدّر ذلك فهو تجديد لإسلامه لِنقْصِه بذلك لا لِكُفْره. لكن الذي يفعله عبَّاد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله، أعطاك ما شئت من الأيمان صادقاً أو كاذباً. فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تربته أو حياته، ونحو ذلك، لم يُقدِم على اليمين به إنْ كان كاذباً. **فهذا** شرك أكبر بلا ريب، لأن المحلوف به عنده أخوفُ وأجلُّ وأعظمُ من الله. وهذا ما بلغ إليه شِرك عباد الأصنام، لأن جَهْدَ اليمين عندهم هو الحلف بالله كما قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن

يَمُوتُ﴾ [النحل] فمَن كان جَهْدُ يمينه الحلفَ بالشيخ أو بحياته أو تربته، فهو أكبر شركاً منهم. **فهذا** هو تفصيل القول في هذه المسألة. **والحديث** دليل على: أنه لا تجب الكفارة بالحلف بغير الله مطلقاً، لأنه لم يذكر فيه كفارة للحلف بغير الله ولا في غيره من الأحاديث، فليس فيه كفارة إلّا النطق بكلمة التوحيد والاستغفار. وقال بعض المتأخرين: تجب الكفارة بالحلف برسول الله ﷺ خاصة، **وهذا** قول باطل ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ به ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف: ٤٠، النجم: ٢٣]، فلا يلتفت إليه. وجوابه المنع.

قال المصنف: وقال ابن مسعود: لأن أحلفَ بالله كاذباً: أحَبُّ إليَّ مِن أن أحلف بغيره صادقاً.

ش: هكذا ذكر المصنف هذا الأثر عن ابن مسعود ولم يَعْزُه. وقد ذكره ابن جرير بغير سند أيضاً، قال: وقد جاء عن ابن عباس وابن عمر نحوه، ورواه الطبراني (٨٩٠٢) بإسناد موقوفاً هكذا. **قال المنذري**: ورواته رواة الصحيح.

قوله: (**لأَنْ أَحْلِفَ بالله**...) إلى آخره. (أن) هي المصدرية، والفعل بعدها منصوب في تأويلِ مصدرٍ مرفوعٍ على الابتداء، و(أَحَبُّ) خبره. ومعناه ظاهر. وإنما رجح ابن مسعود رضي الله عنه الحلفَ بالله كاذباً على الحلف بغيره صادقاً، لأن الحلف بالله توحيد، والحلف بغيره شرك، وإن قُدِّرَ الصدقُ في الحلف بغير الله = فحسنةُ التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك. **ذكره شيخ الإسلام**. **وفيه** دليل على: أن الحلف **بغير الله صادقاً** أعظم **من اليمين الغموس**. **وفيه** دليل على أن الشركَ الأصغرَ أكبرُ من الكبائر. **وفيه**: شاهد للقاعدة المشهورة وهي: ارْتكاب أقلِّ الشَّرَّيْنِ ضرراً إذا كان لا بد من أحدهما.

قال: وعن حذيفة عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله صحيح

وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» رواه أبو داود بسند صحيح.

ش: هذا الحديث رواه أبو داود (٤٩٨٠)، كما قال المصنف، ورواه أحمد (٢٣٢٥٧) وابن أبي شيبة (٣٤٦/١٠)، والنسائي (١٠٨٢١)، وابن ماجه (٢١١٨) والبيهقي (٢١٦/٣) وله عِلّة. وله شواهدُ. وهو صحيح المعنى بلا رَيْبٍ. وسيأتي الكلام على معناه في (باب: ما شاء الله وشئت) إن شاء الله (= ٥١٨).

ضعيف

قال: وجاء عن إبراهيم النَّخَعيّ أنه يَكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويُجوِّز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

هذا الأثر رواه المصنف غيرَ معزوّ، وقد رواه عبد الرزاق، وابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت» (٣٤٤) عن مُغيرةَ قال: كان إبراهيم يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك. ويرخص أن يقول: أعوذ بالله ثم بك. ويكره أن يقول: لولا الله وفلان. ويرخص أن يقول: لولا الله ثم فلان؛ **لفظ ابن أبي الدنيا**. وذلك ـ والله أعلم ـ لأن **الواو** تقتضي مطلق الجمع، فَمَنَعَ منها للجمع، لئلا تُوهِمَ الجمع بين الله وبين غيره، كما مُنِعَ مِن جمعِ اسم الله، واسم رسوله في ضمير واحد. و(**ثم**) إنما تقتضي الترتيب فقط، فجاز ذلك لعدم المانع. **ومطابقة الحديثين والأثرَين** للترجمةِ ظاهرةٌ على ما فَسّر به ابن عباس رضي الله عنهما الآيةَ.

٣٧ ـ باب ما جاء في من لم يقنع بالحلف بالله

أي: من الوعيد؛ لأن ذلك يدل على قلّة تعظيمه لِجَناب الربوبية، إذِ القلب الممتلئ بمعرفة عَظَمة الله وجلاله وعِزّته وكبريائه: لا يفعل ذلك.

صحيح

قال: عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم، مَن حلف بالله فَلْيَصْدُق، ومَن حُلِفَ له بالله فَلْيَرْضَ، ومَنْ لم يَرْضَ فليس مِن الله» رواه ابن ماجه بسند حسن.

ش: هذا الحديث رواه ابن ماجه في «سننه» (٢١٠١) وترجم عليه: («من حلف له بالله فليرض»): حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة، ثنا أسباط بن محمد، عن محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يحلف بأبيه فقال: «لا تحلفوا بآبائكم...» الحديث. وهذا إسناد جيد على شرط مسلم؛ عند الحاكم وغيره، فإنه متّصل ورواته ثقات، بل قد روى مسلم [(١٣٩٩) (٥١٧)] عنِ ابن عَجْلانَ، عن نافع، عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان يأتي قُباء راكباً وماشياً، وأصل هذا الحديث في «الصحيحين» [خ(٦٦٤٨)، م (١٦٤٦)] عنِ ابن عمر بلفظ: «لا تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» وليس فيه هذه الزيادة.

قوله: (**«لا تحلفوا بآبائكم»**) تقدم ما يتعلق به في الباب قبله (= ٥١١).

قوله: (**«مَن حلف بالله فَلْيَصْدُقْ»**) أي: وجوباً؛ لأن الصدق واجب ولو لم يحلف بالله، فكيف إذا حلف به؟! وأيضاً فالكذب حرام لو لم يؤكد الخبر باسم الله، فكيف إذا أكده باسم الله؟!

قوله: (**«ومَن حلف له بالله فَلْيَرْضَ»**) أي: وجوباً كما يدل عليه **قوله**: (**«ومن لم يرض فليس من الله»**) ولفظ ابن ماجه: «ومن لم يرض بالله فليس من الله». وهذا وعيد كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]. **قال ابن كثير**: أي: فقد برئ من الله، وهذا عامٌّ في الدعاوي وغيرها، ما لم يُفْضِ إلى إلغاء حكم شرعي كمَنْ تَشْهَدُ عليه البيّنة الشرعية ـ فيَحلف على تكذيبها ـ فلا يُقبل حَلفه.

ولهذا لمّا رأى عيسى ﵇ رجلاً يسرق فقال له: سرقتَ. قال:

كلا والله الذي لا إلٰه إلا هو. فقال عيسى: آمنت بالله وكذّبت عيني؛ رواه البخاري [(٣٤٤٤)، م (٢٣٦٨)] وفيه وجهان:

أحدهما: قال القرطبي: ظاهر قول عيسى ﷺ للرجل ـ: سرقت ـ أنه خبرٌ جازمٌ، لكونه أخذ مالاً مِن حِرْزٍ في خُفْية، وقول الرجل ـ: كلا ـ نفيٌ لذلك، ثم أكّده باليمين. وقول عيسى: آمنت بالله وكذّبت عيني، أي: صَدّقتُ مَن حلف بالله، وكَذّبتُ ما ظهر لي مِن كونِ الأخذِ سرقةً. فإنه يُحتمل أن يكون الرجل أَخَذَ ما لَهُ فيه حقٌّ، أو ما أَذِن له صاحبه في أَخْذه، أو أَخَذه لِيُقَلِّبه، ويَنظرُ فيه ولم يَقْصِدِ الغَصْبَ والاستيلاء. **قلت**: وهذا فيه نظرٌ. وصَدْرُ الحديث يردّه؛ وهو قول النبي ﷺ: «رأى عيسى رجلاً يسرق» فأثبت ﷺ سرقته. **الثاني: ما قاله ابن القيم:** إن الله تعالى كان في قلبه أَجَلَّ من أن يحلف به أحد كاذباً. فدارَ الأمرُ بين تهمة الحالف، وتهمة بصره، فردَّ التهمةَ إلى بصره، كما ظن آدم ﷺ صدق إبليس لمّا حلف له أنه ناصح [كما في («الأعراف: ٢١»)]. **قلت**: هذا القول أحسن من الأول وهو الصواب إن شاء الله تعالى. وحُدِّثْتُ عن **المصنف** أنه حَمَلَ حديث الباب على اليمين في الدعاوي، كَمَنْ يتحاكم عند الحاكم، فيَحكُم على خصمه باليمين فيحلف، فيجب عليه أن يرضى.

٣٨ ـ باب قول: ما شاء الله وشئت

أي ما حكم التكلم بذلك، هل يجوز أم لا؟ وإذا قلنا: (لا يجوز) فهل هو من الشرك أم لا؟

صحيح

قال: عن قُتَيلة أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون! تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «وربِّ الكعبة». وأن يقولوا: «ما شاء الله ثم شئت» رواه النَّسائيّ وصححه.

ش: هذا الحديث رواه النَّسائيّ في «السنن» (٣٥٣٣) و«اليوم

والليلة» (١٠٨٢٢) وهذا لفظه في «اليوم والليلة»: أخبرنا يوسف بن عيسى قال: ثنا الفضل بن موسى قال: أنا مِسْعَر، عن معبد بن خالد، عن عبد اللَّه بن يسار، عن قُتَيلةَ ـ امرأةٍ مِن جُهَينةَ ـ أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تُنَدِّدون و[إنكم] تُشركون! تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة»، ويقول أحدكم: «ما شاء الله ثم شئت» ورواه [ن (١٠٨٢٣)] عن أحمد بن حفص، حدثني أبي، حدثني إبراهيم بن طَهْمانَ، عن مغيرة، عن معبد بن خالد، عن قُتَيلةَ ـ امرأةٍ من جُهَينةَ ـ قالت: دَخلتْ يهودية على عائشة فقالت: (إنكم تشركون. . .) وساق الحديث. ولم يذكر عبد اللَّه بن يَسَار، والمشهورُ ذِكره، وقد رواه ابن سعْد، والطبراني، [٢٥/(٥)] وابن مَنْدَهْ، وأشار ابن سعْد إلى أنها ليس لها غيره.

قوله: (عن قُتَيلةَ) هو بضم القاف وفتح التاء بعدها مثناة تحتية مصُغراً، بنت صَيْفيّ الجُهَنيةِ، أوِ الأنصاريةِ، صحابية.

قوله: (إنكم تشركون! تقولون: ما شاء الله وشئت) هذا نَصٌّ في أن هذا اللفظ من الشرك، لأن النبي ﷺ أَقَرَّ اليهوديَّ على تسمية هذا اللفظ تنديداً أو شركاً، ونهى النبي ﷺ عن ذلك، وأرشد إلى استعمال اللفظ البعيد من الشرك، وقولِ: **«ما شاء الله ثم شئت»** ـ وإن كان الأولى قولَ: ما شاء الله وحده، كما يدل عليه حديث ابن عباس وغيره ـ وعلى النهي ـ عن قول: ما شاء الله وشئت ـ جمهور العلماء، إلا أنه حكي عن أبي جعفر الدّاوُدي ما يقتضي جواز ذلك احتجاجاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾ [التوبة: ٧٤] وقوله: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ﴾ (٣٦) [الأحزاب] ونحوِ ذلك. والصواب: القولُ الأول؛ فإن النبي ﷺ أنكر ذلك، وقال لمن قال له ذلك: «أجعلْتني لله نِدّاً» [هـ (٢١١٧)] وأقر اليهودي على تسميته تنديداً وشركاً؛ ومن المحال أن يكون هذا أمراً جائزاً. وأما ما احتجّ من القرآن، فقد ذكروا عن ذلك جوابين: حسن صحيح

أحدهما: أن ذلك لله وحده ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾، كما أنه تعالى يُقسِم بما شاء من مخلوقاته، فكذلك هذا.

الثاني: أن قولَه ـ: ما شاء الله وشئت ـ تشريكٌ في مشيئة الله، وأما الآية فإنما أخبر بها عن فعلين متغايرين، فأخبر تعالى أنه أغناهم وأن رسوله أغناهم. وهو من الله حقيقة؛ لأنه الذي قدر ذلك، ومن الرسول ﷺ حقيقة؛ باعتبار تعاطي الفعل. وكذا الإنعام. أنعم الله على زيد بالإسلام، والنبي ﷺ أنعم عليه بالعتق. وهذا بخلاف المشاركة في الفعل الواحد، فالكلام إنما هو فيه، والمنع إنما هو منه. **فإن قلت**: قد ذكر النحاة أن (ثم) تقتضي اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم كالواو فَلِمَ جاز ذلك بـ (ثم) ومنع منه الواو. وغاية ما يقال: إن (ثم) تقتضي الترتيب، بخلاف الواو فإنها تقتضي مطلق الجمع، وهذا لا يغير صورة الاشتراك. =**قيل**: النهي عن ذلك، إنما هو إذا أتى بصورة التشريك جميعاً، وهذا لا يحصل إلا بالواو، بخلاف (ثم) فإنها لا تقتضي الجمع، إنما تقتضي الترتيب، فإذا أتى بها زالت صورة التشريك والجمعِ في اللفظ. وأما المعنى، فللّه تعالى ما يختص به من المشيئة، وللمخلوق ما يختص به. فلو أتى بـ (ثم) وأراد أنه شريك لله تعالى في المشيئة كـ (لولا الله ثم فلان ـ مثلاً ـ لم يوجد ذلك) فالنهي باقٍ بحاله، بل يكون في هذه الصورة أشدّ ممن أتى بالواو مع عدم هذا الاعتقاد. ويشبه ذلك: الجمعُ بين اسم الله واسم غيره في ضميرٍ واحد، ولهذا أنكره النبي ﷺ على الخطيب؛ قال: ومن يعصهما فقد غوى، فقال له: «بئس الخطيب أنت» [م (٨٧٠)].

قوله: (**فأمرهمُ النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «وَرَبِّ الكعبة»**) تقدم ما يتعلق بالحلف بغير الله قريباً (= ٥١١).

وفي الحديث من الفوائد: **معرفة اليهود بالشرك الأصغر**، وكثير ممن يدّعي الإسلام لا يعرف الشرك الأكبر، بل يصرف خالص العبادات، من: الدعاء، والذبح، والنذر = لغير الله، ويظن أن ذلك

من دين الإسلام. فعَلمتَ أن اليهودَ ـ في ذلك الوقتِ ـ أحسنُ حالاً ومعرفةً منهم. **وفيه: فهم الإنسان إذا كان له هوى. كما نبه عليه المصنف. وأن:** المعرفة بالحق لا تستلزم الإيمانَ ولا العمل. **وقَبول** الحق ممن جاء به، وإن كان عدوّاً مخالفاً في الدين. **وأن:** الحلف بغير الله: من الشرك الأصغر، لا يَمْرُقُ به الإنسان من الإسلام.

حسن صحيح **قال:** وله أيضاً عن ابن عباس أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء [الله] وشئت. قال: «أجعلْتَني لله نِدّاً؟! ما شاء الله وحده».

ش: هذا الحديث رواه النَّسائي، كما قال المصنف، لكن في «اليوم والليلة» (١٠٨٢٥) وهذا لفظه: أخبرنا علي بن خَشْرَم، عن عيسى، عن الأجلح، عن يزيدَ بنِ الأصَمِّ، عنِ ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فكلمه في بعض الأمر فقال: ما شاء [الله] وشئت. فقال النبي ﷺ: «أجعلتني لله عَدْلاً؟! قل: ما شاء الله وحده». ورواه ابن ماجه في الكفارات من «السنن» (٢١١٧) عن هِشام بن عمار، عن عيسى . . .، نحوه. ولفظه: «إذا حلف أحدكم فلا يقل: ما شاء الله وشئت. . .» الحديث، وقد تابع عيسى على هذا الحديث: سفيانُ الثوريُّ، وعبد الرحمٰن، وجعفر بن عون؛ عن الأجلح، وكلّهم ثِقاتٌ. وخالفهمُ القاسم بن مالك ـ وهو ثقة ـ فرواه عن الأجلح، عن أبي الزبير عن جابر. والأول أرجح. ويحتمل أن يكون: عن الأجلح عنهما جميعاً.

قوله: («أجعلْتني لله نِدّاً») هذه رواية ابن مَرْدَوَيْهِ، والرواية عند النسائي وابن ماجه: «أجعلتني لله عَدْلاً»، والمعنى واحد. **قال ابن القيم:** ومن ذلك ـ أي: من الشرك بالله في الألفاظ ـ قول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي ﷺ، أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت. . .، وذكَرَ الحديثَ المشروحَ ثم قال: هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة ـ كقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨﴾

[التكوير] ـ فكيف بمَن يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسْب الله وحسْبك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، والله وحياة فلان. أو يقول: نَذْراً لله ولفلان، وأنا تائب لله ولفلان، وأرجو الله وفلاناً. فوازِنْ بين هذه الألفاظ، وبين قول القائل: ما شاء الله وشئت، ثم انظر أيهما أفحش؟! = يتبيَّنْ لك أن قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائلِ تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعله نِدّاً بها، فهذا قد جعل مَن لا يُداني رسول الله ﷺ في شيء من الأشياء ـ بل لعله أن يكون من أعدائه ـ نِدّاً لرب العالمين. فالسجود، والعبادة، والتوكل، والإنابة، والتقوى، والخشية، والتوبة، والنذر، والحلف، والتسبيح، والتكبير، والتهليل، والتحميد، والاستغفار، وحلق الرأس خضوعاً وتعبداً، والطواف بالبيت والدعاء = كل ذلك مَحْضُ حَقٍّ لله الذي لا يصلح ولا ينبغي لسواه، مِن مَلَكٍ مُقرَّب، ولا نبيٍّ مرسل. وفي «مسند الإمام أحمد» (١٥٥٦٥) أن رجلاً أُتِيَ به النبيّ ﷺ، قد أذنب، فلما وقف بين يديه قال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد. فقال: «عرف الحق لأهله». [ضعيف]

قلت: إذا كان هذا كلامه ﷺ لمن قال له: ما شاء الله وشئت، فكيف بمن يقول فيه [البوصيري في «البُردة»]؟!:

١٥٤: فإن مِن جُودك الدنيا وضَرَّتها ... ومن علومك عِلْمَ اللوح القلم

ويقول في هَمْزِيَّتِه:

٤٢٧: هذه عِلّتي وأنت طبيبي ... ليس يخفى عليكَ في القلب داءُ

وأشباه هذا من الكفر الصريح.

قال: ولابن ماجه عن الطفيل ـ أخي عائشة لأمها ـ قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود؛ قلت: إنكم لأنتمُ القومُ! لولا أنكم تقولون: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]. قالوا: وإنكم لأنتمُ القومُ! لولا أنكم

تقولون: ما شاء الله، وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتمُ القوم! لولا أنكم تقولون: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] قالوا: وإنكم لأنتمُ القوم! لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلمّا أصبحتُ أخبرتُ بها مَن أخبرتُ، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته. قال: «هل أخبرتَ بها أحداً؟» قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن طُفيلاً رأى رؤيا أخبر بها مَن أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أنْ أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».

ش: هذا الحديث لم يروه ابن ماجه بهذا اللفظ عن الطفيل، إنما رواه (٢١١٨) عن حذيفة، ولفظه: حدثنا هشام بن عمار، ثنا سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن عمير، عن رِبْعيّ بن حِراش، عن حذيفة بن اليمان: أن رجلاً من المسلمين رأى في النوم أنه لقي رجلاً من أهل الكتاب فقال: نِعْم القوم أنتم! لولا أنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. وذكر ذلك للنبي ﷺ. فقال: «أَما والله، إنْ كنت لأَعْرِفُها لكم. قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد». ورواه أحمد (٢٣٣٣١) والنسائي (١٠٨٢٠) بنحوه. وفي روايةِ النَّسائي أن الرائيَ لذلك هو حذيفةُ نفسُه. هذه رواية ابن عيينة. ثم ذكر ابن ماجه (٢١١٨) حديث الطفيلِ هذا فساق إسناده ولم يَذكرِ اللفظ. فقال: (حدثنا ابن أبي الشَّوارب، ثنا أبو عَوَانةَ، عن عبد الملك، عن ربعي بن حِراش، عنِ الطُّفَيل بنِ سَخْبَرَةَ أخي عائشة لأمها، عن النبي ﷺ . . .، بنحوه) هذا لفظ ابن ماجه. وهكذا رواه حماد بن سَلَمةَ وشعبة وابن إدريسَ عن عبد الملك؛ فقالوا: (عن الطفيل). وهو الذي رَجّحه الحفاظ، وقالوا: ابنُ عيينةَ وَهِمَ في قوله: (عن حذيفة). **فقد** تبين أن هذا الحديث المذكور لم يَرْوِهِ ابنُ ماجه بهذا اللفظ؛ لكن رواه أحمد (٢٠٦٤٥) والطبراني (٨٢١٤) بنحوٍ مما ذكره المصنف. صحيح

قوله: (**عن الطفيل**) هو ابن سَخْبَرَةَ. وفي حديثه هذا أنه أخو عائشة لأمها. وكذا قال **الحَرْبي**، وقال: الذي عندي أن الحارث بن سخبرة قدم مكة، فحالف[1] أبا بكر فمات، فخلف أبو بكر على أم رومان فولدت له عبد الرحمٰن وعائشة، وكان لها من الحارث: الطفيل بن الحارث، فهو أخو عائشة لأمها. وقيل غير ذلك. وهو صحابي ليس له إلا هذا الحديث. **قال البَغَويّ**: لا أعلم له غيره.

قوله: (**رأيت**) ـ فيما يرى النائم؛ كما روى أحمد، والطبراني ـ.

قوله: (**على نفر من اليهود**) وفي رواية أحمد، والطبراني: (كأني مررت برهط من اليهود. فقلت: من أنتم؟ فقالوا: نحن اليهود). و(النفر): رهط الإنسان وعشيرته، وهو اسمُ جمعٍ يقع على جماعة من الرجال خاصة؛ ما بين الثلاثة إلى العشرة، ولا واحد له من لفظه. **قاله أبو السعادات**.

قوله: (**فقلت: إنكم لأنتم القوم! لولا أنكم تقولون: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾**) أيْ: نِعْمَ القوم أنتم! لولا ما أنتم عليه من الشركِ والمَسبّةِ لله بنسبة الولد إليه. وهذا لفظ الطبراني، ولفظ أحمد: (قال: أنتم القوم).

قوله: (**قالوا: وإنكم لأنتم القوم! لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد**) عارضوه بذكر شيء مما في المسلمين من الشرك الأصغر فقالوا له هذا الكلام، أي: نِعم القوم أنتم! لولا ما فيكم من الشرك.

وكذلك جرى له مع النصارى.

قوله: (**فلما أصبحتُ أخبرتُ بها مَن أخبرتُ**) وفي رواية أحمد: فلما أصبح أخبر بها مَن أخبر. وفي رواية الطبراني: فلما أصبحتُ أخبرتُ بها أناساً.

---

(١) في الطبعة الأولى: فخالف، وهو تصحيف.

قوله: (**ثم أتيت النبي ﷺ، فأخبرتُه**) **فيه**: حُسْنُ خلقه ﷺ، وعدم احتجابه عن الناس ـ كالملوك ـ بحيث إذا أراد أحدٌ الوصولَ إليه أَمْكَنه ذلك بلا كُلْفة ولا مَشقّة، بل يَصِلون إليه ويقضي حاجتهم، ويُخبِرونه بما يحتاجون إليه من أمر دينهم ودنياهم، ويَقُصّون عليه ما يَرَوْنَهُ في المنام، بل كان ﷺ يعتني بالرؤيا لأنها من أقسام الوحي، وكان إذا صلى الصبح كثيراً ما يقول: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟» [خ(١٣٨٦)، م(٢٢٧٥)].

قوله: (**فحمد الله وأثنى عليه**) وفي رواية أحمد: فلمّا أصبحوا خَطَبهم **فحمد الله وأثنى عليه**. وفي رواية الطبراني: فلما صلى الظهر قام خطيباً. **ففيه**: مشروعية حمد الله والثناء عليه في الخُطَب. **وفيه**: الخطبة في الأمور المهمة. وأما معنى الحمد، فقد تقدم في (باب: قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ [الأعراف:١٩٠]) (= ٢١٢) وأما الثناء **فقال ابن القيم**: هو تكرار المحامد.

قوله: (**ثم قال**: «**أما بعد**») في رواية أحمد، والطبراني: (**ثم قال**: «إن طفيلاً رأى رؤيا») ولم يذكر: «**أما بعد**». وفي رواية للطبراني: فقام نبي الله على المنبر فقال: «إن أخاكم رأى رؤيا، قد حدثكم بما رأى». **فيه**: مشروعية (**أما بعد**) في الخطب في هذا الحديث، وإلّا؛ فلا يضرّ؛ فإنها ثابتة في خطبه ﷺ، وفي غيره.

قوله: («**وإنكم قلتم كلمة، كان يمنعني كذا وكذا أنْ أنهاكم عنها**») وفي رواية أحمد والطبراني: «وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعنى الحياء منكم أنْ أنهاكم عنها». وهذا الحياء منهم ليس على سبيل الحياء من الإنكار عليهم، بل كان ﷺ يكرهها ويستحيي أن يذكرها؛ لأنه لم يأمر بإنكارها، فلمّا جاء الأمر الإلٰهي بالرؤيا الصالحة أنكرها، ولم يستحْيِ في ذلك. **وفيه**: دليل على أنها من الشرك الأصغر، إذْ لو كانت مِن الأكبر لأنكرها من أول مرة قالوها. **وفيه**: ما كان عليه النبيّ ﷺ من الحياء، **وأنه** من الأخلاق المحمودة.

قوله: **«فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده»** هذا على سبيل الاستحباب، وإلاَّ؛ فيجوز أن يقول: (ما شاء الله ثم شاء فلان) كما تقدم (= ٥١٩). **وفيه**: أن الرؤيا **قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام**، كما في هذا الحديث، وحديث الأذان [د (٤٩٩)]، وحديث الذكر بعد الصلوات [صحيح: ن (١٢٧٩)]. حسن صحيح

٣٩ ـ باب من سب الدهر فقد آذى الله

ش: مناسبة هذا الباب لـ «كتاب التوحيد» ظاهرة، لأن سَبَّ الدهرِ يتضمن الشرك كما سيأتي بيانه (= ٥٢٩). ولفظ (الأذى) في اللغة، هو: لِما خَفَّ أمْره، وضَعُف أثره مِن الشرك والمكروه. **ذكره الخطابي**. **قال شيخ الإسلام**: وهو كما قال. وهذا بخلاف الضرر، فقد أخبر سبحانه أن العباد لا يضرونه كما قال تعالى: ﴿١٧٥ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ﴾ [آل عمران]. فبيّنَ سبحانه أن الخلق لا يضرونه، لكنْ يؤذونه إذا سَبُّوا مُقلِّب الأمور.

وقال: وقول الله تعالى ﴿٢٤ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ . . .﴾ الآية [الجاثية].

ش: **قال ابن كثير**: يخبر تعالى عن قول الدَّهْرية من الكفار ومَن وافقهم مِن مشركي العرب في إنكار المعاد: (﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾). **قال ابن جرير**: أي: ما حياة (﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾) التي نحن فيها، ولا حياة سواها؛ تكذيباً منهم بالبعث بعد الموت (﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾). **قال ابن كثير**: أي: يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثَمَّ مَعَادٌ ولا قِيامةٌ. وهذا يقوله مشركو العرب المُنْكِرون للمعاد، وتقوله الفلاسفة الإلٰهيون منهم؛ وهم ينكرون البَدْأة والرجعة. وتقوله الفلاسفة الدَّوْرية؛ المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل سِتَّةٍ وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه؛ فزعموا أن هذا قد تكرر

مرات لا تتناهىٰ، فكابَروا العقول وكذبوا المنقول؛ ولهذا قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾. **قال ابن جرير**: أي: (﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ﴾) فيُفْنينا إلا مَرُّ الليالي والأيام، وطولُ العمر؛ إنكاراً منهم أن يكون لهم رب يُفْنيهم ويُهلكهم. ثم روى بإسناد على شرط «الصحيحين» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يُهلكنا الليل والنهار، وهو الذي يُهلكنا ويُميتنا ويُحْيينا، فقال الله في كتابه: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا [وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ]﴾» قال: «فيسبون الدهر، فقال الله تبارك وتعالى: «يؤذيني ابن آدم؛ يَسُبُّ الدهرَ وأنا الدهر؛ أُقلِّب ﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [النور: ٤٤]».

قوله: (﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾) **قال ابن جرير**: يعني: من يقينِ علمٍ (﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾) **قال ابن كثير**: يتوهمون ويتخيلون.

فإن قلت: فأين مطابقة الآية للترجمة إذا كانت خبراً عن الدَّهْرية المشركين؟

= **قيل**: المطابَقةُ ظاهرة، لأن مَن سَبَّ الدهر فقد شاركهم في سَبِّه؛ وإنْ لم يشاركهم في الاعتقاد.

قال: في «الصحيح» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدهرَ وأنا الدهرُ، أقلب ﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [النور: ٤٤]» وفي رواية [م (٢٢٤٦) (٥)]: «لا تسبوا الدهر، فإن الدهر هو الله».

ش: **قوله**: (**في «الصحيح»**) أي: «صحيح البخاري (٤٨٢٦)»، ورواه أحمد (٧٢٤١) بهذا اللفظ، وأخرجه مسلم (٢٢٤٦) بلفظ آخر.

قوله: (**«يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدهر»**) **فيه**: أن سب الدهرِ يؤذي الله تبارك وتعالى. قال الشافعي في تأويله والله أعلم: إن العرب كان مِن شأنها أن تذم الدهر، وتسبّه عند المصائب التي تنزل بهم - من: موت، أو هرم، أو تلف، أو غير ذلك ـ فيقولون: إنما يهلكنا

الدهر ـ وهو الليل والنهار ـ، ويقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأَبادهمُ الدهر، فيجعلون الليل والنهار يفعلان الأشياء، فيَذمّون الدهر بأنه الذي يُفْنيهم، ويفعل بهم. فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الدهر» على أنه الذي يُفنيكم والذي يفعل بكم هذه الأشياء، فإنكم إذا سَبَبْتُم فاعلَ هذه الأشياء، فإنما تسبّون الله تبارك وتعالى، فإنه فاعل هذه الأشياء. **انتهى**.

قلت: والظاهر أن المشركين نوعان: **أحدهما**: مَن يَعتقد أن الدهر هو الفاعل، فيسبه لذلك. فهؤلاء هم الدَّهْرية. **الثاني**: مَن يَعتقد أن المدبر للأمور هو الله وحده ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ ولكن يسبون الدهر لِما يجري عليهم فيه من المصائب والحوادث، فيضيفون ذلك إليه من إضافة الشيء إلى محله، لا لأنه عندهم فاعلٌ لذلك.

والحديث صريح في النهي عن سب الدهر مطلقاً، سواء اعتقد أنه فاعل أو لم يعتقد ذلك، كما يقع كثيراً ممن يَعتقد الإسلام:

كقول ابن المعتز:

يا دهر ويحك ما أبقيتَ لي أحداً   وأنت والدُ سوءٍ تأكل الولدا

وقول أبي الطيب:

قبحاً لوجهك يا زمان كأنه   وَجْهٌ له مِن كلِّ قُبْحٍ بُرْقُعُ

وقول الطرفي:

إن تُبتلى بلئامِ الناس يَرفعهم   عليك، دهرٌ لأهل الفضل قد خانا

وقول الحريري:

ولا تأمنِ الدهرَ الخؤون ومَكْرَه   فكَم خاملٍ أخنى عليه ونابه!

ونحو ذلك كثير. وكل هذا داخل في الحديث.

قال ابن القيم: وفي هذا ثلاثُ مفاسدَ عظيمةٍ:

أحدها: سَبُّه مَن ليس أهلاً للسبِّ، فإن الدهر خَلْقٌ مسخر من

خلق الله مُقادٌ لأمره، مُتذلِّل لتسخيره، فسابُّه أولى ـ بالذم والسب ـ منه.

والثانية: أن سَبَّه متضمنٌ للشرك، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه ـ مع ذلك ـ ظالم قد: ضر مَن لا يستحق العطاء، ورَفَعَ مَن لا يستحق الرِّفعة، وحَرَمَ من لا يستحق الحِرمان. وهو عند شاتِمِيه مِن أظلم الظَّلَمة. وأشعارُ هؤلاء الظَّلَمة الخَوَنة في سَبِّه كثيرةٌ جداً. وكثير من الجُهّال يُصرِّح بلعنه وتقبيحه.

الثالثة: أن السب منهم إنما يقع على مَن فعل هذه الأفعال التي ﴿لَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ﴾ فيها ﴿أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [المؤمنون: ٧١]، وإذا وافقتْ أهواءهم حَمدوا الدهر وأَثْنَوْا عليه، وفي حقيقة الأمر، فَرَبُّ الدهرِ هو المعطي المانع الخافض الرافع المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء، فمسبّتهمُ الدهرَ مسبة لله ﷻ، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى، فسابُّ الدهرِ دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما: **إما** مسبة الله، أو الشرك به، فإنه إن اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك، وهو يسب مَن فعله فهو يسب الله تعالى. **انتهى**. وأشار ابن أبي جَمْرة[1] إلى أن: النهي عن سَبِّ الدهر **تنبيه** بالأعلى على الأدنى، **وأن فيه**: إشارة إلى ترك سب كل شيء مطلقاً، إلا ما أذن الشرع فيه، لأن العلّة واحدة.

قوله: **(«وأنا الدهر») قال الخَطّابي**: معناه **«أنا»** صاحب **«الدهر»** ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر، فمَن سَبّ الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سَبُّه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمان جُعِل ظرفاً لمَوَاقع الأمور.

قلت: ولهذا قال في الحديث: **«وأنا الدهر** بيدي الأمر **أقلب**

---

(١) في الطبعة الأولى: حمزة، وهو تصحيف.

الليل والنهار». وفي رواية لأحمد: «بيدِي الليلُ والنهار أُجدِّده وأُبْليه وأذهب بالملوك» =وفي رواية [م(١٠٤١٧)]: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر، الأيام والليالي أُجدِّدها وأُبْليها وآتِيْ بملوكٍ بعد ملوك».
قال الحافظ [في «الفتح» (٦١٨١)]: وسنده صحيح. **فقد** تبين بهذا خطأ ابنِ حَزْمٍ في عَدِّه الدهرَ من أسماء الله الحسنى، وهذا غلط فاحش، ولو كانَ كذلك لكان الذين قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ مصيبين.

قوله: (وفي روايةٍ) هذه الرواية رواها مسلم وغيره. **قال المصنف: وفيه: أنه قد يكون سباً ولو لم يقصده بقلبه.**

٤٠ ـ باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

كأقضى القضاة، وحاكم الحكام، أو سيد الناس ونحو ذلك.
أي: ما حكم التسمّي بذلك هل يجوز أم لا؟

قال: في «الصحيح» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن أخنَعَ اسمٍ عند الله: رجلٌ يُسمّىٰ مَلِكَ الأملاك، لا مالك إلا الله» **قال سفيان:** مثل شاهان شاه. وفي رواية [م (٢١٤٣) (٢١)]: «أَغْيَظُ رجلٍ على الله وأخبثُه».
قوله: «أخنع» يعني أوضع.

ش: **قوله**: (**في «الصحيح»**) أيِ: «الصحيحين» [خ(٦٢٠٦)، م(٢١٤٣)].

قوله: (**«إن أَخْنَعَ»**) ذكر **المصنف** أن معناه: (**أوضع**) وهذا التفسير رواه مسلم عن الإمام أحمد، عن أبي عمرو الشَّيْباني. **قال عِيَاض:** معناه: إنه أشد **الأسماء** صَغاراً. وبنحو ذلك فسره **أبو عُبيد**. و(الخانع): الذليل، وخَنَع الرجل: ذل. **قال ابن بطّال:** وإذا كان الاسمُ أذلَّ الأسماءِ كان مَن تَسمّىٰ به أشدَّ ذُلاً. وقد فسر الخليل (**أخنع**): أفجر، فقال: (الخَنْع): الفجور. وفي روايةٍ [خ (٦٢٠٥)]: «أخنىٰ الأسماء»، مِن (الخَنا) بفتح المعجمة وتخفيف النون مقصور،

وهو الفحش في القول. وفي روايةٍ: «اشتد غضب الله على مَن زعم أنه مَلِكُ الأملاك» رواه الطبراني (١٢١١٣؛ عن ابن عباس). صحيح: «الجامع» (١٩٨٨)

قوله: («رجل يُسمّىٰ») بصيغة المجهول، من التسمية، أي: يُدعىٰ بذلك ويَرضى به. وفي بعض الروايات: «تَسمّى» بفتح الفوقانية وتشديد الميم، ماضٍ معلوم، من التسمّي، أي: سَمّىٰ نفسه.

قوله: («مَلِكَ الأملاك») هو بكسر اللام من «**ملك**». و(«**الأملاك**») جمع مُلْك، ثم أكد النبي ﷺ التشديد في تحريم التسمي بذلك بقوله: («**لا مالك إلا الله**») فالذي تَسمّىٰ بهذا الاسم قد كَذَب وفَجَر وارْتَقىٰ إلى ما ليس له بأهل، بل هو حقيق برب العالمين، فإنه المَلِك في الحقيقة، فلهذا كان أذلَّ الناسِ عند الله يوم القيامة. والفرق بين المَلِك والمالك أن المالك هو المتصرف بفعْله وأمره؛ **ذكره ابن القيم**. فالذي تَسمّىٰ **مَلِك الأملاك**، أو مَلِك الملوك قد بلغ الغاية في الكفر والكذب. ولقد كان بعض السلاطين المساكين يفتخر بهذا الاسم فأذلّه الله.

قوله: (**قال سفيان**) هو ابن عيينة تقدمت ترجمته (= ٢٢٢).

قوله: (**مثل شاهانْ شاهْ**) هو بكسر[(١)] النون والهاء في آخره، وقد تنون وليست هاء تأنيث فلا يقال بالمثناة أصلاً. وإنما مَثَّلَ سفيانُ بـ (**شاهان شاه**) لأنه قد كثرتِ التسمية به في ذلك العصر، فنبه سفيان بأن الاسم الذي ورد الخبر بذمه لا ينحصر في (ملك الأملاك)، بل كل ما أدّىٰ معناه ـ بأي لسان كان ـ فهو مُراد بالذمّ؛ **ذكره الحافظ**. والحديث صريح في تحريم التسمّي بـ (**ملك الأملاك**) ونحوه؛ كملك الملوك وسلطان السلاطين.

قال ابن القيم: لمّا كان الملك لله وحده ـ لا ملك على الحقيقة سواه ـ كان أخنعُ اسمٍ ـ وأوضعه عنده وأبغضه له ـ اسمَ شاهان شاه،

---

(١) الذي في «الفتح» ـ وهو مصدر الشارح ـ: بسكون النون!

أي: ملك الملوك، وسلطان السلاطين، فإن ذلك ليس لأحد غير الله. فتسمية غيره بهذا مِن أبطل الباطل، والله لا يحب الباطل. وقد ألْحقَ أهلُ العلم بهذا: (قاضيَ القضاة) وقالوا: ليس قاضي القضاة إلا من يقضي[1] ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧﴾ [الأنعام] الذي ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝١١٧﴾ [البقرة. آل عمران:٤٧]. ويَلي هذا الاسمَ ـ في القبح والكراهة والكذب ـ سيّدُ الناسِ وسيد الكُلِّ، وليس ذلك إلا لرسول الله ﷺ خاصةً كما قال: «أنا سيد ولد آدم» [خ (٤٧١٢)، م (٢٢٧٨)] فلا يجوز لأحد قط أن يقول عن غيره: هو سيد الناس. كما لا يجوز له أن يقول: أنا سيد ولد آدم ﷺ.

وقال ابن أبي جمرة: يلتحق بـ (ملك الأملاك): (قاضي القضاة)، وإن كان قدِ اشتهر ـ في بلاد الشرق من قديم الزمان ـ إطلاقُ ذلك على كبير القضاة. وقد سلم أهل المغرب من هذا، فاْسمُ كبير القضاة عندهم: (قاضي الجماعة). وقد زعم بعض المتأخرين [هو ابن المُنَيِّر] أن التسمّيَ بـ (قاضي القضاة) ونحوِها جائزٌ، واستدل له بحديث: «أقضاكم علي»[2]. قال: فيستفاد منه: أنْ لا حَرَجَ على من أطلق على قاضٍ ـ يكون أعدل القضاة، وأعلمهم في زمانه ـ: أقضى القضاة، أو يريد إقليمه، أو بلده. وتعقبه **العَلَم العراقي**، فصَوَّب المنعَ، ورَدَّ ما احتج به بأن التفضيل في ذلك وقع في حق من خوطب به، ومن يلتحق بهم، فليس مساوياً لإطلاق التفضيل بالألف واللام. قال: ولا يخفى ما في ذلك من الجرأة وسوء الأدب. ولا عبرة بقول من ولي القضاة، فنُعت بذلك، فَلَذَّ في سمعه واحتال في الجواز، فإن الحق أحق أن يتبع.

---

(١) قراءتُنا وقراءة المَدَنيَّينِ والمكّيِّ من القراء العشرة: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾. وغيرهم يقرؤها: يقضي الحق.

(٢) ضعيف جداً. «الجامع» (٧٧٦)، لكن روى البخاري (٤٤٨١) أن عمر قال: أقضانا علي.

قلت: وقد تبين ـ بهذا ـ مطابقةُ الحديث للترجمة.

قوله: (وفي روايةٍ: **«أغيظُ رجلٍ على الله يوم القيامة وأخبثه»**) هذه الرواية رواها مسلم في «صحيحه» [(٢١٤٣) (٢١)]. **قال ابن أبي جمرة: وفي الحديث**: مشروعية الأدب في كل شيء، لأن الزجر عن (مَلِك الأملاك)، والوعيد عليه: يقتضي المنع منه مطلقاً، سواء أراد مَن تَسمّى بذلك: أنه ملك على ملوك الأرض، أم على بعضها. وسواء كان مُحقاً في ذلك أم مُبطِلاً، مع أنه لا يخفى الفرق بين مَن قصد ذلك وكان فيه صادقاً، ومَن قصده وكان فيه كاذباً.

قلت: يعني أن الثانيَ أشدُّ إثماً من الأول.

٤١ ـ باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

ش: أي: لأجل احترامها؛ وهو تعظيمها. وذلك مِن تحقيق التوحيد. **ويستفاد منه**: المنع من التسمّي بهذا ابتداءً من باب الأولى، لكن في الأسماء المختصة بالله تعالى.

صحيح

قال: عن أبي شُريح أنه كان يُسمّىٰ أبا الحَكَم. فقال له النبي ﷺ: «إن الله هو الحَكَم [كما في (الأنعام: ١١٤)] وإليه ﴿ٱلْحُكْمُ﴾ [الأنعام: ٥٧ ...] فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمتُ بينهم فرضي كِلا الفريقين. فقال: «ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟» فقلت: شريح، ومسلم، وعبد اللّه. قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شريح. قال: «أنت أبو شريح» رواه أبو داود وغيره.

ش: هذا الحديث رواه أبو داود (٤٩٥٥) كما قال المصنف، ورواه النَّسائي (٤٩٨٠). ولفظ أبي داود من طريق يَزيدَ بن المقدام بن شريح، عن أبيه، عن جده، عن أبيه هانئ ـ وهو أبو شريح ـ أنه: (لمّا وفد على رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ، فقال: «إن الله هو الحكم، وإليه الحكم، فَلِمَ

تُكنىٰ أبا الحكم؟» فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء...» الحديث.
قال ابن مُفْلِح: وإسناده جيد. ورواه الحاكم (١/ ٢٤) وزاد: (فدعا له ولولده).

قوله: (عن أبي شُريح) هو بضم المعجمة وفتح الراء وآخره مهملة مصغر، واسمه هانئ بن يزيدَ الكِنْديّ، **قال الحافظ:** وقيل: الحارثي الضِّبَابيّ. **قاله المزي.** وقيل: المَذْحِجيّ. وقيل: غير ذلك. صحابي نزل الكوفة. ولا عبرة بقول مَن قال: إنه الخُزَاعيّ، ولا مَن ظن أنه النَّخَعيُّ والدُ شُريحٍ القاضي، فإن ذلك خطأ فاحش.

قوله: (**أنه كان يُكنىٰ أبا الحَكَم**) قال بعضهم: الكنية قد تكون بالأوصاف كأبي الفضائل، وأبي المعالي، وأبي الخير، وأبي الحكم. وقد تكون بالنسبة إلى الأولاد كأبي سلمة، وأبي شريح. وإلى ما يلابسه كأبي هريرة؛ فإنه ﷺ رآه ومعه هرة فكَنَّاه بأبي هريرة. وقد تكون للعَلَمية الصِّرْفة كأبي بكر.

قوله: («**إن الله هو الحكم وإليه ﴿ٱلْحُكْمُ﴾**»): **أما «الحكم»** فهو من أسماء الله تبارك وتعالى كما في هذا الحديث، وقد (ورد عَدُّه في الأسماء الحسنى مقروناً بـ «العدل»)، فسبحان الله ما أَحْسَنَ اقترانَ هٰذين الاسمين! قال في «شرح السنة» (٣٣٧٥): «**الحَكَم**»: هو الحاكم الذي إذا حكم لا يُرَدُّ حُكْمه، وهذه الصفة لا تليق بغير الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١] وقال بعضهم: عَرَّفَ الخَبَرَ في الجملة الأولى وأتىٰ بضمير الفَصْلِ، فدَلَّ على الحصر وأنّ هذا الوصفَ مختصٌّ به لا يتجاوز إلى غيره. **وأما قوله:** («**وإليه ﴿ٱلْحُكْمُ﴾**») أي: «**إليه**» الفصل بين العباد في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص] وقال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام]. **وفيه** الدليل على: المنع مِن التسمّي بأسماء الله المختصّةِ به، والمنع مما يُوهِم عدم الاحترام لها كالتكني بأبي الحَكَم ونحوه.

«ضعيف الجامع» (١٩٤٥)

قوله: **(إن قومي إذا اختلفوا في شيء أَتَوْني فحَكَمْتُ بينهم)** أي: أنا لَمْ أُكَنِّ نفسي بهذه الكنية، وإنما كنت أحكم بين قومي فكَنَّوْني بها. **وفيه**: جواز التحاكم إلى من يصلح للقضاء، وإن لم يكن قاضياً. **وأنه**: يَلْزَمُ حُكْمُه. ولهذا **قال** النبي ﷺ: **(«ما أحسن هذا!»)**. **قال الخَلْخالي**: للتعجبِ، أيِ: الحكم بين الناس حسن، ولكن هذه الكنية غير حسنة. وقال **غيره**: أيِ: الذي ذكرتَه مِن الحكم بالعدل. وقيل: **«ما أحسن هذا»** أي: ما ذكرت من وجه الكنية. قال بعضهم: وهو الأولى. **قلت**: فعلى هذا يكون حكمه لقومه قبل إسلامه، إذْ يبعد أن يكون قاضياً لهم قبل أن يَلقىٰ رسول الله ﷺ، ويتعلم منه؛ لأن هذه القصة كانت بعد إسلامه بقليل، لأنه كان مع وفد قومه حين أسلموا، وقدموا على رسول الله ﷺ. ولا يُظَنُّ أن رسول الله ﷺ يُحَسِّنُ أمْرَ حُكّام الجاهلية.

قوله: **(قال: شريح ومسلم وعبد اللّه)** صريح في أن الواو لا تقتضي الترتيب وإنما تقتضي مُطْلَق الجمع، فلذا سأله رسول الله ﷺ عن الأكبر، إذْ لو كانت دالّةً على الترتيب لم يَحْتَجْ إلى سؤالٍ عن (**«أكبرهم»**).

قوله: **(«فأنت أبو شريح»)** أي رعاية للأكبر منا في التكريم والإجلال، فإن الكبير أولى بذلك.

قال في «شرح السنة» (٣٣٧٥): **فيه**: أن يُكنىٰ الرجل بأكبر بَنيه، فإن لم يكن له ابن، فبأكبر بناته. وكذلك المرأة تُكنىٰ بأكبر بَنيها، فإن لم يكن لها ابنٌ فبأكبر بناتها. **انتهى**. **وفيه**: تقديم الأكبر. **وفيه**: أنّ استعمال اللفظ الشريف الحسنِ مكروهٌ في حق مَن ليس كذلك، ومنه أن يقول المملوك لسيده وغيره: «ربي!». **نبه عليه ابن القيم**.

«صحيح الجامع» (٧٧٦٦)

٤٢ ـ باب من هزل بشيء فيه: ذكر الله، أو القرآن، أو الرسول

ش: أي: إنه يكفر بذلك لاستخفافه بجَناب الرُّبوبية والرسالة، وذلك مُنافٍ للتوحيد. ولهذا أجمع العلماء على كُفر مَن فعل شيئاً من

ذلك. فمَن استهزأ: بالله، أو بكتابه، أو برسوله، أو بدينه = كَفَر ـ ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء ـ إجماعاً.

قال: وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ...﴾ الآية [التوبة].

ش: يقول تعالى مخاطباً لرسوله ﷺ: (﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾) أي: سألت المنافقين الذين تكلموا بكلمة الكفر استهزاء (﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾) أي: يعتذرون بأنهم لم يقصدوا الاستهزاء والتكذيب، إنما قصدوا الخوض في الحديث واللعب (﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾) لم يَعْبأ باعتذارهم: إما لأنهم كانوا كاذبين فيه، وإما لأن الاستهزاء على وجه الخوض واللعب لا يكون صاحبه معذوراً، وعلى التقديرين فهذا عذرٌ باطل، فإنهم أخطؤوا موقع الاستهزاء. وهل يجتمع الإيمانُ بالله وكتابه ورسوله، والاستهزاءُ بذلك في قلب؟! بل ذلك عين الكفر؛ فلذلك كان الجواب مع ما قبله (﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾) **قال شيخ الإسلام**: فقد أمره أن يقول: ﴿كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وقول مَن يقول: (إنهم قد كفروا بعد إيمانهم: بلسانهم، مع كفرهم أولاً: بقلوبهم) لا يَصحّ، لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب: قد قارنه الكفر، فلا يقال: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن أريد: (إنكم أظهرتُم الكفر بعد إظهاركُمُ الإيمان) فهم لم يُظهروا ذلك إلا لخَوضِهم، وهم مع خوضهم ما زالوا هكذا، بل لمّا نافقوا وحَذِروا ﴿أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ [التوبة: ٦٤] تَبيَّنَ ما في قلوبهم مِن النفاق وتكلَّموا بالاستهزاء، أي: صاروا كافرين بعد إيمانهم. ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين إلى أن قال تعالى: (﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾) فاعترفوا ولهذا قيل: (﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾) فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتَوْا كُفراً، بل ظَنّوا أنّ ذلك ليس

بكفر. **فتبين:** أن الاستهزاء بآيات الله ورسوله كُفر يَكفر به صاحبه بعد إيمانه. فدل على أنه كان عندهم إيمانٌ ضعيف، ففعلوا هذا المحرم الذي عَرفوا أنه محرم، ولكن لم يَظنّوه كفراً، وكان كفراً كفروا به، فإنهم لم يعتقدوا جوازه. **وقوله:** ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ **قال ابن كثير:** أي: لا يُعفىٰ عن جميعكم، ولابد من عذاب بعضكم (﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾) بهذه المقالة الفاجرة. قيل: إن الطائفة مَخْشيّ بن حُمَيِّر، عفا الله عنه وتَسمّىٰ عبد الرحمـٰن، وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يُعلم مَقْتله، فقتل يوم اليمامة، ولم يُعلَم مَقْتله، ولا مَن قَتله، ولا يُدرىٰ له عين ولا أثر. وقيل: إن الطائفة زيد بن وديعة. والأول أَشْهَرُ. ويحتمل أن الله عفا عنهما جميعاً. **وفي الآية** دليل: على أن الرجل إذا فَعل الكُفر ـ ولم يعلم أنه كُفر ـ لا يُعذَر بذلك، بل يكفر. **وعلى:** أن الشاكَّ[1] كافرٌ بطريق الأولى. **نبه عليه شيخ الإسلام.**

قال: عن ابن عُمَر، ومحمد بن كعب، وزيدِ بنِ أسْلَمَ، وقَتادَة ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مِثلَ قُرّائنا هؤلاء أرْغَبَ بطوناً، ولا أكْذَبَ ألْسُناً، ولا أجْبَنَ عند اللِّقاء ـ يعني: رسولَ الله ﷺ وأصحابَه القراء ـ فقال له عوف بن مالك: كذبتَ، ولكنك منافق، لأُخبِرَنَّ رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليُخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ، وقد ارتَحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ ونتحدث حديث الرَّكْب؛ نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بِنِسْعة[2] ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة لَتَنْكُب رجليه وهو يقول: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فيقول له رسول الله ﷺ: «﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة]» ما يلتفتُ إليه وما يزيد عليه».

---

(١) في الطبعة الأولى: الساب.

(٢) بكسر فسكون: سَيْرٌ مضفور يُجعل زِماماً للبعير.

ش: هذا الأثر ذكره المصنف مجموعاً من رواية ابن عُمَرَ، ومحمد بن كعب، وزيدِ بنِ أَسْلَمَ، وقَتَادةَ، وقد ذكره قبله كذلك **شيخ الإسلام**. فأما أثر ابن عمر فرواه ابن جرير، وابن أبي حاتِمٍ، وغيرُهما بنحوٍ مما ذكره المصنف. وأما أثر محمد بن كعب، وزيدِ بنِ أَسْلَمَ، وقَتَادةَ؛ فهي معروفة لكن بغير هذا اللفظ.

قوله: (**عن ابن عمر**) هو عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب ﵄. و(**محمد بن كعب**) هو محمد بن كعب بن سليم، أبو حمزة القُرَظيّ المدني. **قال البخاري**: إن أباه كان ممن لم يُنْبِتْ من بني قُرَيظةَ، وهو ثقة عالِمٌ، مات سنة عشرين ومئة. و(**زيد بن أسلم**) هو مولى عمر بن الخطاب، والد عبد الرحمٰن وإخوته، يُكنىٰ أبا عبد اللَّه، ثقة مشهور، مات سنة ست وثلاثين ومئة. و(**قتادة**) هو ابن دِعامة، وتقدم (= ٣٥٧).

قوله: (**دخل حديث بعضهم في بعض**) أي: إن الحديث مجموعٌ من رواياتهم، فلذلك دخل بعضه في بعض.

قوله: (**أنه قال رجل في غزوة تبوك**) لم أقف على تسمية القائل لذلك أُبهم اسمُه في جميع الروايات التي وَقفتُ عليها. ولكن قد ورد تسميةُ جماعة ممن نَزلتْ فيهمُ الآيةُ؛ مع اختلافِ الرواية فيما قالوه من الكلام. ففي بعض الروايات أنهم قالوا ما ذكره المصنف. وعن مجاهد في الآية: قال رجل من المنافقين: يُحدِّثُنا محمد أن ناقةَ فلانٍ بِوَادِ كذا وكذا في يومِ كذا وكذا، وما يدريه بالغيب؟! رواه ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتِمٍ. وعن قَتَادةَ قال: بينما رسول الله ﷺ في غزوته إلى تبوك، وبين يديه أناس من المنافقين، فقالوا: يرجو هذا الرجل أنْ تُفْتَحَ له قصورُ الشام وحصونها؟! هيهات هيهات، فأَطْلَع الله نبيَّه على ذلك، فقال نبي الله ﷺ: «احبِسوا عليَّ الرَّكْبَ» فأتاهم فقال: «قلتم كذا، وقلتم كذا» قالوا: يا نبي الله! ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فأنزل الله فيهم ما تسمعون؛ رواه ابن المنذر، وابن أبي حاتِمٍ. وفي رواية جابر بن عبد اللَّه عند ابن

مردويه: كان في مَن تخلف من المنافقين بالمدينة وداعة بن ثابت ـ أحدُ بني عمرو بن عوف ـ فقيل له: ما خلفك عن رسول الله ﷺ؟ فقال: الخوض واللعب، فأنزل الله فيه وفي أصحابه ﴿﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ...﴾ إلى ﴿مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة].

وسَمّىٰ ابنُ عباس ـ في روايةٍ عند ابن مردويه ـ منهم: وديعةَ بنَ ثابت ومَخْشِيَّ بن حُمَيِّر، وأنهم قالوا: (أتحسبون أن قتال بني الأصفر كقتالِ غيرِهم، والله لَكأنكم غداً تفرّون في الجبال...) القصةَ بكمالها. فيُحتمل أنهم قالوا ذلك كله، فإن المنافقين ﴿إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ [البقرة:١٤] أخذوا في الاستهزاء بالله وآياته ورسوله والمؤمنين، فلا يبعد أنهم قالوا ذلك، فكلٌّ ذَكَرَ بعضَ كلامهم، والآية تَعمُّ ذلك. وفي هذه الروايات ذِكر أسماء القائلين لبعضهم ذلك، منهم: وديعة بن ثابت ـ وقيل: وداعة ـ، وزيد بن وديعة، ومَخْشِيّ بن حُمَيِّر ـ الذي تاب الله عليه، لكنه لم يَقُلْ ذلك إنما حضره ـ. وفي بعض الروايات أن عبد اللّه بن أُبيّ هو الذي قال ذلك، لكن رَدَّه **ابن القيم** بأن ابنَ أُبيٍّ تَخلّف عن غزوة تبوك. وذكر **ابنُ إسحاق** أسماءَ الذين هَمُّوا بالفتك برسول الله ﷺ، فعدَّ جماعة فيحتمل أنهم من المستهزئين، ويحتمل أنهم غيرهم. ولهذا قال تعالى في المستهزئين: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وفي الآخرين: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤].

قوله: **(ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء)** القُرّاء جمع قارئ، وهم عند السلف: الذين يقرؤون القرآن ويعرفون معانيَه، أما قراءته من غير فهمٍ لمعناه، فلا يوجد في ذلك العصر، وإنما حدث بعد ذلك؛ من جملة البدع.

قوله: **(أرْغَبَ بطوناً)** أي: أوسع **(بطوناً)** ـ الرُّغب والرَّغيب: الواسع؛ يقال: جوف رغيب وواد رغيب ـ يَصِفُونهم بسَعة البطون، وكثرة الأكل، كما روى أبو نُعيم عن شُريح بن عبيد أن رجلاً قال لأبي الدرداء: ما بالكم: **أجبن** منا، وأبخل إذا سئلتم، وأعظم لقماً إذا

أكلتم؟! فأعرض عنه أبو الدرداء ولم يَرُدَّ عليه شيئاً، وأخبر بذلك عمر بن الخطاب، فانطلق عمر إلى الرجل الذي قال ذلك، فأخذه بثوبه وخَنَقه، وقاده إلى النبي ﷺ، فقال الرجل: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾.

قوله: (**فقال له عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق**) **فيه**: المبادرة في الإنكارِ. **والشدة** على المنافقين. **وجواز** وصف الرجل بالنفاق؛ إذا قال أو فَعَلَ ما يدل عليه.

قوله: (**لأُخبرنّ رسول الله ﷺ**) **فيه**: أن هذا وما أشبهه لا يكون غِيبة ولا نَميمة، بل هو من النصح لله ورسوله. فينبغي الفرق بين الغيبة والنميمة، وبين النصحية لله ولرسوله، فذِكر أفعال المنافقين والفُسَّاق لولاة الأمور ـ ليزجروهم، ويقيموا عليهم أحكام الشريعة ـ ليس من الغيبة والنميمة. **انتهى**.

قوله: (**فوَجد القرآنَ قد سَبقه**) أي: جاءه الوحي من الله بما قالوه في هذه الآية: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ **وفيه**: دلالةٌ: على علم الله سبحانه، وعلى قدرته وإلٰهيته، وعلى أن محمداً رسول الله.

قوله: (**فجاء ذلك الرجل**) قد تقدم (= ٥٣٩) أنه ابن أُبيّ ـ كما رواه ابن المنذر، وابن أبي حاتِم عن ابن عمر ـ لكن ~~رواة~~ [ردّه] ابن القيم[١] [بأن ابن أبيّ تخلف عن غزوة تبوك].

وفي هذا الحديث من الفوائد: أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به، وأشدها خطراً إرادات القلوب فهي كالبحر الذي لا ساحل له.

ويفيد: الخوفَ من النفاق الأكبر، فإن الله تعالى أثبت لهؤلاء

(١) كان هنا في الأصل سقط استدركناه من «فتح المجيد» للشيخ عبد الرحمٰن ابن حسن آل الشيخ رحمهم الله تعالى.

إيماناً قبل أن يقولوا ما قالوه، كما قال ابن أبي مُليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه؛ نسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

٤٣ ـ باب قول الله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي...﴾ الآية [فصلت]

ذكر المصنف رحمه الله تعالى عن ابن عباس وغيره من المفسرين في معنى هذه الآية وما بعدها ما يكفي في المعنى ويشفي.

قوله: قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به. وقال ابن عباس: يريد من عندي.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص] قال قتادة: ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ من الله أني له أهلٌ. وهذا معنى قول مجاهد: ﴿أُوتِيتُهُ عَلَى﴾ شرف.

قوله: (باب: قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ...﴾ الآية [القصص]).

وليس فيما ذكروه اختلاف، وإنما هي أفراد المعنى.

قال ابن كثير رحمه الله - في معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ [الزمر:٤٩] ـ: يخبر أن الإنسان في حال الضر يضرع إلى الله تعالى وينيب إليه ويدعوه، ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً﴾ منا طغى وبغى و﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ أي: لِما يَعلم من استحقاقي له، ولولا أني عند الله حظيظ لَمَا خوّلني هذا. قال تعالى: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ أي: ليس الأمر كما زعمتم، بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة، لِنختبره فيما أنعمْنا عليه، أيطيع أم يعصي؟ مع علمنا المتقدم بذلك. ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ أي: اختبار ﴿وَلَكِنَّ

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الزمر] فلهذا يقولون ما يقولون ويَدّعون ما يَدّعون ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادّعى هذه الدعوى = كثيرٌ ممن سلف من الأمم ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الزمر] أي: فما صح قولهم، ولا نَفَعهم جَمْعُهم ﴿وَمَا﴾ [الأعراف:٤٨] كانوا يكسبون، كما قال تعالى مخبراً عن قارون ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبأ].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرصَ، وأقرعَ، وأعمىٰ. فأراد الله أن يَبتليَهم فبعث إليهم مَلَكاً. فأتىٰ الأبرص فقال: أيّ شيء أحب إليك؟ قال: لونٌ حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قَذِرني الناس به». قال: «فمسحه فذهب عنه قَذَرُه، فأُعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً. قال: فأيّ المال أحب إليك؟ قال: الإبل ـ أو «البقر» شك إسحاق ـ فأُعطي ناقةً عُشَراء. وقال: بارك الله لك فيها». قال: «فأتى الأقرع، فقال: أيّ شيء أحب إليك؟ قال: شعرٌ حسن ويذهب عني الذي قد قَذِرني الناس به. فمسحه فذهب عنه وأُعطي شَعراً حسناً. فقال: أيّ المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل. فأعطي بقرة حاملاً. قال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمىٰ فقال: أيّ شيء أحب إليك؟ قال: أن يَرُدَّ الله إليّ بصري فأبصر به الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأيّ المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأُعطي شاةً والداً. فأُنتج هذان، وولّد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل ولهذا وادٍ من البقر ولهذا وادٍ من

الغنم». قال: «ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين [وابن سبيل] قدِ انقطعت به الحِبالُ في سفري، فلا بلاغ لي اليومَ إلا بالله ثم بك، أسألك ـ بالذي أعطاك اللونَ الحسن، والجلدَ الحسن، والمالَ ـ بعيراً أتبلَّغُ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال: كأني أعرفُك! ألم تكنْ أبرصَ يَقذَرُك الناس؟! فقيراً فأعطاك الله ﷻ المال؟! فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصَيّرك الله إلى ما كنت به. وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثلَ ما رَدّ عليه هذا. فقال: إن كنت كاذباً فصَيّرك الله إلى ما كنت». قال: «وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجلٌ مسكين وابن سبيلٍ قدِ انقطعتُ بي الحبال في سفري، فلا بلاغَ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك ـ بالذي رَدَّ عليك بصرك ـ شاةً أتبلّغ بها في سفري. فقال: قد كنتُ أعمى فرَدّ الله إليّ بصري، فَخُذْ ما شئتَ ودَعْ ما شئت، فوالله لا أَجْهدُكَ اليومَ بشيءٍ أخذْتَه لله. فقال: أَمسِكْ مالَكَ؛ فإنما ابْتُلِيتُم، فقد رضي الله عنك وسَخِطَ على صاحبَيك» أخرجاه.

قوله: (**أخرجاه**) أي: البخاري (٣٤٦٤) ومسلم (٢٩٦٤).

والناقة العُشَراء، بضم العين وفتح الشين وبالمد: هي الحامل.

قوله: (**«أنتج»**) وفي روايةٍ: «فنتج» معناه: تولى نَتاجها، والناتِج المناقة كالقابِلة للمرأة.

قوله: (**«ولّد هذا»**) هو بتشديد اللام. أي: تولّىٰ ولادتها، وهو بمعنى: أنتج في الناقة، فالمولِّد والناتِج والقابِلة بمعنى واحد، لكن هذا للحيوان، وذلك لغيره.

قوله: (**«انقطعتْ بي الحِبال»**) هو بالحاء المهملة والباء الموحدة: هي الأسباب.

قوله: («لا أَجْهَدُك») معناه: لا أشقّ عليك في ردّ شيء تأخذه، أو تطلبه من مالي. **ذكره النووي**.

وهذا حديث عظيم، وفيه مُعتبَر، فإن الأَوَّلَيْنِ جحدا نعمة الله، فما أقرّا لله بنعمته، ولا نسبا النعمة إلى المُنعِم بها، ولا أدّيا حق الله، فَحَلَّ عليهما السخط. وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدّىٰ حق الله فيها، فاستحق الرضا من الله؛ بقيامه بشكر النعمة لمّا أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها، وهي: الإقرار بالنعمة، ونِسبتُها إلى المنعِم، وبذلُها فيما يحبّ.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعِم على وجه الخضوع له، والذل، والمحبة. فمَن لم يَعرفِ النعمة، بل كان جاهلاً بها = لم يشكرها. ومَن عرفها ولم يَعرفِ المنعِم بها، لم يشكرها أيضاً. ومَن عرف النعمة والمنعِم، لكن جحدها كما يجحدها المنكِرُ لنعمة المُنعِم عليه بها = فقد كفرها. ومن عرف النعمة والمنعِم بها وأقر بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له ولم يحبّه ولم يَرْضَ به وعنه = لم يشكره أيضاً. ومَن عرفها وعرف المنعم بها وأقرّ بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في مَحابّه وطاعته = فهذا هو الشاكر لها. فلا بد في الشكر مِن: علمِ القلب، وعملٍ يَتْبَعُ العلم؛ وهو الميل إلى المنعِم ومَحبّتِه والخضوعِ له.

قوله: («قَذِرني الناس») بكراهة رؤيته وقُرْبه منهم.

٤٤ ـ باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾ [الأعراف]

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبّد لغير الله ـ كـ: عبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك ـ حاشا عبد المطلب

وعن ابن عباس في الآية قال: لمّا تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس، فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لَتُطيعِنّي أو

لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه. ولأفعلن ولأفعلن) يخوّفهما، (سَمِّيَاهُ عَبْدَ الحارث). فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً. ثم حملت، فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً. ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حُبُّ الوَلَدِ، فسَمَّيَاه عَبْدَ الحارثِ. فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾؛ رواه ابن أبي حاتِم.

وله ـ بسند صحيح ـ عن قَتَادَةَ قال: ﴿شُرَكَآءَ﴾ في طاعته ولم يكن في عبادته.

وله ـ بسند صحيح ـ عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ قال: أشفقا ألاَّ يكون إنساناً.

وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

قوله: باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى هذه الآية: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عُمَرُ بنُ إبراهيمَ، حدثنا قَتادةُ، عن الحسن، عن سَمُرَةَ، عن النبي ﷺ قال: «لمّا ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سَمِّيه عَبْدَ الحارث فإنه يعيش. فسَمَّتْه عَبْدَ الحارث فعاش، فكان ذلك مِن وحي الشيطان وأمْره» رواه أحمد (٢٠٠٥٩)، والترمذي (٣٢٨٦) وحسنه، وابن جرير، والحاكم (٢/٥٤٥) وصححه[١]. ضعيف

ولهذا ذكر الضمير في آخرها بصيغة الجمع استطراداً مِن ذِكر الشخص إلى الجنس. ومعنى الآية: أنه تعالى يُخبِر عن مبدإ الجنس الإنساني، وما فيه لله من عجائب القدرة، فأوجد هذا الجنس على كثرته واختلاف أنواعه ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وهو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ أي: وَطِئَها و ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ وذلك

---

(١) انظر طعن الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٣/٦١٢) في هذا الحديث وإعلاله من ثلاثة وجوه.

الحمل لا تَجِدُ المرأة له ألماً، إنما هي النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة وقوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ قال مجاهد: استمرت عليه، وقال مهران: استَخفَّتْه، **وقال ابن جرير:** استمرت بالماء وقامت به وقعدت ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ أي: صارت ذات ثقل بحملها. **قال السُّدِّيّ:** كبر في بطنها ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ أي: أن آدم وحــواء ﷺ ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ... لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ بشراً سوياً. **قال ابن عباس:** أشفقا أن يكون بهيمة ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٨٩﴾ أي: لَنشكرنّك على ذلك. **انتهى ملخصاً من ابن كثير** وفيه زيادة. **وقوله:** (﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾) أي: لله (﴿شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾) أي: لم يقوما بِشُكر ذلك على الوجه المرضيّ كما وعدا بذلك، بل ﴿جَعَلَا﴾ لي فيه ﴿شُرَكَآءَ فِيمَآ﴾ أعطيْتُهما من الولد الصالح، والبَشَر السَوِيّ، بأنْ سَمَّيَاه عَبْدَ الحارث. فإنّ مِن تمام الشكر ألّا يُعبَّدَ الاسم إلا لله. **وإذا** تأملتَ سياق الكلام ـ مِن أوله إلى آخره مع ما فَسّره به السلف ـ تَبيَّن قطعاً أن ذلك في آدم وحواء ﷺ، فإن فيه غيرَ موضعٍ يدل على ذلك[1]. والعَجَبُ ممن يُكذِّب بهذه القصة، ويَنسىٰ ما جرى أول مرة، ويكابر بالتفاسير المبتدعة، ويترك تفاسير السلف وأقوالهم. وليس المحذور في هذه القصة بأعظمَ من المحذور في المرة الأولى. **وقوله تعالى:** ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هذا ـ والله أعلم ـ عائدٌ إلى المشركين مِن القدرية، فاستطرد من ذكر الشخص إلى الجنس. وله نظائر في القرآن.

قوله: (قال ابن حزم) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الظاهري المشهور، صاحب كتاب «الإجماع» و«الإيصال»، و«المُحلّىٰ» وغيرها من المصنفات.

---

(١) قال ابن كثير (٣/ ٦١٤): وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري ﷺ في هذا، وأنه ليس المرادُ من هذا السياق آدمَ وحواء، وإنما المراد المشركون من ذريته، ولهذا قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قوله: (اتفقوا) الظاهر أن المرادَ: أجمعوا، فمقصوده حكاية الإجماع، لا حكايةَ الاتفاق على طريقة المتأخرين.

قوله: (حاشا عبد المطلب) **قال ابن القيم**: لا تَحِلّ التسمية بعبد علي، وعبد الحسين، ولا عبد الكعبة. وقد روى ابن أبي شيبة صحيح [و: خد (٨١١)] عن هانئ بن [يزيد؛ أبي] شُرَيح قال: وفد على النبي ﷺ قوم فسمعهم يُسمُّون رجلاً عبد الحجر فقال له: «ما اسمك؟» قال: عبد الحجر. فقال له رسول الله ﷺ: «إنما أنت عبد اللّه».

فقيل: كيف يتفقون على تحريم الاسم المعبد لغير الله؟ وقد صح عنه ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدينار...» الحديث [خ (٢٨٨٧)]. وصح عنه أنه قال:

«أنـا الـنـبـي لا كَـذِبْ أنـا ابـن عـبـد الـمـطـلـبْ»

[خ (٢٨٦٤)، م (١٧٧٦)].

= **فالجواب**: أما قوله: «تعس عبد الدينار». فلم يُرِدِ الاسمَ، وإنما أراد به: الوصفَ والدعاء على مَن يَعبد قلبه الدينار والدرهم، فرضي بعبوديتهما عن عبودية الله تبارك وتعالى. وأما قوله: «أنا ابن عبد المطلب» فهذا ليس من باب إنشاء التسمية بذلك، وإنما هو من باب الإخبار بالاسم الذي عُرف به المُسمّىٰ دون غيره، والإخبار بمثل ذلك ـ على وجه تعريف المُسمّىٰ ـ لا يَحرم. ولا وجه لتخصيص أبي محمدٍ [ابن حزم] ذلك بعبد المطلب خاصّةً، فقد كان أصحابه يسمون بعبد شمس، وبني عبد الدار بأسمائهم، ولا يُنكِر عليهمُ النبيُّ ﷺ ذلك. فَبَابُ الإخبار أوسعُ من الإنشاء، فيجوز فيه ما لا يجوز في الإنشاء. **انتهى** ملخصاً. وهو حسن، **ولكن** بقي إشكال وهو أن في الصحابة من اسمه المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. =

فالجواب: أما مَنِ اسمُه عبد شمس فَغَيَّره النبي ﷺ إلى عبد اللّه كما ذكروا ذلك في تراجمهم. وأما المطلب بن ربيعة **فذكر ابن عبد البر** أن اسمه عبد المطلب وقال: كان على عهد رسول الله ﷺ [ولم] يغير اسمه فيما علمت. **وقال الحافظ**: وفيما قاله نظر، فإن الزبير أعلم مِن

غيره بنسب قريش، ولم يذكر أن اسمه إلا المطلب، وقد ذكر العسكري أن أهل النسب إنما يُسمُّونه المطلب. وأما أهل الحديث فمنهم من يقول: المطلب، ومنهم من يقول: عبد المطلب. وأما عبد يزيدَ ـ أبو رُكانةَ ـ **فذكره الذهبي** في «التجريد» وقال: أبو ركانة: طَلَّق امرأته، وهذا لا يصح، والمعروف أن صاحب القصة رُكانة، وروى حديثه أبو داود في «السنن» (٢١٩٦) عن ابن عباس قال: (طلّق عبد يزيدَ ـ أبو رُكانةَ وإخوتِه ـ أمَّ رُكانة. . .) وذكر الحديث، ثم قال: وحديثُ نافع بن عُجير، وعبد الله بن علي بن يزيد بن رُكانة، عن أبيه، عن جده: أن رُكانة طَلَّق امرأته ٱلْبَتَّةَ، فجعلها النبي ﷺ واحدة: أصحّ؛ لأنهم ولد الرجل وأهله وهم أعلم به. **فقد** تَبيَّن أنه ليس من الصحابة من أولاء [مَن] تصح له صحبته. فعلى هذا لا تجوز التسمية بعبد المطلب ولا غيره مما عُبِّدَ لغير الله، وكيف تجوز التسمية وقد أجمع العلماء على تحريم التسمية بـ: عبد النبي، وعبد الرسول، وعبد المسيح، وعبد علي، وعبد الحسين، وعبد الكعبة؟! وكل هذه أولىٰ بالجواز من عبد المطلب لو جازتِ التسمية به. وأيضاً فقد نص النبي ﷺ على أن التسمية بعبد الحارث من وحي الشيطان وأمْرِه، فعبد المطلب كعبد الحارث، لا فَرْقَ بينهما، إلا أن (أصدق الأسماء الحارث وهمام) فلعله أولى بالجواز. لا يقال: إن الحارث اسمٌ للشيطان؛ لأنه وإنْ كان اسماً له، فلا فَرْقَ في ذلك بين جميع مَنِ اسمه الحارث. فلا يجوز التسمية به وإنْ نوى عَبْدَ (الحارث بن هشام) أو غيرِه. حسن

فإن قلت: إذا كان ابن حزم قد حكىٰ الإجماع على جواز التسمية بعبد المطّلب، فكيف يجوز خلافه؟! = **قلت**: كلام ابن حزم ليس صريحاً في حكاية الإجماع على جواز ذلك بعبد المطلب، فإنّ لفظَهُ: (اتفقوا على تحريم كلِّ اسم مُعبَّد لغير الله ـ كـ: عبد العزى، وعبد هبل، وعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك ـ حاشا عبد المطلب. واتفقوا على إباحة كلِّ اسمٍ بَعْدَ ما ذكرنا، ما لم يَكُنِ

اسمَ نبيٍّ، أو اسمَ مَلَكٍ...) إلى آخر كلامه. فيحتمل أن مراده حكاية الخلاف فيه، ويكون التقدير: (اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله... حاشا عبد المطلب) أي: فإنهم لم يتفقوا على تحريمه، بلِ اختَلفوا. ويؤيده أنه قال بعده: (واتفقوا على إباحة كل اسم بَعْدَ ما ذكرنا...) إلى آخره، ويكون المرادُ: حاشا عبد المطلب فلا أحفظ ما قالوا فيه، ويكون سكوتاً منه عن حكاية إجماعاً، أو خلاف فيه. وعلى تقدير أن مرادَه حكايةُ الإجماع مِن جواز ذلك، فليس كل مَن حكىٰ إجماعاً يُسلَّم له، ولا كلُّ إجماعٍ يكون حجة أيضاً، فكيف والخلاف موجود، والسنة فاصلة بين المتنازعين؟! وغاية حُجةِ مَن أجازه قوله ﷺ: «أنا ابن عبد المطلب» ونحوه، أو أن بعضَ الصحابة اسمُه عبد المطلب. وقد تقدم الجواب عن ذلك. وأيضاً فلو كان قولُه ـ: «أنا ابن عبد المطلب» ـ حجةً على جواز التسمية به = لَكان قوله ـ: «إنما بنو هاشم، وبنو عبد مَناف شيء واحد» ـ حجةً على جواز التسمية بعبد مَناف، ولكن فَرْقٌ بين إنشاء التسمية وبين الإخبار بذلك عمن هو اسمه.

وقوله: (**في الآية**) أي: المُترجَم لها.

قوله: (﴿**تَغَشَّىٰهَا**﴾) أي: حواء، أي: وَطِئَها عليه السلام.

قوله: (**أو لأجعلَنّ له**). أي: لِوَلَدِكما.

قوله: (**قَرنَيْ أيِّل**) هو بالتثنية أو الإضافة، و(**أيل**) بِفتح الهمزة وكَسْر المثناة التحتية المشدّدة: ذَكَرُ الأَوْعال، والمعنى؛ أنه يُخوِّفهما بكونه يَجعل للولد قرني وَعِلٍ، فيخرج من بطنها فيشقه كما قال: (**فيخرج من بطنك فيشقه**).

قوله: (**ولأفعلَنَّ ولأفعلن؛ يُخوِّفهما**) بغير ما ذَكر، ويزعم أنه يفعل بهما غير ذلك.

قوله: (**سَمِّيَاه عَبْدَ الحارث**) قال سعيد بن جُبير: كان اسمه في

الملائكةِ الحارثَ، وكان مرادُه أنْ: سَمِّيَاه بذلك، لِيكون قد وُجد له صورةُ الإشراك به. فإن هذا من باب كيد إبليسَ؛ إذا عَجزَ عن الآدميِّ ـ أنْ يُوقِعه في المعصية الكبيرة ـ قنع منه بالصغيرة. وأيضاً فإنه يحصل له منهما طاعته كما أطاعا أول مرة؛ كما روى ابن جرير، وابن أبي حاتِم عند عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «خَدَعهما مرتين» قال زيد: خَدَعهما في الجنة وخدَعهما في الأرض.

قوله: (**فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً...**) والخ. هذا ـ والله أعلم ـ مِنَ الامتحان، فإن الإنسان لا عَزْمَ له [كما في (طه: ١١٥)]، وإنْ عايَن ماذا عساه أن يُعاين من الآيات، إلا بتوفيق الله تعالى. فإن الطبيعة البشرية تغلب عليه كما غلبت على الأبوين مرتين، مع ما وقع لهما قبلُ من التحذير والإنذار عن كيد إبليس وعداوته لهما، ومع ذلك أدركهما حُبُّ الولد فسَمَّيَاه عَبْدَ الحارث، وكان ذلك شركاً في التسمية وإن لم يَقصِدا العبادةَ للشيطان، بل قصدا به ـ فيما ظنا ـ إما دَفْع شَرِّه عن حواء، وإما الخوف على الولد من الموت؛ كما روى عبد بن حميد، وابن أبي حاتِم، عن أبيّ بن كعب قال: لمّا حملت حواء، أتاها الشيطان فقال: أتطيعينني ويَسْلَم ولدك؟ سَمِّيه عَبْدَ الحارث. فلم تفعل فولدت فمات. ثم حملت فقال لها مثل ذلك فلم تفعل. ثم حَملتِ الثالثة فقال: أتطيعينني يسلم لك ولدك وإلاّ فإنه يكون بهيمة. فَهَيَّبها فأطاعاه؛ رواه ابن أبي حاتِم. **قلت**: وإسناده صحيح. ورواه سعيد ابن منصور وابن المنذر. وعَنِ ابن عباس قال: كانت حواء تَلِدُ لآدم أولاداً فتُعبِّدهم لله، وتُسمِّيه عبد اللّه وَعُبيد اللّه ونحو ذلك فيُصيبُهم الموت. فأتاها إبليس وآدم فقال: إنكما لو تُسمِّيَانه بغير ما تسميانه لعاش، فولدت له رجلاً فَسَمَّيَاه عَبْدَ الحارث؛ ففيه أنزل ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ...﴾ الى آخر الآية، رواه ابن مَرْدَوَيْهِ.

قوله: (**شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته**) أي: لكونهما أطاعاه في التسمية بعبد الحارث، لا أنهما عبداه. **فهو** دليل على:

الفرق بين شرك الطاعة وبين شرك العبادة. قال بعضهم: تفسير قَتَادَةَ في هذه الآية بالطاعة، لأن المراد بها على كلام كثير من المفسرين آدم وحواء عليهما السلام، فناسب تفسيرَها بالطاعة، لأنهما أطاعا الشيطان في تسمية الولد بعبد الحارث.

وقد استشكله بعض المعاصرين بما حاصله أنهم قد فسروا العبادة بالطاعة، فيلزم على قول قتادة أن يكون الشرك في العبادة. =

والجواب: أن تفسير العبادة بالطاعة من التفسير اللازم، فإنه لازمُ العبادةِ؛ أن يكون العابد مطيعاً لمن عبده بها، فلذا فسّرت بالطاعة. أو يقال: هو من التفسير بالملزوم وإرادة اللازم، أي: لَمَّا كانتِ الطاعة ملزوماً للعبادة، والعبادة لازمة لها، فلا تحصل إلا بالطاعة، جاز تفسيرها بذلك، وهو أصح. وبالجملة فلا إشكال في ذلك بحمد الله.

فإن قلت: قد سمى النبي ﷺ طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة. = **قلت**: راجِعِ الكلامَ على حديث عَديٍّ (=٤٧٧) = يَتَّضِحِ الجوابُ.

قوله: (**أشفقا**) أي: خافا، أي: آدم وحواء (**ألاّ يكون إنساناً**) **قال أبو صالح**: أشفقا أن يكون بهيمة فقال: لئن آتيتنا بشراً سوياً؛ رواه ابن أبي حاتِمٍ، **وفي هذا: أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم**؛ ذكره المصنفُ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعلها غير سوية، وأن يجعلها من غير الجنس. فلا ينبغي للرجل أن يسخط مما وهبه الله له كما يفعل أهل الجاهلية، بل يحمد الله الذي جعلها بشرية سوية. ولهذا كانت عائشة رضي الله عنها إذا بشرت بمولود لم تسأل إلا عن صورته لا عن ذكوريته وأنوثيته.

قوله: (**وذكر**) أي ذكر ابن أبي حاتِمٍ؛ فإنه روى ذلك عمن ذَكر المصنف (**معناه عن الحسن**) وهو البصريّ. **قوله**: (**وسعيد**) أي: ابنِ جبير (**وغيرِهما**) كالسُّدّيّ، وغيرِه.

٤٥ - باب قول الله تعالى:
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ...﴾ الآية [الأعراف]

يخبر تعالى أن له **أسماءً** وصفها بكونها **حُسْنَىٰ** أي: حِسَان. وقد بَلغتِ الغايةَ في الحُسن فلا أَحْسَنَ منها، لِما يدل عليه من صفات الكمال، ونعوت الجلال، فأسماؤه الدالّة على صفاته هي أحسنُ الأسماءِ وأكملُها، فليس في الأسماء أَحْسَنُ منها، ولا يقوم غيرها مقامها. وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيراً بمرادٍ محضٍ، بل هو على سبيل التقريب والتفهيم، فله من كل صفةِ كمالٍ: أحسنُ اسم وأكملُه وأتمُّه معنىً، وأَبْعَدُه وأنزهه عن شائبةِ نقصٍ فله من صفةِ الإدراكات ﴿الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝﴾ [التحريم] دون العالم الفقيه، و﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾ [الإسراء. غافر: ٢٠، ٥٦. الشورى: ١١] دون السامع والباصر. ومن صفات الإحسان ﴿الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۝﴾ [الطور] ﴿الْوَدُودُ ۝﴾ [البروج. وينظر (هود: ٩٠)]، دون الرفيق والشفيق والمشوق، وكذلك ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝﴾ [البقرة. الشورى: ٤]، دون الرفيع الشريف، وكذلك ﴿الْكَرِيمُ ۝﴾ [الانفطار]، دون السخي، و﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] دون الصانع الفاعل المشكل، و(العفو الغفور) [كما في (النساء: ٤٣، ٩٩، ١٤٩. الحج: ٦٠. المجادلة: ٢)] دون الصفوح الساتر(١). وكذلك سائر أسماء الله تعالى يجري على نفسه أكملُها وأحسنها، ولا يقوم غيرُه مَقامَه، فأسماؤه أحسنُ الأسماء، كما أن صِفاته أكملُ الصفات، فلا نَعْدِل عمّا سَمّىٰ به نفسَه إلى غيرِه، كما لا يتجاوز ما وصف به نفسه،

---

(١) يقصد الشارح ﷺ أنه لم يَرِدْ بهذا المعنى. وإلّا ففي «صحيح الجامع» (١٧٥٦): «إن الله حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يحب الحياء والسِّتْر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر» فهو هنا بمعنى مختلف وإن كان من المادة نفسها.

ووصفه به رسول ﷺ إلى ما وصفه به ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف. العنكبوت:٤٨ غافر:٧٨. الجاثية:٢٧]. ومن هنا يتبين لك خطأ مَن أطلق عليه اسمَ الصانعِ والفاعلِ والمُربّي ونحوها؛ لأن اللفظ الذي أطلقه سبحانه على نفسه، وأخبر به عنها = أتمُّ مِن هذا، وأكمل وأجل شأناً، فإنه يوصف مِن كل صفةِ كمالٍ بأكملها وأجلّها وأعلاها. فيوصف من الإرادة بأكملها، وهو الحكمة وحصول كل ما يريد بإرادته. كما قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج]. وبإرادة اليسر لا العسر. كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]. وبإرادة الإحسان وتمام النعمة على عباده كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء] فإرادة التوبة: له، وإرادة الميل: لمبتغي الشهوات، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:٨]. وكذلك ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ أكمل من الفقيه العارف، و﴿ٱلْكَرِيمُ﴾ الجواد أكمل من السخي، و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ أكمل من الشفيق، و﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر:٢٤] أكمل من الفاعل الصانع؛ ولهذا لم تجئ هذه في أسمائه ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

فعليك بمراعاة ما أطلقه سبحانه على نفسه من الأسماء والصفات، والوقوف معها وعدم إطلاق ما لم يطلقه على نفسه، ما لم يكن مطابقاً لمعنى أسمائه وصفاته. وحينئذٍ فيطلق المعنى ـ لمطابقته لها ـ دون اللفظ، ولا سيما إذا كان مُجمَلاً، أو منقسماً، أو ما يمدح به وغيره، فإنه لا يجوز إطلاقه إلا مقيداً، وهذا كلفظ الفاعل والصانع، فإنه لا يطلق عليه في أسمائه ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ إلا إطلاقاً مُقيّداً ـ كما أطلقه على نفسه ـ كقوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج]، ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم] وقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٨٨] فإن اسم الفاعل والصانع منقسم المعنى إلى ما يُمدَح عليه ويُذمّ، فلهذا المعنى ـ والله أعلم ـ لم يجئ في ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: المريد ـ كما جاء فيها ﴿ٱلسَّمِيعُ

﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ ـ ولا المتكلم الآمر الناهي؛ لانقسام مُسمّىٰ هذه الأسماء، بل وصف نفسه بكمالاتها، وشرف أنواعها. ومن هنا يُعلَم غَلَطُ بعض المتأخرين. وزَلَقُه الفاحشُ في اشتقاقه ـ له سبحانه ـ مِن كلٍّ فعل أخبر به عن نفسه: اسماً مطلقاً، وأدخله في أسمائه ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾، فاشتق منها اسم: الماكر، والمخادع، والفاتن، والمضل، ﴿تَعَـٰلَىٰ﴾ الله عن ذلك ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء] **انتهى ملخصاً من كلام الإمام ابن القيم.**

وقيل: فَصْلُ الخطاب في أسماء الله ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾، هل هي توقيفية أم لا؟ وحاصله أن ما يطلق عليه من باب الأسماء والصفاتِ توقيفيٌّ، وما يطلق من باب الإخبار لا يجب أن يكون توقيفياً، كالقديم والشيء الموجود، والقائم بنفسه، والصانع، ونحو ذلك.

صحيح ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ أي: اسألوه، وتوسلوا إليه بها؛ كما تقول (﴿ٱغْفِرْ﴾ لي وارحمني) [كما في (البقرة:٢٨٦. الأعراف:١٥٥ المؤمنون:١٠٩)] إنك أنت ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس...]. فإن ذلك من أقرب الوسائل

صحيح وأحبِّها إليه، كما في «المسند» (١٧٥٦٤) والترمذي (٣٧٧٤): «أَلِظُّوا بـ: يا ذا ﴿ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾» [الرحمٰن:٧٨]. والحديثِ الآخرِ: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الأنبياء:٨٧] الـ ﴿أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ ... ﴿ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ الـــذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص] فقال: «والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أَجاب، وإذا سئل به أعطىٰ» رواه الترمذي (٣٧٢٢) وغيره. وقولِه ﷺ: «اللهم إني أعوذ برضاك مِن سَخَطك، وبعَفْوِك من عقوبتك، وبك منك، لا نحصي ثناء عليك؛ أنت كما أثنيت على نفسك». حديث صحيح رواه مسلم (٤٨٦)، وغيره. ومنه: «اللهم إني

صحيح أسألك بأنّ لك ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ [الروم:١٨. التغابن:١] ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾، المنان، ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١١٧. الأنعام:١٠١]، يا ذا ﴿ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾» رواه الترمذي (٣٧٩٣) بنحوه، واللفظ لغيره.

قال ابن القيم: فهذا سؤالٌ له، وتوسُّلٌ إليه بحمده وأنه لا إلٰه إلا هو المَنّان. فهو توسُّلٌ إليه بأسمائه وصفاته، وما أحقَّ ذلك بالإجابة وأعظمَه مَوْقِعاً عند السؤال! وٱعلم أن الدعاء بها أحدُ مراتب إحصائِها ـ الذي قال فيه النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مَن أحصاها دخل الجنة» رواه البخاري [(٧٣٩٢) م، (٢٦٧٧)] وغيره ـ وهي ثلاث مراتب: **المرتبة الأولى**: إحصاء ألفاظها، وأسمائها، وعددها. **المرتبة الثانية**: فَهْمُ معانيها، ومدلولها. **المرتبة الثالثة**: دعاؤه بها كما في الآية، وهو نوعان: دعاء ثناء وعبادة، ودعاء طلب ومسألة. فلا يُثْنىٰ عليه إلا بأسمائه ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وصفاته العُلىٰ، وكذا لا يسأل إلا بها. فلا يُقال: يا موجود! ويا شيء! ويا ذات! اغفر لي. بل يُسأل في كلِّ مطلوبٍ باسمٍ يكون مُقْتَضِياً لذلك المطلوبِ، فيكون السائل متوسِّلاً إليه بذلك الاسم.

ومَن تأمل أدعية الرسل ـ لا سيما خاتمهم عليه وعليهم السلام ـ وجدها مطابقة لهذا؛ كما تقول: رب ﴿ٱغْفِرْ﴾ لي وارحمني إنك أنت ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ولا يَحْسُن: إنك أنت السميع العليم البصير. ولكنْ أسماؤه تعالى:

منها ما يُطلَق عليه مفرداً ـ وهو غالب الأسماء؛ كالقدير والسميع والبصير والحكيم ـ فهذا يسوغ أن يُدعىٰ به: مفرَداً، ومقترناً بغيره. فتقول: يا عزيز! يا حكيم! يا قدير! يا سميع! يا بصير! وإن انفرد كل اسم. وكذلك في الثناء عليه، والخبر عنه، وبه؛ يَسُوغ لك الإفرادُ والجمعُ.

ومنها ما [لا] يطلق عليه مفرداً، بل مقروناً بمُقابِله ـ كالمانع، والضار، والمنتقم، والمذل ـ؛ فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابِله ـ فإنه مقرون بالمعطي، والنافع، و(العَفُوّ)، و﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [البقرة:١٢٩...] والمعز؛ فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفوّ، المعز المذل ـ؛ لأن الكمال في اقتران كلِّ اسمٍ من هذا بمقابله، لأنه يُرادُ به أنه

المتفرد بالربوبية، وتدبير الخلق، والتصرف فيهم: إعطاءً ومنعاً، ونفعاً وضراً، وانتقاماً [وعَفواً]، وإعزازاً وإذلالاً. فأما الثناء عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار؛ فلا يسوغ. فهذه الأسماء الممزوجة يجري الاسمان منها مجرى الاسم الواحد الذي يمَتنع فَصْلُ بعضِ حروفه مِن بعض. ولذلك لم تجئ مفردة، ولم تُطلَق عليه إلا مقترنة فلو قلت: يا ضار! يا مانع! يا مذل! لم تكن مُثْنياً عليه. ولا حامداً له، حتى تذكر مُقابِلتَها. **انتهى ملخصاً من كلام ابن القيم**، وفيه بعضُ زيادةٍ. وبه يظهر الجواب عما قد يَرِدُ على ما سبق.

ذِكر ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ التي ورد عدُها في الحديث:

لمّا كان إحصاءُ ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ والعملُ بها: أصلاً للعمل بكلِّ معلوم، وكانت سعادةُ الدنيا والآخرة مرتَّبةً عليها = فما حَصَل مِن آثارها للعباد، هو الذي أوجبَ لهم دخول الجنة؛ ولهذا جاء الحديث الصحيح المتفق عليه [خ (٩٤١٠)، م (٢٦٧٧)] أن «من أحصاها دخل الجنة». وذَكرْنا مراتبَ الإحصاء، لأن العبد محتاج ـ بل مضطر ـ إلى معرفتها فوق كل ضرورة. وقد قيل: إن الله ذكرها كلَّها في القرآن. ولا ريب أن الله تعالى ذكر أكثرها بلفظها و[ما] لم يذكره بلفظه، ففي القرآن ما يدل عليه.

ضعيف **قال الترمذي** (٣٧٥٤): حدثنا إبراهيم بن يعقوب، أخبرنا صفوان بن صالح، أخبرنا الوليد بن مسلم، أخبرنا شعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ... ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾... ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ... ﴿٢٣﴾... ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر] ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص: ٦٦. الزمر: ٥. غافر: ٤٢] ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ ﴿ٱلْوَهَّابِ﴾ ﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٨] ﴿ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبا] القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل ﴿ٱلسَّمِيعُ

ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء. غافر:٢٠، ٥٦. الشورى:١١]. الحكم العدل ﴿ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام. الملك:١٤]. الحليم. العظيم. الغفور. الشكور. العلي. الكبير. الحفيظ. المقيت. الحسيب. الجليل. الكريم. الرقيب. المجيب. الواسع. الحكيم. الودود. المجيد. الباعث. الشهيد. الحق. الوكيل. القوي. المتين. الولي. الحميد. المحصي. المبدئ. المعيد. المحيي، المميت، الحي. القيوم. الواجد. الماجد. الواحد. الأحد. الصمد. القادر. المقتدر. المقدم. المؤخر. الأول. الآخر. الظاهر. الباطن. الولي. المتعال. البر. التواب. المنعم. المنتقم. العفو. الرؤوف. مالك الملك. ذو الجلال والإكرام. المقسط. الجامع. الغني. المغني. المانع. الضار. النافع. النور. الهادي. البديع. الباقي. الوارث. الرشيد. الصبور». **قال الترمذي:** هذا حديث غريب جداً؛ حدثنا به غيرُ واحد عن صفوانَ بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، ولا نعلم ـ في كبير شيءٍ من الروايات ـ ذِكرَ الأسماء الحسنى إلا[1] في هذا الحديث، وقد روى آدم بن[2] أبي إياس هذا الحديث ـ بإسنادٍ غيرِ هذا ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكر فيه الأسماء، وليس له إسناد صحيح. **قلت:** يشير إلى عدد الأسماء سرداً، وإلاّ؛ فَصَدْرُ الحديثِ متفق عليه [خ (٦٤١٠)، م (٢٦٧٧)]. وقد خرجه ـ بالعدد المذكور ـ ابنُ المنذر، وابن خُزَيمةَ في «صحيحه» وابن حبان (٨٠٨) والطبراني [في «الدعاء» (١١١)]، والحاكم في «المستدرك» (١/١٦) وغيرهم به، ولم يذكروا فيه: «المعطي»، وإسناده صحيح، ولكن المُستغرَب منه ذِكر العدد. ورواه ابن ماجه (٣٨٦١) من طريق

---

(١) سقطت من الطبعة الأولى: (إلا).

(٢) في الطبعة الأولى: (عن) وهو خطأ.

عبد الملك بن [محمد] الصنعاني، عن زهير بن محمد التميمي، عن موسى بن عقبة، عن الأعرج. . . ، وساق «الأسماء»، وخالَفَ سياقَ الترمذي في الترتيب والزيادة والنقص، فأما الزيادة فهي: «البارئ، الراشد، البرهان، الشديد، الواقي، القائم، الحافظ، الناظر، السامع، المعطي، الأبد، المنير، التام، القديم، الوتر» وعبد الملك لَيِّن الحديث، وزهير مختلف فيه، وحديثُ الوليد أصحُّ إسناداً وأحسن سياقاً، وأجدر أن يكون مرفوعاً. ولهذا **قال النووي**: هو حديث حسن. قال بعضهم: والعلةُ ـ في كونهما لم يخرجاه بذكر الأسامي ـ تَفرُّدُ الوليدِ بن مسلم عالمِ الشاميين الثقةِ. وقد قيل: إن العدد المذكور مدرج. قال في **«الإرشاد»** ما معناه: ذَكَرَ جماعةٌ من الحفاظ المحقِّقين المُتْقِنين أنّ سرد الأسماءِ ـ في حديث أبي هريرة ـ مدرجٌ فيه، وأن جماعة من أهل العلم جمعوها من القرآن؛ كما روي ذلك عن جعفر بن محمد وسفيانَ بن عيينة، وأبي زيد اللغوي. **وقال البيهقي**: يُحتمل أن يكون التفسيرُ للأسماء وقع من بعض الرواة، ولهذا الاحتمال تَرَكَ الشيخان إخراج حديث الوليد في «الصحيح». قال في «البدر»: والدليل على ذلك وجهان: **أحدهما**: أن أصحاب الحديث لم يذكروها، **والثاني**: أن فيها تغييراً بزيادة ونقصان، وذلك لا يليق بالمرتبة العليا النبوية. **كذا** قال، وفيه نظر، فإن الزيادة والنقصان قد تكون من الرواة، وإن كان الحديث صحيحاً كما في غير ذلك من الأحاديث. وقد رواه الطبراني في «الدعاء» والحاكم (١٧/١) وغيرهما، فزادوا: «الرب. الإلـٰه. الحَنّان. المَنّان. البارئ». وفي لفظ: «القائم. الفرد». وفي لفظ: «القادر» بدل: «الفرد» و«المغيث. الدائم. الحميد». وفي لفظ: «الجميل. الصادق. المولى. النصير. القديم. الوتر. الفاطر. العلام. المليك. الأكرم. المدبر. المالك. الشاكر. الرفيع. ذو الطول. ذو المعارج. ذو الفضل. الخَلاّق» ولا أظنه يَثْبُتُ، وإنْ كان بعض العدد صحيحاً. وعَدّ جعفر بن محمد منها:

«المنعم. المتفضل. السريع». **وقال ابن حزم:** جاءت في إحصائها أحاديث مضطربة، لا يصح منها شيء أصلاً. ونُقل عنه أنه قال: صح عندي قريباً من ثمانين اسماً، اشتمل عليها الكتاب، والصحاحُ من الأخبار، فَلْيُطلبِ الباقي بطريق الاجتهاد.

وقال القرطبي في «شرح ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾»: العَجَبُ من ابن حزم ذكر من ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ نيفاً وثمانين فقط، والله يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨] ثم ساق ما ذكره ابن حزم؛ وفيه من الزيادة على ما تقدم: «الرب. الإلٰه. الأعلى. الأكبر. الأعز. السيد. السبوح. الوتر. المحسن. الجميل. الرفيق. الدهر». وقد **عدها الحافظ** فزاد: «الخفي. السريع. الغالب. العالم. الحافظ. المستعان». **وفي** هذا نظر يُفهم مما تقدم، وإنْ كان قد ذكر بعضها فيما لا يثبت من الحديث، فهذه خمسة وستون ومئة اسم، أقربها من جهة الإسناد سياق الترمذي، وما عدا ذلك ففيه أسماء صحيحة ثابتة، وفي بعضها توقُّف، وبعضها خطأٌ مَحْضٌ، كالأبدِ والناظرِ والسامع والقائم والسريع، فهذه وإنْ وَرَدَ عِدادها في بعض الأحاديث، فلا يصح ذلك أصلاً. وكذلك الدهر والفَعّال والفالق والمُخرج والعالم، مع أن هذه لم تَرِدْ في شيء من الأحاديثِ إلا حديث: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» وقد مضى معناه، وبَيَّنّا خطأ ابن حزم في عده من ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ هناك.

واعلم أن ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لا تدخل تحت حصرٍ، ولا تُحَدُّ بعدد؛ فإن لله تعالى أسماءً وصفاتٍ اسَتأثرَ بها في علم الغيب عنده، ولا يَعلمها مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبيّ مُرسَل؛ **كما في**: الحديث الصحيح: «أسألك بكلِّ اسم هو لك: سَمَّيْتَ به نفسك، أو أنزلتَه في كتابك، أو عَلّمتَه أحداً من خَلْقك، أوِ استأْثَرْتَ به في علم الغيب عندك» رواه أحمد (٣٧١١) وابن حبان في «صحيحه» (٩٧٢) وغيرُهما. «الصحيحة» (١٩٩) **وقال ابن القيم:** فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء مِن ملائكته أو غيرِهم، ولم يُنزل به كتابه. وقسم أُنزل به كتابه، وتعرف به

إلى عباده. وقسم استأثر به في علم غيبه، فلم يُطْلع عليه أحداً من خلقه، ولهذا قال: «استأثرت به» أيِ: انفردت بعلمه، وليس المراد انفرادَه بالمُسمّىٰ به، لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه. **ومن هذا** قوله ﷺ في حديث الشفاعة: «فيُفتح عليّ من محامده بما لا أُحْسِنه الآن» [خ (٤٧١٢)] وتلك المحامد هي بأسمائه وصفاته. **ومنه** قوله: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» [م (٤٨٦)].

وأما قوله ﷺ: «وإنّ لله تسعة وتسعين اسماً مَن أحصاها دخل الجنة» [خ (٧٣٩٢)، م (٢٦٧٧)] فالكلام جملة واحدة، وقوله: «مَن أحصاها دخل الجنة» صفةٌ لا خبر مستقبل، والمعنى: له أسماء متعددة مِن شأنها أنّ «من أحصاها دخل الجنة»، وهذا كقولك: لفلان ألف شاة أَعَدَّها للأضياف؛ فلا يدل على أنه لا يملك غيرها. وهذا لا خلاف بين العلماء فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠] أيِ: اترُكوهم، وأَعْرِضوا عن مُجادلتهم. **قال ابن القيم:** والإلحاد في أسمائه: هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها. وهو مأخوذ من الميل ـ كما يدل عليه مادة اللحد ـ ومنه (المُلْحِد): وهو الشّقّ في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه المُلحِد في الدين: المائل عن الحق إلى الباطل.

إذا عرف هذا؛ فالإلحاد في أسمائه: **أحدها**: أن يُسمّيَ الأصنام بها، كتسميتهمُ ﴿ٱللَّٰتَ﴾ من الـ ﴿إِلَٰهَ﴾، ﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾ من ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾، وتسميتهمُ الصنم ﴿إِلَٰهًا﴾؛ وهذا إلحادٌ حقيقةً، فَهُمْ عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهمُ الباطلة. **الثاني**: تسميته بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارى له: أباً، وتسمية الفلاسفة له: موجباً بذاته، أو علّة فاعلة بالطبع، ونحو ذلك. **وثالثها**: وَصْفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود: إنه ﴿فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١]،

وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته **ورابعها**: تعطيل الأسماء الحسنى عن معانيها، وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجَهْمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة، لا تتضمن صفاتٍ، ولا معانيَ، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم، ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به؛ وهذا من أعظم الإلحاد فيها؛ عقلاً وشرعاً ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أَعْطَوْا من أسمائه وصفاته لآلـهتهم، وهؤلاء سلبوا كماله، وجحدوها وعطلوها، وكلاهما ألحد في أسمائه، ثم الجَهْمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد فمنهمُ الغالي والمتوسط والمتلوث، وكل من جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ = فقد ألحد في ذلك فَلْيُقِلّ أو لِيَستَكْثر. **وخامسها**: تشبيه صفاته بصفات خلقه، ﴿تَعَـٰلَىٰ﴾ الله عما يقول المُشبِّهون ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء]، فهذا الإلحاد: في مقابله إلحادُ المُعطِّلة، فإن أولئك نَفَوْا صفاتِ كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد، وتفرقت بهم طرقه، وبَرّأ الله أتباع رسوله وورثَتَه ـ القائمين بسُنّته ـ عن ذلك كله، فلم يَصِفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته، ولم يُشبِّهوها بصفات خلقه، ولم يَعْدِلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً ولا معنىً، بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونَفَوْا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتُهم بريئاً من التشبيه، وتنزيههم خالياً من التعطيل، لا كَمَنْ شَبَّه حتى كأنه يَعبد صنماً، أو عَطَّل حتى كأنه لا يعبد إلا عدماً، وأهل السنة وسط في النِّحَل، كما أن أهل الإسلام وسط في المِلَل، تُوقَدُ مصابيح معارفهم ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥].

(﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾) وعيد وتهديد.

قوله: (﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾): يشركون.

أي: يشركون غيره في ﴿أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ كتسميتهمُ الصنم إلهاً. ويحتمل أن المراد الشرك في العبادة، لأن أسماءه تعالى تدل على التوحيد، فالإشراك بغيره إلحاد في معاني ﴿أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ سبحانه وتعالى لا سيما مع الإقرار بها، كما كانوا يُقِرّون بـ ﴿ٱللَّهِ﴾ ويعبدون غيره، فهذا الاسم وحده أعظمُ الأدلة على التوحيد، فمَن عَبد غيره؛ فقد ألحد في هذا الاسم؛ وعلى هذا بقية الأسماء. وهذا الأثر لم يَرْوِه ابن أبي حاتِم عنِ ابن عباس؛ إنما رواه عن قَتَادةَ فاعلَمْ ذلك.

قوله: (وعنه: سَمَّوْا ﴿ٱللَّٰتَ﴾ من الـ ﴿إِلَٰهِ﴾، و﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾ من ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾).

هذا الأثر معطوف على سابقه، أي: رواه ابن أبي حاتِم عن ابن عباس. و كذلك الأثر الثاني عن الأعمش معطوف على سابقه أي: رواه ابن أبي حاتِم عنه والأعمش اسمه سليمان بن مِهْران، أبو محمد الكوفي الفقيه، ثقة حافظ ورع مات سنة ١٤٧ وكان مولده أول سنة ٦١.

قوله: (يُدْخِلون فيها ما ليس منها).

أي: كتسمية النصارى له أباً ونحوه كما سبق (= ٥٦٠).

٤٦ ـ باب لا يقال: السلام على الله

لـمّا كان حقيقةُ لفظ الإسلام: السلامةَ والبراءةَ والخلاص والنجاة من الشر والعيوب، فإذا قال المسلم: «السلام عليكم» فهو: دعاء للمُسلَّم عليه، وطَلَبٌ له أن يَسلَم من الشر كله؛ والله هو المطلوب منه لا المطلوب له، وهو المدعوُّ لا المدعوّ له و﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:٦٨] استحال أن يُسلَّم عليه سبحانه وتعالى، بل هو المُسلِّم على عباده كما قال تعالى: ﴿۞ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل] وقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ

ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [النمل] وقال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ﴾ [الأحزاب] ﴿٤٤﴾ فهو السلام ومنه السلام، لا إلٰه غيره ولا رب سواه.

في «الصحيح» عن ابن مسعود ﷺ قال: كنا إذا كنا مع رسول الله ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان. فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا: السلام على الله، فإن الله هو السلام».

ش: قوله: (في «الصحيح») أي: «الصحيحين» [خ (٨٣٥)، م (٤٠٢)].

قوله: (قلنا: السلام على الله) أي: يقولون ذلك في التشهد الأخير كما هو مُصرَّح به في بعض ألفاظ الحديث: كنا نقول قبل أن يفرض التشهد: **السلام على الله**، فقال النبي ﷺ: «إن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله».

قوله: (فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا: السلام على الله») أي ـ والله أعلم ـ: لِما تقدم، ولأن السلام اسمه، كما يرشد إليه آخر الحديث.

قوله: («فإن الله هو السلام») أنكر ﷺ التسليم على الله، وأخبر أن ذلك عَكْسُ ما يجب له سبحانه، فإن كلَّ سلام ورحمةٍ: له ومنه؛ فهو مالكها ومُعْطيها، وهو السلام. **قال ابن الأنباري:** أَمَرَهم أن يُعرِّفوه إلى الخلق لحاجتهم إلى السلامة. **وقال غيره:** وهذا كله حماية منه ﷺ لِجَناب التوحيد حتى يعرف لله تعالى ما يستحقه من الأسماء والصفات وأنواع العبادات.

قوله: (السلام على فلان وفلان) اختلف العلماء في معنى السلام المطلوب عند التحية على قولين:

أحدهما: أن المعنى: اسم السلام: عليكم، **والسلام هنا هو** الله ﷻ. ومعنى الكلام: نزلت بركة اسم السلامِ: عليكم، وحملت عليكم، فاختير في هذا المعنى من أسمائه اسمُ السلام دون غيره، ويدل عليه قوله في آخر الحديث: «فإن الله هو السلام». فهذا صريح في كون السلام اسماً من أسمائه، فإذا قال المسلم: السلام عليكم؛

كان معناه: اسم السلام عليكم؛ يدل عليه ما رواه أبو داود (٣٣٠) عنِ ابن عمر: أن رجلاً سلم على النبي ﷺ؛ فلم يَرُدّ عليه حتى استقبل الجدار، ثم تيمم وردّ عليه وقال: «إني كرهت أن أذكر الله إلا على طُهْر» ففي هذا بيان أن السلام ذِكرٌ لله وإنما يكون ذكراً إذا تَضمنتِ اسماً من أسمائه. ضعيف

الثاني: أن السلام مصدر بمعنى السلامة، وهو المطلوب المدعوّ به عند التحية؛ **لأنه** ينكر بلا ألف ولام، فيجوز أن يقول المسلم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ ولو كان اسماً من أسمائه تعالى لم يستعمل كذلك، بل كان يطلق عليه مُعرَّفاً كما يطلق على سائر أسمائه الحسنى. فيقال: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ فإن التنكير لا يَصرف اللفظ إلى معين، فضلاً عن أن يصرفه إلى الله وحده، بخلاف المُعرَّف فإنه ينصرف إليه تعييناً إذا ذكرت أسماؤه ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، ويدل على ذلك عطف الرحمة والبركة عليه في قوله: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. **ولأنه** لو كان اسماً من أسمائه تعالى لم يَستقم الكلام بالإضمار، وذلك خلاف الأصل ولا دليل عليه. **ولأنه** ليس المقصود من السلام هذا المعنى، وإنما المقصود منه الإيذان بالسلامة خبراً ودعاء.

قال ابن القيم: والصواب في مجموعهما؛ أيِ: القولين، وذلك أن مَن دعا الله بأسمائه ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: يَسألُ في كل مطلوب ويتوسل إليه بالاسم المقتضي لذلك المطلوبِ المناسبِ لحصوله، حتى كأن الداعي مستشفع إليه، متوسل به. فإذا قال: رب اغفر لي، وَتُبْ عليَّ إنك أنت التواب الرحيم الغفور، فقد سأله أمرين، وتوسل إليه باسمين من أسمائه، مُقتضِيَين لحصول مطلوبه، وهذا كثير جداً، وإذا ثبت هذا، فالمقام لمّا كان مقامَ[1] طلبِ السلامة ـ التي هي أهم ما عند الرجل ـ أتى في طلبها بصيغة اسم من أسمائه تعالى، وهو السلام الذي تُطلَب منه السلامة.

---

(١) في الطبعة الأولى: هذا المقام لما كان طلب.

فتضمن لفظ السلام معنيين: **أحدهما**: ذكر الله تعالى كما في حديث ابن عمر. **والثاني**: طلب السلامة وهو مقصودُ المُسلِّم. فقد تَضمَّن: «سلام عليكُم» اسماً من أسماء الله، وطلب السلامة منه. **انتهى** ملخصاً.

٤٧ ـ باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

ش: **لمّا** كان العبد لا غناء له عن رحمة الله ومغفرته طرفة عين، بل فقير بالذات إلى الغني بالذات كما قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر] نُهي عن قول ذلك؛ لِما فيه مِن إيهامِ الاستغناء عن مغفرة الله ورحمته كما سيأتي، وذلك مُضادٌّ للتوحيد.

في «الصحيح» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَقولَنَّ أحدكم: اللهم اغفر لي إنْ شئتَ! اللهم ارحمني إن شئت! لِيَعزِم المسألة، فإن الله لا مُكرِه له». ولمسلم: «ولْيُعظِّمِ الرَّغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه».

ش: **قوله**: (**في «الصحيح»**) أيِ: «الصحيحين» [خ(٦٣٣٩)، م(٢٦٧٩)].

قوله: (**«اللهم اغفر لي إن شئت»**) **قال القرطبي**: إنما نهى الرسول ﷺ عن هذا القول، لأنه يدل على فُتور الرغبة، وقِلَّة الاهتمام بالمطلوب. وكأن هذا القول يتضمن أن هذا المطلوب إنْ حصل؛ . . .، وإلاّ؛ استَغنى عنه، ومن كان هذا حاله: لم يتحقق مِن حاله الافتقارُ والاضطرار الذي هو روح عبادة الدعاء. وكان ذلك دليلاً على قلة معرفته بذنوبه، وبرحمة ربه. وأيضاً فإنه لا يكون مُوقِناً بالإجابة. وقد قال ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، وأعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً مِن قلبِ غافِلٍ [لاهٍ]» [ت (٣٧٢٥)]. حسن

قوله: (**«لِيَعزمِ المسألَةَ»**) **قال القرطبي**: أي: لِيَجزمْ في طَلِبته،

ويُحقِّقْ رغبته، ويَتيقَّنِ الإجابة، فإنه إذا فعل ذلك دَلَّ على علمه بعظيم ما يَطلب من المغفرة والرحمة، وعلى أنه مُفتِقر إلى ما يطلب؛ مضطر إليه، وقد وعد الله المضطر بالإجابة بقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل].

قوله: («**فإنه لا مُكرِه له**») أي: فإن الله «**لا مكره له**». هذا لفظ البخاري في الدعوات، ولفظ مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَقولَنّ أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت! اللهم ارحمني إن شئت! لِيَعزمِ المسألة في الدعاء، فإن الله صانعٌ ما شاء، لا مُكرِه له». **قال القرطبي**: هذا إظهارٌ لعدم فائدة تَقبُّل الاستغفار والرحمة بالمشيئة. لأن الله تعالى لا يضطره إلى فعلِ شيءٍ دعاءٌ ولا غيره، بل ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة. الحج:١٤] ويحكم ما يشاء. ولذلك قيد الله تعالى الإجابة بالمسألة في قوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام:٤١] فلا معنى لاشتراط المشيئة بِقِبْلِه.

قوله: (**ولمسلم**) أي: مِن وجهٍ آخَرَ.

قوله: («**وَلْيُعظِّم الرغبة**») هو بالتشديد («**فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**») يقال: تَعاظم زيد هذا الأمر، أي: كَبُر عليه وعَسُر. قال: **والرغبة** يعني الطَّلِبة والحاجة التي يريد. وقيل: السؤال والطلب بتكرار الدعاء والإلحاح فيه. والأول أظهر، أي لِسَعة جُوده وكرمه، لا يَعظُم عليه إعطاء شيء، بل جميع الموجودات في أمره يَسيرٌ، وهو أكبر من ذلك. وهذا هو غاية المطالب، فالاقتصار على الداني في المسألة إساءةُ ظَنٍّ بجوده وكرمه.

٤٨ ـ باب لا يقول: عبدي وأَمَتي

ش: أيْ: لِما في ذلك من الإيهام من المشاركة في الربوبية، فنُهي عن ذلك أدباً مع جَنَاب الربوبية، وحمايةً لِجَناب التوحيد.

قال: في «الصحيح» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَقُلْ أحدكم: أطعِمْ رَبَّك، وَضِّئْ ربك. وَلْيَقُلْ: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأَمَتي. وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وفَتَاتِيْ وغُلامي».

ش: **قوله**: (**في «الصحيح»**) أيِ: «الصحيحين» [خ(٢٥٥٢)، م(٢٢٤٩)].

قوله: (**«لا يَقُلْ أحدكم»**) هو بالجزم على النهي، والمراد أن يقول ذلك لمملوكه أو مملوكِ غيره، فالكلُّ مَنهيّ عنه.

قوله: (**«أَطْعِم ربّك»**) بفتح الهمزة من الإطعام.

قوله: (**«وَضِّئ ربك»**) أَمْرٌ من الوضوء. وفيهما ـ في هذا الحديث ـ زيادةُ: «اِسْقِ رَبّك». وكأن المؤلف اختصرها. **قال الخَطّابيّ**: وسببُ المنعِ أن الإنسان مربوب مُعبّد ـ بإخلاص التوحيد ـ لله تعالى، وترك الإشراك به. فتَرْكُ المضاهاة بالاسم لئلا يدخل في معنى الشرك، ولا فرق في ذلك بين الحُرّ والعبد. وأما من لا تَعبُّد عليه من سائر الحيوانات والجمادات، فلا يُكره أن يطلق ذلك عليه عند الإضافة كقوله: رَبُّ الدار والثوب. **قال ابن مفلح** في «الفروع»: وظاهرُ النهيِ التحريمُ، وقد يُحتمل أنه للكراهية، وجزم به غير واحد من العلماء.

فإن قلت: قد قال الله تعالى حكاية عن يوسف ﷺ: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] وقال النبي ﷺ في اشتراط الساعة: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها» [خ (٥٠)، م (٨،٩)] فهذا يدل على الجواز.

= **قيل**: **فأما** الآية ففيها جوابان: **أحدهما** ـ وهو الأظهر ـ: أن هذا جائز في شرعِ مَن قَبْلنا، وقد ورد شَرْعُنا بخلافه. **والثاني**: أنه ورد لبيان الجواز، والنهي للأدب والتنزيه دون التحريم. **وأما** الحديث فليس من هذا الباب؛ للتأنيث، والنهيُ عنه أن يقول ذلك للذكر لِما فيه مِن إيهام المشاركة، وهو معدوم في الأنثى. أو يقال بحمله على الكراهة في الأنثى أيضاً؛ لورود الحديث بذلك، دون الذكر؛ لأنه لم يَرِدْ فيه إلا النهي، أو يقال ـ وهو أظهر ـ: إن هذا ليس فيه إلا

وَصْفُها بذلك لا دُعاؤها به، وتسميتُها به، وفَرْقٌ بين الدعاء والتسمية، وبين الوصف، كما تقول: زيد فاضل، فتَصِفُه بذلك ولا تُسمِّيه به ولا تَدْعوه.

قوله: («**وَلْيقل: سيدي**») قيل: إن الفرق بين الرب **والسيد**، أن الرب من أسماء الله تعالى اتّفاقاً، واختلف في السيد هل هو من أسماء الله تعالى؟ ولم يَأْتِ في القرآن أنه من أسماء الله. لكن في حديث عبد اللَّه بن الشِّخِّير: «السيدُ: الله» [د (٤٨٠٦)] وسيأتي[1]. فإن قلنا: (ليس من أسماء الله) فالفرق واضح؛ إذْ لا التباس. وإن قلنا: (إنه من أسماء الله) فليس ـ في الشهرة والاستعمال ـ كلفظ: (الرب)؛ فيحصل الفرق. وأما من حيث اللغة فـ(**السيد**) من السؤدد وهو التقدم، يقال: ساد قومه إذا تقدمهم، ولا شُكر في تقديم السيد على غلامه، فلّما حصل الافتراق جاز الإطلاق. صحيح

قلت: وحديث ابن الشِّخِّير لا ينفي إطلاق لفظ **السيد** على غير الله، بل المراد أن الله هو الأحق بهذا الاسم بأنواع العبارات، كما أن غيره لا يسمى به.

(«**ومولاي**») **قال النووي**: (المولى) يطلق على ستةَ عَشَرَ معنىً؛ منها: الناظر، والمولى، والمالك، وحينئذٍ فلا بأس أن يقول: **مولاي**.

قال في «الفروع»: ولا يقل: عبدي وأَمَتي، كلكم عبيد اللَّه، وإماء الله. ولا يَقُلِ العبد لسيده: ربي. وفي مسلم أيضاً: «ولا مولاي، فَموْلاكُمُ الله». وظاهر النهي للتحريم. وقد يحتمل أنه

---

(١) رحم الله الشارح وجزاه خيراً على شرحه الذي انتفعت به الأمة؛ فقد قُتل قبل إكماله هذا الشرح. وحديث ابن الشِّخِّير في الباب الستين ولم يَصِل إليه الشارح. وقد أكملْنا ـ في طبعتنا هذه ـ شَرْحَ الكتابِ من «فتح المجيد».

للكراهة، وجزم به غير واحد من العلماء كما في «شرح مسلم». **انتهى** كلامه.

قلت: فظاهرُ روايةِ مسلم معارِضةٌ لحديث الباب، وأجيب بأن مسلماً قد بَيّنَ الاختلاف فيه عن الأعمش، وأن منهم مَن ذَكر هذه الزيادة، ومنهم مَن حذفها. **قال عِياض**: وحَذْفُها أصحُّ. فظهر أن اللفظَ الأولَ أرجحُ. وإنما صِرْنا للترجيح، للتعارض بينهما، والجمعُ مُتعذِّر، والعِلْمُ بالتاريخ مفقودٌ، فلم يَبْقَ إلا الترجيح.

قلت: الجمع ممكن بحمل النهيِ على الكراهة، أو على خلافِ الأَولى.

قوله: («**ولا يقل أحدكم: عبدي وأَمتي**») لأن حقيقة العبودية إنما يَستحقّها الله تعالى، ولأن فيها تعظيماً لا يليق بالمخلوق، وقد بَيّن النبي ﷺ العلة في ذلك؛ كما رواه أبو داود (٤٩٧٥) ـ بإسنادٍ صحيح ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا يَقولَنّ أحدكم: عبدي وأَمتي. صحيح
ولا يقولن المملوك: ربي ورَبَّتي. وَلْيَقُلِ المالك: فَتَايَ وفتاتي. وَلْيَقُلِ المملوك: سيدي وسيدتي؛ فإنكمُ المملوكون، والربُّ: الله ﷻ» ورواه صحيح
أيضاً (٤٩٧٦) ـ بإسناد صحيح ـ موقوفاً، فهذه عِلّة له. وفي روايةٍ لمسلم (٢٢٤٩): «لا يقولن أحدكم: عبدي، فإن كلكم عبيد اللّه».

قال في «مصابيح الجامع»: النهي إنما جاء مُتوجِّهاً إلى السيد إذْ هو في مَظِنّة الاستطالة. وأما قول الغير: (هذا عبدُ زيدٍ، وهذه أَمَةُ خالدٍ) فجائزٌ؛ لأنه يقول إخباراً أو تعريفاً، وليس في مَظِنّة الاستطالة.

قلت: وهو حسن، وقد رُوِيَتْ أحاديثُ تدل على ذلك. **وقال ابو جعفر النَّحاس**: لا نعلم بين العلماء خلافاً أنه لا ينبغي لأحد أن يقول لأحد من المخلوقين: مولاي، ولا يقولَ: عبدك وعبدي، وإن كان مملوكاً، وقد حظر رسول الله ﷺ على المملوكين، فكيف للأحرار؟!

قوله: («**وَلْيَقُلْ: فتاي، وفتاتي، وغلامي**») أي: لأنها ليست دالّةً

على المُلك كدلالة: «عبدي وأَمَتي» فأرشد ﷺ إلى ما يؤدي المعنى من السلامة من الإيهام والتعاظم، مع أنها تطلق على الحُرّ والمملوك، لكن إضافته تدل على الإخلاص.

٤٩ ـ باب لا يَرُدُّ مَن سئل بالله

ش: أي: إعظاماً وإجلالاً لله تعالى أن يُسألَ به في شيء ولا يجابَ السائل إلى سؤاله ومطلوبه، ولهذا أمر النبي ﷺ، بإبرار القسم. وتنازعوا هل هو أمْر استحباب، أو إيجاب؟ وظاهر كلام **شيخ الإسلام** التفريق بين أن يَقصد إلزامه بالقسم فتجب إجابته، أو يَقصد إكرامه فلا تجب عليه. ولهذا أَوجب على المُقِسم في الأولى الكفارةَ، إذا لم يَفعلِ المحلوف عليه ـ دون الثانية ـ لأنه كالأمر، ولا يجب إذا كان للإكرام؛ لأمر النبي ﷺ أبا بكر بوقوفه في الصفّ ولم يَقِفْ [خ (٦٨٤)، م (٤٢١)]؛ ولأن أبا بكر أقسم على النبي ﷺ، ليخبرنه بالصواب والخطإ ـ لمّا فَسّر الرؤيا ـ، فقال النبي ﷺ: «لا تُقْسِمْ» كما في «الصحيحين» [خ (٧٠٤٦)، م (٢٢٦٩)] قال: لأنه علم أنه لم يَقصدِ الإقسامَ عليه؛ مع المصلحة المُقتضِية للكَتْم.

صحيح **قال**: عنِ ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى ترَوْا أنكم قد كافأتموه» رواه أبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٢٤٠٧) بسند صحيح.

ش: **قوله**: («مَنِ استعاذ بالله فأعيذوه») أي: «مَن» سألكم أن تدفعوا عنه شَرَّكم أو شر غيركم «بالله»، كقوله: بالله عليك أن تدفع عني شَرَّ فلان أو شَرَّكَ، أعوذ بالله مِن شَرِّك أو شر فلان، ونحو ذلك، «**فأعيذوه**» أي: امنعوه مما استعاذ منه وكُفُّوه عنه؛ لتعظيم اسم الله تعالى، ولهذا [لمّا] قالتِ الجَوْنية للنبي ﷺ: أعوذ بالله منك،

قال: «لقد عُذْتِ بمعاذ، الْحقَي بأهلك» [خ (٥٢٥٤)]. ولفظ أبي داود: «مَنِ استعاذكم بالله فأعيذوه ومن سألكم بالله فأعطوه».

قوله: («ومَن سأل بالله فأعطوه») وفي حديث ابن عباس عند أحمد (٢٢٤٧) وأبي داود (٥١٠٨): «ومن سألكم بوجه الله فأعطوه» ومعناه ظاهر، وهو [أن] يقول: أسألك بالله ـ أو بوجه الله، ونحو ذلك ـ أن تفعل ـ أو تُعطيَني ـ كذا. ويدخل في ذلك: القسمُ عليه بالله أن يفعل كذا. وظاهرُ الحديثِ وجوبُ إعطائه ما سأل، ما لم يسأل إثماً، أو قطيعة رحم. وقد جاء الوعيد على ذلك في عدة أحاديث؛ منها: حديث أبي موسى مرفوعاً: «ملعونٌ مَن سأل بوجه الله، وملعون مَن يُسأل بوجهه ثم مَنَع سائله، ما لم يسأل هُجْراً» رواه الطبراني. قال في «تنبيه الغافلين»: ورجال إسناده رجال الصحيح، إلا شيخه يحيى بن عثمان بن صالح، والأكثر على توثيقه، فإن بلغ هذا الإسناد أو إسناد غيره مبلغاً يحتج به؛ كان ذلك من الكبائر. وعن أبي عبيدة مولى رفاعة بن رافع مرفوعاً: «ملعونٌ مَن سأل بوجه الله، وملعون من سئل بوجه الله فمنع سائله» رواه الطبراني [٢٢/(٩٤٣)] أيضاً. وعن ابن عباس مرفوعاً: «ألا أخبركم بِشرِّ الناس: رجل يُسأل بالله ولا يُعطي» رواه الترمذي (١٧١٩) وحسنه، وابن حبان في «صحيحه» (٦٠٤). وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألاَ أخبركم بشرِّ البرية؟!» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الذي يُسأل بالله ولا يُعطي» رواه أحمد (٩١١٥).

حسن صحيح

حسن: «الجامع» (٥٨٩٠)

صحيح: «الترغيب» (٨٤٦)

صحيح

إذا تبين هذا: فهذه الأحاديث دالّة على إجابة مَن سئل بالله أو أقسم به، ولكن **قال شيخ الإسلام**: إنما تجب على مُعيَّن، فلا تجب على سائل يقسم على الناس. وظاهر كلام الفقهاء أن ذلك مستحب كإبرار القسم، والأول أصح.

قوله: («ومَن دعاكم فأجيبوه») أي: «مَن دعاكم» إلى طعام «فأجيبوه». فإن كانت وليمةَ عُرس وتَوفرتِ الشروط المبينة في كتب الفقه = وَجبتِ الإجابة. وإن كان لغيرها استُحِبَّ إجابتها. وتجب

مطلقاً، وهو الصحيح؛ لظاهر الأحاديث، وهي لم تُفرِّقْ بين وليمة العرس وغيرها، وإن كانت وليمةُ العرس آكَدَ وأوْجَبَ.

قوله: (**«ومَن صَنع إليكم معروفاً فكافِئوه»**) (المعروف): اسمٌ جامِعٌ للخير. **وقوله**: **«فكافئوه»** أي: على إحسانه؛ بمثله أو خير منه. وقد **أشار شيخ الإسلام** إلى مشروعية المكافأة؛ لأن القلوب جُبلتْ على حُبِّ مَن أحسنَ إليها، فهو إذا أحسن إليه ـ ولم يكافئه ـ يبقى في قلبه نوعُ تألُّهٍ لمن أحسن إليه، فشرعَ قَطْعُ ذلك: بالمكافأة، **فهذا معنى كلامه. وقال غيره**: إنما أمر بالمكافأة لِيَخْلُص القلبُ من إحسان الخَلق ويتعلق بالحق. ولفظ أبي داود: «مَن أتىٰ إليكم معروفاً...».

قوله: (**«فإن لم تَجِدوا ما تُكافئوه»**) هكذا ثبت بحذف النون في خط المصنف، وهكذا هو في غيره من أصول الحديث. **قال الطِّيبي**: سقطت مِن غيرِ ناصبٍ ولا جازم، إما تخفيفاً أو سهواً من الناسخ.

قوله: (**«فادعوا له ...»**) إلخ. يعني: «مَن» أحسنَ إليكم أيَّ إحسانٍ «فكافِئوه» بمثله ﴿فَإِن لَّمْ﴾ تقدروا؛ فبالِغوا في الدعاء **«له»** جُهْدَكم حتى تحصل المسألة، ووَجْهُ المبالغةِ أنه رأى في نفسه تقصيراً في المجازاة ـ لعدم القدرة عليها ـ فأحالها إلى الله، ونِعْمَ المُجازي هو! وهذا الحديث رواه أيضاً أحمد (٥٣٦٦) بإسناد صحيح، وابن حبان (٣٤٠٨) والحاكم (٤١٢/١) وصححه النووي. وقد روى الترمذي (٢١٢٠/١) وصححه [و] النَّسائي (١٠٠٠٨) وابن حبان (٣٤١٣) عن أسامةَ بن زيد مرفوعاً: «مَن صَنع إليكم معروفاً؛ فقال ~~الفاعل~~ [الفاعله]: جزاك الله خيراً = فقد أبلغ في الثناء». صحيح

٥٠ ـ باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

أي إعظاماً وإجلالاً وإكراماً لوجه الله **أنْ يُسأل** به **إلا غاية المطالب**، وهذا من معاني قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن].

قال: عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة» رواه أبو داود (١٦٧١) أيضاً. ضعيف

ش: **قوله**: (عن جابر) هو **جابر** بن عبد اللّه.

قوله: («**لا يُسألُ بوجه الله إلا الجنة**») روي بالنفي والنهي، وروي بالبناء للمجهول، وهو الذي في الأصل، وروي بالخطاب للمفرد. **وفيه: إثبات... الوجه** خلافاً للجَهْمية ونحوِهم، فإنهم أوّلوا الوجه بـ: الذات؛ وهو باطل؛ إذْ لا يُسمّىٰ ذاتُ الشيء وحقيقته: وجهاً، فلا يُسمّىٰ الإنسان: وجهاً، ولا تُسمّىٰ يده: وجهاً، ولا تُسمّىٰ رِجله: وجهاً. والقول في الوجه ـ عند أهل السنة ـ كالقول في بقية الصفات، فيُثْبِتونه لله على ما يليق بجلاله وكبريائه مِن غيرِ كَيْفٍ ولا تحديد، إثباتٌ بلا تمثيل، وتنزيهٌ بلا تعطيل.

قوله: («**إلا الجنة**») كأن يقول: (اللهم إني أسألك بوجهك الكريم أنْ تدخلني الجنة). وقيل: المراد: «**لا**» تسألوا من الناس شيئاً «**بوجه الله**»؛ كأن يقول: (أعطني شيئاً بوجه الله)، فإن الله أعظم مِن أن يُسأل به شيء من الحُطام.

قلت: والظاهر أن كِلا المَعْنَيَيْنِ صحيحٌ. **قال الحافظ العراقي**: وذِكر الجنة إنما هو للتنبيه به على الأمور العِظام لا للتخصيص، فلا يسأل بوجهه في الأمور الدنيئة ـ بخلاف الأمور العِظام ـ تحصيلاً أو دفعاً، كما يشير إليه استعاذة النبي ﷺ به.

قلت: والظاهر أن المراد: («لا يسأل بوجه الله إلا الجنة» أو ما هو وسيلة إليها)، كالاستعاذة بوجه الله مِن غَضَبه ومن النار ونحو ذلك مما هو وارد في أدعيته ﷺ وتعوُّذاته. ولمّا نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٤] قال: «أعوذ بوجهك». رواه البخاري (٧٤٠٦)، وهذا الحديث رواه في «المختارة» أيضاً ولكن في

إسناده سليمان بن معاذ. **قال ابن معين:** ليس بشيء، وضعفه عبد الحق وابن القَطّان.

٥١ ـ باب ما جاء في الـ «لو»

اعلم أن مِن كمال التوحيدِ: الاستسلامَ للقضاء والقدر رضاً بالله رَبّاً؛ فإن هذا من جنس المصائب، والعبد مأمور عند المصائب بالصبر والإرجاع والتوبة. وقول: «**لو**» لا يجدي عليه إلا الحزن والتحسُّر؛ مع ما يخاف توحيده من نوع المعاندة للقدر الذي لا يكاد يَسْلَم منها مَن وَقع منه هذا إلا ما شاء الله، فهذا وَجْهُ إيراده هذا البابَ في «التوحيد».

قال: وقولُ الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ش: قال ابن كثير: فَسَّر ما **أَخْفَوْه** ﴿فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ بقوله: (﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾) أي: يُسِرّون هذه المقالة عن رسول الله ﷺ.

[حسن] **قال ابن إسحاق:** حدثني يحيى بن عبادة بن عبد اللّه بن الزبير عن أبيه، عن عبد اللّه بن الزبير قال [الزبير]: لقد رأيتُني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا: أرسل الله علينا النوم، فما منا رجل إلا ذَقْنه في صدره فوالله إني لأسمع قول مُعتِّب بن قُشير ـ ما أسمعه إلا كالحلم ـ: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ فحَفِظْتُها منه. وفي ذلك أنزل الله ﷻ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ لقول مُعتِّب؛ رواه ابن أبي حاتِم. **قال الله تعالى:** (﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾) أي: هذا قَدَرٌ مُقدَّرٌ من الله ﷻ، وحُكْمٌ حَتْمٌ لازِمٌ لا مَحيد عنه ولا مَناص منه.

قلت: فتبين وجه إيراد المصنفِ الآيةَ على الترجمة، لأن قولَ: **«لو»** ـ في الأمور المقدرة ـ من كلام المنافقين، ولهذا ردَّ الله عليهم ذلك بأن هذا قَدَرٌ، فمَن كُتب عليه شيء فلا بد أن يناله، فماذا يغني عنكم قول: **«لو»** و(ليت) إلا الحسرة والندامة؟! فالواجب عليكم ـ في هذه الحالة ـ الإيمانُ بالله والتعزّي بقَدَره مع ما تَرجُون مِن حُسن ثوابه، وفي ذلك عين الفلاح لكم في الدنيا والآخرة، بل يَصِلُ الأمر إلى أن تنقلب المخاوف أماناً والأحزانُ سروراً وفرحاً؛ كما قال عمر بن عبد العزيز: أصبحتُ وما لي سرور إلا في مَواقع القضاء والقدر.

قال: وقوله تعالى: ﴿(١٦٧) ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ . . .﴾ الآية [آل عمران].

ش: روى ابن جَرير عن السُّدّيّ قال: خرج رسول الله ﷺ يوم أُحُدٍ في ألف رجل، وقد وَعدهمُ الفتحَ إنْ صَبروا، فلمّا خرجوا رجع عبد اللّه بن أُبيٍّ في ثلاثمئة، فتبعهمْ أبو جابر السَّلَميّ يَدْعوهم، فلما غلبوه و﴿وَقَالُواْ﴾ له: ما ﴿نَعْلَمُ قِتَالًا﴾ [آل عمران:١٦٧] ولئن أطعتَنا لَتَرجِعَنّ معنا. فنزل: (﴿(١٦٧) ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ . . .﴾ الآيةَ [آل عمران]) وعن ابن جريج في الآية؛ قال: هو عبد اللّه بن أبيّ ﴿ ٱلَّذِينَ. . . وَقَعَدُواْ﴾ و﴿قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ الذين خرجوا مع النبي ﷺ، يوم أحد؛ رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم. فعلى هذا (إخوانهم) هم المسلمون المجاهدون، وسُمُّوا إخوانَهم لموافقتهم في الظاهر. وقيل: إخوانهم في النسب لا في الدِّين. (﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾) **قال ابن كثير**: لو سمعوا مشورتنا عليهم في القعود، وعدم الخروج ﴿مَا قُتِلُواْ﴾ مع من قتل. قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٦٨)﴾ [آل عمران] أي: ﴿إِن﴾ كان القعود يَسلَم به الشخص من القتل والموت فينبغي أنكم لا تموتون، والموت لا بد آتٍ إليكم ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] فادفعوا ﴿عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ قال مجاهد، عن جابر بن

عبد الله: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبيّ. **قلت**: وكان أشار على رسول الله ﷺ، يوم أُحُدٍ بعَدَم الخروج، فلمّا قدر الله الأمرَ قال ذلك تصويباً لرأيه، ورفعاً لشأنه، فَرَدَّ الله عليه وعلى أمثاله ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فلا تُعذرون عن ذلك. فعلم أن ذلك بقضاء الله وقدره؛ أي: يستوي الذي في وسط الصفوف والذي في البروج المشيدة في القتل والموت. بل ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤] فلا ينجي حَذَرٌ من قدر؛ وفي ضمن ذلك قولُ: «**لو**» ونحوِه في مثل هذا المقام؛ لأن ذلك لا يجدي شيئاً، إذِ المُقدَّر قد وقع فلا سبيل إلى دفعه أبداً ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور].

قال: في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «احْرِصْ على ما ينفعك، واستعِنْ بالله، ولا تَعجز. وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكنْ قُلْ: قَدَرُ الله وما شاء فعل؛ فإن (لو) تَفتح عَمَلَ الشيطان».

ش: **قوله**: (**في «الصحيح»**) أي: «صحيح مسلم» (٢٦٦٤).

قوله: (**«احرص على ما ينفعك...»**) إلخ. هذا الحديث اختصره المصنف رحمه الله، ولفظه: أن النبي ﷺ قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير. **احرِص على ما ينفعك...**» إلى آخره.

فقوله عليه السلام: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» **فيه**: أن الله سبحانه موصوف بالمحبة. **وأنه**: يحب على الحقيقة كما قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤] **وفيه**: أنه سبحانه يحب مُقتضىٰ أسمائه وصفاته، وما يوافقها؛ فهو القوي ويحب «المؤمن القوي»، وهو «وتر يحب الوتر» [خ (٦٤١٠)، م (٢٦٧٧)]، و«جميل يحب الجمال» [م (٩١)]، وعليم يحب العلماء، ومحسن

﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة. آل عمران: ١٣٤، ١٤٨. المائدة: ١٣، ٩٣]، وصبور ﴿يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران]، وشكور يحب الشاكرين.

قلت: الظاهر أن المرادَ: القوةُ في: أمرِ الله وتنفيذه» ـ والمسابقةِ بالخير، والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبرِ على ما يصيب في ذات الله، ونحوِ ذلك ـ؛ لا قوةُ البدن. ولهذا مدح الله الأنبياء بذلك في قولِه: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص] ـ فالأيدي: القوة، والعزائم في تنفيذ أمر الله ـ، وقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص].

وقوله: «**وفي كلٍّ خير**» أي: «**كلٌّ**» من «**المؤمن القوي**» و«**المؤمن الضعيف**» على «**خير**» وعافية، لاشتراكهما في الإيمان والعمل الصالح. ولكن «**القوي**» في إيمانه ودينه «**أحب إلى الله**».

وفيه: أن محبة المؤمنين تتفاضل فيُحبّ بعضهم أكثر من بعض.

وقوله: («**اِحرِصْ على ما ينفعك**») هو بفتح الراء وكسرها. **قال ابن القيم**: سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في مَعاشه ومَعاده. و(الحرص): هو بَذْل الجُهد واستفراغ الوُسْع. فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حِرصُه محموداً، وكماله كلّه في مجموع هذين الأمرين: أن يكون حريصاً، وأن يكون حِرصه على ما ينتفع به. فإنْ حَرَص على ما لا ينفعه أو فَعَل ما ينفعه بغير حرص؛ فإنه من الكمال بحسَب ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحِرص على ما ينفع.

قوله: («**واستعن بالله**») **قال ابن القيم**: لمّا كان حِرص الإنسان وفِعله إنما هو بمعونة الله، ومشيئته، وتوفيقه = أَمَره أن يستعين به ليجتمع له مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة] فإن حرصه ـ على ما ينفعه ـ عبادةٌ لله، ولا تَتِمّ إلا بمعونته. فأمره بأن يعبده ويستعين به. **وقال غيره**: («**استعن بالله**») أي: اطلُبِ الإعانة في جميع أمورك من الله لا من غيره. كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة] فإن العبدَ عاجزٌ لا يقدر على شيء إنْ لم يُعِنه

الله عليه، فلا مُعين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله ﷻ. فمَن أعانه الله فهو المُعان، ومَن خَذله فهو المخذول. وقد كان النبي ﷺ يقول في خطبته ويُعلم أصحابه أن يقولوا ـ: «الحمد لله... نستعينه ونستهديه» [م (٨٦٨)][1]، ومن دعاء القنوت: «اللهم إنا نستعينك» (هق ٢/ ٢١٠) وأمَر معاذ بن جبل ألّا يَدَعَ في دبر كل صلاة أن يقول: «اللهم صحيح أَعِنّي على ذِكرك وشكرك وحُسن عبادتك» [د (١٥٢٢)]، وكان ذلك من صحيح دعائه ﷺ، ومنه أيضاً: «اللهم أَعِنّي ولا تُعِنْ علي» [د (١٥١٠)]. وإذا حَقّق العبد مقام الاستعانة وعَمِل به، كان مستعيناً بالله ﷻ، متوكلاً عليه، راغباً وراهباً إليه؛ فيستحق له مقام التوحيد إن شاء الله تعالى.

قوله: («ولا تَعْجَز»). وهو بكسر الجيم وفتحها. اِستَعْمِلِ الحِرصَ والاجتهاد، في تحصيل ما ينفعك مِن أمر دينك ودنياك التي تستعين بها على صيانة دينك، وصيانة عيالك، ومكارم أخلاقك. ولا تُفرِّط في طلب ذلك، ولا تتعاجز عنه مُتّكلاً على القدر، أو متهاوناً بالأمر. فتُنسَبَ للتقصير وتُلامَ على التفريط شرعاً وعقلاً مع إنهاء الاجتهاد نهايته، وبلاغ الحرص غايته. فلا بد من الاستعانة بالله والتوكل عليه والالتجاء في كل الأمور إليه، فمَن ملك هٰذين الطريقين حصل على خير الدارين.

وقال ابن القيم: العجز ينافي حِرصه على ما ينفعه، وينافي استعانته بالله. فالحريصُ على ما ينفعه، المستعينُ بالله: ضد العاجز. فهذا إرشاد له قبل رجوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحريص عليه مع الاستعانة بمَن أَزِمّة الأمور بيده، ومصدرها منه، ومَردّها إليه.

قوله: («فإن أصابك شيء...») إلى آخره. العبد إذا فاته ما لم يُقدر له فله حالتان: حالةُ عَجْزٍ وهي مفتاح عمل الشيطان؛ فيلقيه

---

(١) وتسمى «خطبة الحاجة». ولشيخنا الألباني ﷺ رسالة فيها، وهي من مطبوعاتنا.

العجز إلى «لو» ولا فائدة في «لو» هٰهنا، بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان، فنهاه ﷺ عنِ افتتاح عمله بهذا المفتاح، وأمره **بالحالة الثانية**، وهي النظر إلى القدر وملاحظته، وأنه لو قُدِّر له لم يَفُتْه ولم يغلبه عليه أحد، فلم يَبْقَ له هٰهنا أَنْفَعَ من شهود القدر، ومشيئة الرب النافذة، التي تُوجِب وجود المقدور وإذا انتفتِ امتنع وجوده، فلهذا **قال: («وإن أصابك شيء») أي**: غَلَبك الأمرُ ولم يَحصُلِ المقصود ـ بعد بَذل جهده والاستعانة بالله ـ **(«فلا تقل: لو أني فعلت لَكان كذا وكذا. ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فَعَلَ»)** فأرشَده إلى ما ينفعه في الحالتين: حالةِ حصولِ مطلوبه، وحالةِ فَواته. فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبداً، بل هو أشد شيء إليه ضرورة، **وهو** يتضمن: إثبات القدر، والكسب، والاختيار، والقيام بالعبودية باطناً وظاهراً في حالَتي حصولِ المطلوب وعدمه، **هذا معنى كلام ابن القيم. وقال القاضي:** قال بعض العلماء: هذا النهي إنما هو لِمن قاله معتقداً ذلك حتماً، وأنه لو فعل ذلك لم يُصِبْه قطعاً، فأما مَن رَدّ ذلك إلى مشيئة الله تعالى، وأنه لن يصيبه إلا ما شاء الله، فليس من هذا، واستدل بقول أبي بكر الصديق في الغار: لو أن أحدهم رفع رأسه لَرآنا [(؟)، خ (٣٦٥٣)، م (٢٣٨١)]. قال القاضي: وهذا ما لا حجة فيه، لأنه أخبر عن مستقبل، وليس فيه دعوى لرد القدر بعد وقوعه. قال: وكذا جميع ما ذكره البخاري فيما يجوز من الـ «لو»؛ كحديث: «لولا حِدْثانُ قومِكِ بالكفر، لَأتممتُ البيت على قواعد إبراهيم» [خ (١٥٨٣)، م (١٣٣٣)] و: «لو كنت راجماً بغير بينة لَرجمتُ هذه» [خ (٦٨٥٥)، م (١٤٩٧)]، و: «لولا أن أشُقّ على أمتي لأمرْتُهم بالسواك» [خ (٨٨٧)، م (٢٥٢)] وشبه ذلك. وكله مستقبل لا اعتراض فيه على قدر ولا كراهة فيه لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في قدرته، فأما ما ذهب فليس في قدرته. **فإن قيل**: ما تصنعون بقوله ﷺ: «لو

استقبلتُ مِن أمري ما استدبرتُ ما سُقْتُ الهَدْيَ، ولَجَعَلْتُها عمرةً» [خ (١٦٥١)، م (١٢١٨)]؟ =**قيل**: هذا كقوله: «لولا حِدْثان قومِكِ بالكفر» ونحوه مما هو خبرٌ عن مستقبلٍ لا اعتراض فيه على قدر، بل هو إخبارٌ لهم أنه لوِ استقبل الإحرامَ بالحج؛ ما ساقَ الهَدْيَ ولا أَحْرَم بالعمرة بقوله لهم لما أمرهم بفسخ الحج إلى العمرة حَثّاً لهم وتَطْييباً لقلوبهم لمّا رآهم تَوَّقفوا في أمره، فليس مِن المنهيّ عنه، بل هو إخبار لهم عما كان يفعل في المستقبل لو حصل، ولا خلاف في جواز ذلك، وإنما يُنهىٰ عن ذلك في معارضة القدر، مع اعتقاد أن ذلك المانع لو يقع لوقع خلاف المقدور.

قوله: («**فإن: (لو) تفتح عمل الشيطان**») أي: من الجزع والعجز واللوم والسخط من القضاء والقدر ونحو ذلك، ولهذا مَن قالها على وجه النهي عنه، فإن سلم من التكذيب بالقضاء والقدر؛ لم يَسلَم من المعاندة له، واعتقاد أنه لو فَعل ما زعم؛ لم يَقعِ المقدور، ونحو ذلك، وهذا من عمل الشيطان. **فإن قيل**: ليس في هذا ردٌّ للقدر ولا تكذيب به، إذْ تلك الأسباب التي تَمنّاها: من القدر فهو يقول: لو أني وقفت لهذا القَدَرِ لَانْدَفعَ به عني ذلك القدر، فإن القدر يدفع بعضه ببعض. = **قيل**: هذا حقٌّ، ولكن ينفع قبل وقوع القدر المكروه، فأما إذا ما وقع فلا سبيل إلى دَفْعه، وإن كان له سبب إلى دَفْعه أو تخفيفه بقَدَر آخَرَ، فهو أَوْلى به من قول: لو كنت فعلت، بل وحقيقته في هذه الحال أن يَستقبل فِعله الذي يدفع به المكروه، ولا يَتمنى ما لا مَطْمَعَ في وقوعه، فإنه عَجْزٌ مَحْضٌ والله يلوم على العجز، ويحب الكَيْسَ ويأمر به. و(الكيس): مباشرة الأسباب التي ربط الله بها بمسبباتها النافعة للعبد في معاشه ومعاده. **انتهى ملخصاً من كلام ابن القيم**.

٥٢ ـ باب النهي عن سب الريح

ش: أي لأنها مأمورة ولا تأثير لها في شيءٍ إلا بأمْر الله، فَسَبُّها كَسَبِّ الدهر، وقد تقدم النهي عنه (= ٥٢٦)، فكذلك الريح.

قال: عن أبيّ بن كعب ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَسبّوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون؛ فقولوا: اللهم إنا نسألك: خير هذه الريح، وخيرَ ما فيها، وخير ما أُمرتْ به، ونعوذ بك من: شَرِّ هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمرتْ به» صححه الترمذي (٢٣٦٧). صحيح

ش: **قوله**: **(عن أبيّ بن كعب)** أي: ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النّجّار، الأنصاريّ الخَزْرَجيّ، أبو المنذر. صحابي بَدْري جليل، وكان مِن قُرّاء الصحابة وقضاتهم وعلمائهم، وله مناقب مشهورة، اختلف في سنة موته، **فقال الهيثم بن عديّ**: مات سنة تسعة عشر، **وقال خليفةُ بن خَيّاط**: سنة اثنين وثلاثين، يقال فيها مات أبي بن كعب، ويقال: بل مات في خلافة عمر. **قلت**: وقيل غير ذلك.

قوله: **(«لا تَسبّوا الريح»)** أي: لا تَشتِموها ولا تلعنوها لِلُحوق ضررٍ فيها؛ فإنها مأمورة مقهورة، فلا يجوز سَبُّها، بل تجب التوبة عند التضرر بها، وهو تأديب من الله تعالى لعباده، وتأديبه رحمةٌ للعباد؛ فلهذا جاء في حديث أبي هريرة مرفوعاً: «الريح مِن روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب، فلا تَسبّوها، ولكن سَلُوا الله من خيرها، وتَعوَّذوا بالله مِن شرها» رواه أحمد (٧٤٠٤) وأبو داود (٥٠٩٧) وابن ماجه (٣٧٢٧). صحيح
وكونها قد تأتي بالعذاب لا يُنافي كونَها مِن رحمة الله. وعنِ ابن عباس أن رجلاً لعن الريح عند النبي ﷺ، فقال: «لا تلعنوا الريح، فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئاً ـ ليس له بأهل ـ رَجعتِ اللعنةُ إليه» رواه الترمذي [(٢٠٦١)، د (٤٩٠٨)] وقال: غريب. صحيح

قال الشافعي: لا ينبغي شتم الريح، فإنها خَلْقٌ مطيع لله، وجُنْدٌ مِن جنوده، يجعلها الله رحمة إذا شاء، ونقمة إذا شاء. ثم رَوَىٰ

بإسناده حديثاً منقطعاً أن رجلاً شكى إلى رسول الله ﷺ الفقرَ، فقال له: «لعلك تسب الريح». وقال مُطرِّفٌ: لو حُبِسَتِ الريحُ عن الناس لأنْتَنَ ما بين السماء والأرض.

قوله: (**«فإذا رأيتم ما تكرهون»**) أي: من الريح إما شدة حَرّها، أو بردها، أو قُوّتها.

قوله: (**«فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح»**) أَمَر ﷺ بالرجوع إلى خالِقها وآمِرها الذي أَزِمّة الأمور كلها بيده، ومصدرها عن قضائه، فما استُجلبتْ نعمة بمثل طاعته وشكره، ولا استُدفعت نِقمة بمثل الالتجاء إليه، والتعوذ به، والاضطرار إليه، والاستكانة له، ودعائه، والتوبة إليه، والاستغفار من الذنوب. قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا عَصفتِ الريح قال: «اللهم إني أسألك مِن: خيرها وخير ما فيها، وخيرِ ما أرسلت به، وأعوذ بك من: شَرِّها، وشر ما فيها، وشر ما أُرسلتْ به». وإذا تَخَيَّلَتِ السماء تَغيَّر لونه، وخرج ودخل وأدبر وأقبل، فإذا مُطِرتْ سُرِّيَ ذلك عنه، فعرفت عائشة ذلك فسألته، فقال: «لعله يا عائشة كما قال قوم عادٍ ﴿(٢٤) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف]» رواه البخاري (٤٨٢٩ بعضه) ومسلم (٨٩٩)، فهذا ما أَمَر به ﷺ وفَعَله، عند الريح وغيرِها من الشدائد المكروهات، فأين هذا ممن يستغيث بغير الله من الطواغيت والأموات، فيقولون: يا فلانُ ٱلْزَمْها أو أَزِلْها؟! فالله المستعان.

٥٣ ـ باب قول الله تعالى:

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ...﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤].

ش: أراد المصنفُ بهذه الترجمةِ التنبيهَ على وجوب حُسن الظن بالله، لأن ذلك من واجبات التوحيد، ولذلك ذم الله مَن أساء الظن

به، لأن مَبنىٰ حُسن الظن على العلم برحمة الله وعِزّته وإحسانه وقدرته وعلمه وحسن اختياره وقوة المتوكَّل عليه، فإذا تم العلم بذلك أثمرَ له حُسنَ الظن بالله. وقد ينشأ حسن الظن مِن مشاهدة بعض هذه الصفات. وبالجملة فمَن قام بقلبه حقائق معاني أسماء الله وصفاته، قام به من حسن الظن ما يناسب كل اسم وصفة، لأن كل صفة لها عبودية خاصة، وحسن ظن خاص. وقد جاء الحديث القدسي، قال الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني» رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥). وعن جابر ﷺ، أنه سمع النبي ﷺ، قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ» رواه مسلم (٢٨٧٧) وأبو داود (٣١١٣). وفي حديث عند أبي داود (٤٩٩٣) وابن حبان (٦٣١): «حُسْنُ الظنّ مِن حسن العبادة» رواه ضعيف الترمذي (٣٨٦١) والحاكم (٢٤١/٤)، ولفظهما: «حسن الظن بالله من حسن العبادة».

قوله: (﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾) **قال ابن القيم**: ثم أخبر عن الكلام الذي صدر عن ظنهم الباطل وهو قولهم: (﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾) وقولهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾، فليس مقصودُهم بالكلمة الأولى والثانية إثباتَ القدر وردَّ ﴿ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ ولو كان مقصودهم لما ذمّوا عليه ولَمَا حَسُنَ الردّ عليهم بقوله: (﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾) ولا كان مصدر هذا الكلام ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ ولهذا قال غير واحد من المفسرين: إن ظنهم الباطل هٰهنا هو: **التكذيب** بالقدر، وظنهم **أن الأمر** لو كان إليهم لَكان رسول الله ﷺ، وأصحابه تَبَعاً لهم؛ يسمعون منهم، لَمَا أصابهمُ القتل، ولَكان التصرف والظَّفَر لهم. فكَذّبهمُ الله ﷻ في هذا الظن الباطل الذي هو ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ وهو الظن المنسوب إلى أهل الجهل الذين يزعمون بعد نفاذ القضاء والقدر ـ الذي لم يكن بد مِن نفاذه ـ: أنهم كانوا قادرين على دَفْعه. **وأن** الأمر ﴿لَوْ كَانَ﴾ إليهم لَمَا نفذ

القضاء، فأكذبهم الله بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ فلا يكون إلا ما سبق به قضاؤه وقدره، وجرى به قلمه وكتابه السابق، وما شاء الله كان ولا بد، شاء الناس أم أَبَوْا، وما لم يشأ لم يكن، شاءه الناس أو لم يشاؤوه، وما جرى عليكم من الهزيمة والقتل فَبأمره الكونيّ الذي لا سبيل إلى دفعه، سواء كان لكم من الأمر شيء أو لم يكن، فإنكم ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ وقد ﴿كُتِبَ... ٱلْقَتْلُ﴾ على بعضكم؛ لخرج مَن ﴿كُتِبَ﴾ عليه ﴿ٱلْقَتْلُ﴾ من بيته ﴿إِلَىٰ﴾ مضجعه ولا بد، سواء كان له من الأمر شيء أو لم يكن. وهذا من أظهر الأشياء إبطالاً لقول القَدَرية النُّفاة، الذين يُجوِّزون أن يقع ما لا يشاء الله وأن يشاء ما لا يقع.

قوله: (﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾) أي: يختبر ما فيها من الإيمان والنفاق، فالمؤمن لا يزداد بذلك ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب]، والمنافق ومن في قلبه مرض لا بد أن يظهر ما في قلبه على جوارحه ولسانه.

قوله: (﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾) هذه حكمة أخرى، وهي تمحيص ما في قلوب المؤمنين وهو تخليصه وتنقيته وتهذيبه، فإن القلوب يخالطها: تغليب الطباع، وميل النفوس، وحكم العادة، وتزيين الشيطان، واستيلاء الغفلة؛ مما يُضادُّ ما أُودِعَ فيها من الإيمان والإسلام والبر والتقوى. فلو تركت في عافية دائمة مستمرة، لم تتخلص من هذه المخاطر ولم تتمحص منه، فاقتضت حكمة العزيز الرحيم أن قيض لها من المحن والبلايا ما يكون كالدواء الكريه لِمَن عَرض له داء إن لم يتداركه طبيب ـ بإزالته وتنقيته ممن هو في جسده ـ وإلا خِيف عليه من الفساد والهلاك، فكانت نعمته ـ سبحانه ـ عليهم بهذه الكثرة والهزيمة، وقَتْلِ مَن قُتل منهم: تُعادِل[1] نعمته عليهم بنصره،

---

(١) في الطبعة الأولى: تعاد.

وتأييدهم، وظفرهم بقدرتهم، فله عليهمُ النعمة التامّة في هذا وهذا.

قوله: (﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾) يعني أهلَ الإيمان واليقين والثبات والتوكل الصادق، وهمُ الجازمون بأن الله ﷻ سينصر رسوله، وينجز له مأموله، ولهذا قال: (﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾) يعني: لا يغشاهمُ النعاس؛ من القلق (﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾) كما قال في الآيةَ الأخرى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الفتح:١٢]. وهكذا هؤلاء، اعتقدوا أن المشركين لمّا ظهروا تلك الساعة: أنها الفاصلة وأن الإسلام قد باء وأهله.

قال ابن القيم: (﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾) هو المنسوب إلى أهل الجهل، وظن غير الحق، لأنه: غير ما يليق بأسمائه ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وصفاته العلى وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، أو خلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والإلٰهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه. وقد ذكر المؤلف تفسير ابن القيم لهذه الآية، وهو أحسن ما قيل فيها، وسيأتي (= ٥٨٦) ما يتعلق به إن شاء الله تعالى.

قوله: (﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾) هذا أيضاً من حكاية مقال المنافقين، والظاهر أن المعنى: إنا أُخرجنا كرهاً، ولو كان ﴿ٱلْأَمْرُ﴾ إلينا ما خرجنا ـ كما أشار إليه ابنُ أُبيٍّ بذلك ـ، ولفظُه استفهامٌ، ومعناه النفيُ، أي: ما إن ﴿شَىْءٍ﴾ ﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: أمْرِ الخروج، وقيل غير ذلك، فردّ الله عليهم بقوله: (﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾) أي: ليس لكم ﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ... شَىْءٍ﴾ ولا لغيركم، بل ﴿ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾، فهو الذي إذا شاء ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الرعد: ١١].

وقوله: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ تقدم الكلام عليها (= ٥٧٤) في (باب: ما جاء في الـ «لو»).

وقوله: ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ أي: قدر الله هذه الهزيمة

والقتل، ليختبر ﴿ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾ بأعمالكم، لأنه قد عَلِمه غيباً فيَعلَمه شهادة لأن المجازاة إنما تقع على مَن يَعلَم مشاهدةً، لا على ما هو معلوم منهم غير مغمور (﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾) أي: يظهرها من الشدة والمرض بما يُريكم من عجائب آياته وباهِرِ قدرته، وهذا خاص بالمؤمنين دون المنافقين (﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾) قيل: معناه: إن ﴿ٱللَّهُ﴾ لا يبتليكم ليعلم ما في صدوركم فإنه ﴿عَلِيمٌ﴾ بذلك وإنما ابتلاكم لِيُظهر أسراركم، والله أعلم.

قال: وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ..﴾ الآية [الفتح: ٦].

ش: **قال ابن كثير:** يتهمون الله تعالى في حكمه، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أنْ يُقتَلوا ويذهبوا بالكلية، ولهذا قال: (﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ﴾) أي: أبعدهم من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ۝٦﴾).

قال ابن القيم في الآية الأولى: فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحِلُّ. وفُسِّر أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففُسِّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يُتِمَّ أمرَ رسوله، وأن يظهره ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح: ٢٨، التوبة: ٣٣، الصف: ٩] وهذا هو ﴿ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ الذي ظن المنافقون والمشركون في (سورة: الفتح). وإنما كان هذا ﴿ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ لأنه ظنٌّ غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحَمْده ووعده الصادق. فمَن ظن أنه يُديل الباطلَ على الحق إدالةً مستقرّةً يضمحل معها الحق، وأنكر أن يكون - ما جرى - بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدّره لحكمةٍ بالغة يَستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئةٍ مجرّدة = فـ ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧﴾ [ص]. وأكثر الناس ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ﴾ ﴿ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، فقلَّ مَن

يَسْلَم من ذلك إلا مَن عرف الله وأسماءه وصفاته، وهو موجب حكمته وحمده، فَلْيعْتنِ اللبيبُ ـ الناصح لنفسه ـ بهذا، وَلْيَتُبْ إلى الله تعالى ويستغفره مِن ظنه بربه ﴿ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ ولو فتشتَ مَن فتشتَ لرأيت عنده تعنّتاً على القدر، ومَلامة له، يقول: إنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقِلٌّ ومستكثِر، وفَتِّشْ نفسَك هل أنت سالِمٌ؟!

فإن تَنْجُ منها تنج مِن ذي عظيمةٍ وإلّا، فإني لا إخالُكَ ناجياً

ش: **قوله**: **(فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله...)** إلى آخره. هذا تفسيرُ غيرِ واحدٍ من المفسرين وهو مأخوذ من تفسير قَتَادةَ والسُّدّيّ، وذكر ذلك عنهما ابن جرير وغيره بالمعنى.

وقوله: **(وأن أمره سيَضْمَحِلُّ)** أي: سيذهب جملة حتى لا يبقى له أثر. والاضمِحْلال: ذهاب الشيء جُملةً.

قوله: **(وفسر أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحِكمته)** **قال القُرطبيّ**: وقال جُوَيْبِر، عنِ الضَّحّاك، عنِ ابن عباس ـ في قوله: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾ ـ: يعني التكذيبَ بالقدر. وذلك أنهم تكلّموا فيه، فقال الله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ يعني: القدرَ خيرَه وشرَّه من الله.

وأما تفسيره **بإنكار الحكمة**، فلم أَقِفْ عليه عن السلف، فهو تفسير صحيح، فمَن أنكر أن ذلك لم يكن لـ ﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ﴾ [القمر:٥] يستحق عليها الحمد والشكر، فقد ظن بالله ﴿ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ وقد أشار تعالى إلى بعض الحكم والغايات المحمودة في ذلك، في (سورة: آل عمران) فذكر شيئاً كثيراً، منها في الآية المفسرة: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾ [آل عمران] فهذا بعض الحكمة في ذلك؛ فمن أنكره، فقد ظن ﴿ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ بالله وحكمته وعلمه ورحمته؛ لكمال علمه وقدرته ورحمته، ولأن من أسمائه ﴿ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأنعام:٦٢] وذلك هو موجبُ لهَيبته وربوبيته.

قوله: **(لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه)** أي: لأن الذي يليق به

سبحانه أنه يُظهر الحق على الباطل وينصره، فلا يجوز في عقلٍ ولا شرع أن يُظهر الباطل على الحق. قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء] وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء].

قوله: **(ولا يليق بحكمته وحمده)** أي: إن الذي يليق بحكمته وحمده ألّا يكون في السمٰوات ولا في الأرض حركة ولا سكون إلا وله في ذلك الحكمة البالغة والحمد الكامل التام عليها، فكيف بمثل هذا الأمر العظيم الذي وقع على سيد المرسلين ﷺ، وعلى سادات الأولياء رضي الله عنهم، فله سبحانه وتعالى في ذلك الحكمة، وله عليه الحمد، بل والشكر. ومن تأمل ما في (سورة آل عمران [: ١٢١ ـ ١٧٩]) في سياق القصة؛ رأى من ذلك العجب، فمَن ظن بالله تعالى أنه لا يفعل ذلك بقدرةٍ وحكمةٍ ـ يستحق عليها الحمد والشكر ـ فقد ظن به ظن السوء.

قوله: **(فمَن ظَنّ أنه يُديل الباطلَ على الحق إدالةً مستقرّة يَضمحلُّ معها الحق)** فهذا ﴿ظَنَّ السَّوْءِ﴾ لأنه نَسَبه ـ أي سبحانه ـ إلى ما لا يليق بجلاله وكماله ونعوته وصفاته، فإنّ حمده وحكمته وعِزَّته تأبىٰ ذلك، وتأبىٰ أن يُذلّ حزبه وجنده وأن تكون النصرةُ المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين المعاندين له، فمَن ظنّ به ذلك، فما عرفه ولا عرف أسماءه وصفاته وكماله.

قوله: **(أو أنكر أن يكون ـ ما جرى ـ بقضائه وقدره)** أي: فذلك ﴿ظَنَّ السَّوْءِ﴾، لأنه نسبة له إلى ما لا يليق بربوبيته وملكه وعظمته.

قوله: (أو أنكر أن يكون قَدّره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة فـ ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص]).

قال ابن القيم: وكذلك من أنكر أن يكون قدّر ما قدره من ذلك

وغيره **لحكمة بالغة** وغاية محمودة **يستحق عليها الحمد، وأن ذلك** إنما صدر عن **مشيئة مجردّة** عن حكمة وغاية مطلوبة هي أحب إليه من فواتها[1]، وأن تلك الأسباب المكروهة المُفْضِية إليها لا يخرج تقديرها عن الحكمة لانضمامها إلى ما يحب، وإن كانت مكروهة له، فما قدرها سُدىً ولا شاءها عبثاً ولا خلقها باطلاً ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص].

قوله: (**ووَعْدِه الصادق**) لأن الله تعالى وعد رسوله ﷺ أن يُظهر أمره ودينه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة، الصف:٩]، فمن ظن به تعالى أنّ دين نبيه سيضمحل ويبطل، ولا يظهر ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ فقد ظن به ظن السوء، لأنه ظن أنه يخلف الميعاد والله تعالى ﴿لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران، الرعد: ٣١].

قوله: (**وأكثر الناس يظنون بالله** ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ **فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم**). **قال ابن القيم**: فمَن قنط من رحمته، وأيِس مِن روحه، فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. ومَن جوّز عليه أن يعذب أولياءه ـ مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوي بينهم وبين أعدائه ـ فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. ومَن ظَنّ أنه يترك خلقه ﴿سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة] معطّلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رسله، ولا ينزل إليهم كتبه، فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. ومَن ظن أنه لن يجمعهم بعد موتهم؛ للثواب والعقاب، في دار يجازي فيها المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويُظهر للعالمين كلهم صِدقه، وصِدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين = فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. ومَن ظن أنه يُضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصاً لوجهه على امتثال أمره، ويبطله عليه بلا سبب من العبد، أو أنه [يعاقبه بما لا صنع له فيه ولا اختيار له ولا قدرة ولا إرادة له في

---

(١) في الطبعة الأولى: قوتها.

حصوله، بل] يعاقبه على فِعله سبحانه به، أو ظن به أنه يجوز عليه أن يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبياءه ورسله [ويُجْريها على أيديهم ليُضلوا بها عباده]، وأنه يَحْسُن منه كل شيء حتى يعذب مَن أفنى عمره في طاعته ـ أي: كمحمد ﷺ ـ فيخلده في الجحيم، أو في أسفل سافلين، و[يُنَعِّم] من استنفد عمره في عداوته، وعداوة رسله ودينه ـ كأبي جهل ـ فيرفعه إلى أعلى عليين، وكلا الأمرين في الحسن سواء عنده، ولا يعرف امتناع أحدهما، ووقوع الآخر إلا بخبر صادق، وإلا فالعقل لا يقضي بقبح أحدهما وحسن الآخر = فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. ومَن ظن أنه أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل، وترك الحق لم يخبر به، وإنما رمز إليه[1] رموزاً بعيدة، وصرح دائماً بالتشبيه والتمثيل والباطل، وأراد مِن خلقه أن يُتْعِبوا أذهانهم وقُواهم وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه، وتأويله على غير تأويله، وإعانتهم في معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على كتابه، مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به، ويريحهم من الألفاظ التي توقعهم في اعتقاد الباطل؛ فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. ومن ظن به أن يكون له في ملكه ما لا يشاء ولا يقدر على إيجاده وتكوينه، فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. ومن ظن أنه لا سمع له، ولا بصر، ولا علم ولا إرادة، ولا كلام يقوم به، وأنه لم يكلم أحداً من الخلق، ولا يتكلم أبداً، فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. ومن ظن أنه ليس فوق سمٰواته على عرشه بائناً من خلقه، وأن نسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل سافلين، وأنه أسفل كما أنه أعلى، وأن من قال: سبحان ربي الأسفل كمن قال: سبحان ربي الأعلى = فقد ظن به أقبح الظن. ومن ظن أنه يحب ﴿ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧]

---

(١) في الطبعة الأولى: إليهم.

والفساد، ولا يحب الإيمان والبر والطاعة والصلاح، فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. ومن ظن أنه لا يحب، ولا يرضى، ولا يغضب، ولا يوالي، ولا يعادي، ولا يقرب من أحد من خلقه، ولا يقرب عنده أحد، وأن ذوات الشياطين في القرب منه، كذوات الملائكة المقربين، فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. ومن ظن أنه يسوي بين المتضادين، أو يفرق بين المتساويين في كل وجه، أو يحبط طاعات العمر المديد الخالصة الصواب بكبيرة واحدة تكون بعدها، فيخلده في الجحيم لتلك الكبيرة، كما يخلد من لم يؤمن به طرفة عين، واستنفد عمره في مَساخطه، ومعاداة رسله ودينه؛ فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾.

وبالجملة فمن ظن به خلاف ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو عطل حقائق ما وصف به نفسه، ووصفه به رسله؛ فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. ومن ظن أن له ولداً أو شريكاً، أو أن أحداً يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه، يتقربون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم فيَدْعونهم، ويخافونهم، ويرجونهم؛ فقدظن به أقبح الظن وأسوأه. ومن ظن به أنه ينال ما عنده بمعصيته ومخالفته، كما ينال بطاعته، والتقرب إليه، فهو مِن ظن السوء. ومَن ظن أنه إذا ترك لأجله شيئاً لم يعوضه خيراً منه، أو من فعل شيئاً لأجله، لم يُعْطِه أفضل منه؛ فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. ومن ظن أنه يغضب على عبده، ويعاقبه بغير جُرْم، ولا سبب من العبد إلا بمجرد المشيئة؛ فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. ومن ظن أنه إذا صدق في الرغبة والرهبة، وتضرع إليه وسأل واستعان به، وتوكل عليه أنه يخيبه، فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. ومن ظن أنه يثيبه إذا عصاه، كما يثيبه إذا أطاعه، وسأله ذلك في دعائه، فقد ظن به خلاف ما هو أهله، وما لا يفعله. ومن ظن أنه إذا أغضبه وأسخطه، ووقع في معاصيه، ثم اتخذ من دونه أولياء، ودعا من دونه مَلَكاً، أو بشراً حياً أو ميتاً؛ يرجو بذلك

أن ينفعه عند ربه، ويخلصه من عذابه، فقد ظن به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾. ومن ظن به أنه يسلط على رسوله محمد ﷺ أعداءه تسليطاً مستقراً دائماً في حياته ومماته، وابتلاه بهم لا يفارقونه، فلما مات استبدوا بالأمر دون وصيه، وأهل بيته، وسلبوهم حقهم، وأذلّوهم من غير جرم، ولا ذنب لأوليائه، وأهل الحق، وهو يرى ذلك، ويقدر على نصرة أوليائه وحزبه، ولا ينصرهم، ثم جعل المبدلين لِدِينه مضاجعيه [ﷺ] في حفرته تسلّم أمته عليه وعليهم كل وقت، كما تظنه الرافضة؛ فقد ظن به أقبح الظن. **انتهى** اختصاراً. وهو ينبهك على إحسان الظن بالله في كل شيء.

(**فَلْيَعْتنِ اللبيبُ**) اللُّبُّ: العقلُ، واللبيبُ: العاقلُ.

قوله: (ولو فَتّشتَ مَنْ فَتّشتَ لرأيت عنده تَعنُّتاً على القدر، ومَلامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا).

قلت: بل يبوحون بذلك، ويصرحون به جِهاراً في أشعارهم وكلامهم.

قال ابن عقيل في «الفنون»: الواحد مِن العوامّ إذا رأى مَراكبَ مُقلَّدةً بالذهب والفضة، وداراً مُشيَّدة مملوءة بالخدم والزينة؛ قال: (انظر إلى إعطائهم مع سوء أفعالهم) ولا يزال يلعنهم، ويذمّ مُعطِيهم حتى يقول: (فلان يصلي الجماعات والجمع، ولا يؤذي الذَّرَّ، ولا يأخذ ما ليس له، ويؤدي الزكاة إذا كان له مال، ويحج ويجاهد، ولا ينال خلة بقلبه) ويُظهر الإعجاب كأنه ينطق: إنه لو كانت الشرائع حقّاً لَكان الأمر بخلاف ما ترى، وكان الصالح غنيّاً، والفاسق فقيراً.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: وهذه حالة قد شَملت خلقاً كثيراً من العلماء والجهال، أوّلهم إبليس؛ فإنه نظر بعقله، فقال: كيف يفضل الطين على جوهر النار؟! وفي ضمن اعتراضه: إنّ حِكمتك قاصرة وأنا أجود. واتَّبع إبليسَ ـ في تفضيله واعتراضه ـ خلقٌ كثير، مثل الراوَنْدي والمعريّ، ومِن قوله:

إذا كان لا يَحظىٰ برزقك عاقلٌ　　وتَرزق مجنوناً وتَرزق أحمقا

ولا ذنب ـ يا ربَّ السماء ـ على امرئ　　رأى منك ما لا يَنتهي فتزندقا

[وأمثال ذلك كثير في أولئك الذين ابتعدوا عن كتاب الله وسنّة رسوله، وانطلقوا إلى أهوائهم، واعتمدوا على عقولهمُ القاصرةِ التي جَعلتْهم يعترضون على الله جل وعلا]. وكان أبو طالب المكي يقول: ليس على المخلوق أضرّ من الخالق. **قال ابن الجوزي:** ودخلتُ على صدقة بن الحسين الحداد، وكان فقيهاً غير أنه كان كثير الاعتراض، وكان عليه جرب، فقال: هذا ينبغي أن يكون على حمد لا عليّ. وكان يتفقد بعض الأكابر أكولاً، فيقول: بعث لي هذا على الكبر وقت لا أقدر على أكله. وكان رجل يصحبني قد قارب ثمانين سنة، كثير الصلاة والصوم، فمرض واشتد به المرض، فقال: إن كان يريد أن أموت فيميتني، وأما هذا التعذيب، فما له معنى، والله لو أعطاني الفردوس كان مكفوراً. ورأيت آخر تزيّا بالعلم إذا ضاق عليه رزقه يقول: أيْشٍ هذا التدبير؟ وعلى هذا كثير من العوامّ إذا ضاقتْ أرزاقهمُ اعترَضوا، وربما قالوا: ما يريد يصلي. وإذا رَأَوْا رجلاً صالحاً مؤذياً قالوا: (ما يَستحقّ)؛ قدحاً في القدر. وكان قد جرى في زماننا تَسلُّط من الظَّلَمة وقال بعض مَن تزيّا بالدين: (هذا حكم بارد) وما فَهِمَ ذلك الأحمق! فإن لله على الظالم [أن يسلط عليه أظلم منه]. وفي الحمقى من يقول: (أيُّ فائدة في خلق الحيات والعقارب؟!) وما عَلِم أن ذلك أُنموذجٌ لعقوبة المُخالِف، وهذا أمر قد شاع، ولهذا مددت النفس فيه. واْعلم أن المعترض قدِ ارتفع أن يكون شريكاً وعلا الخالق بالحكم عليه، وهؤلاء كلهم كفرة، لأنهم رَأَوْا حكمة الخالق قاصرة، وإذا كان قد توقف القلب عن الرضا بحكم الرسول ﷺ، يخرج عن الإيمان قال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (٦٥) [النساء] فكيف يصح الإيمان مع الاعتراض على الله؟!. وكان في زمن ابن عقيل رجل رأى بهيمة على غاية من السقم، فقال:

وارْحمتي[١] لك، واقِلّة حيلتي في إقامة التأويل لِمُعذِّبِكِ. فقال له ابن عقيل: إنْ لم تقلد على حمل هذا الأمر لأجل رقبتك الحيوانية ومناسبتك الجنسية، فعندك عقل تعرف به حكم الصانع وحكمته يوجب عليك التأويل، فإنْ لم تَجِدِ استَطرحتَ الفاطر العقل، حيث خانك العقل، عن معرفة الحكمة في ذلك. **انتهى**.

قوله: (**وفَتِّشْ نفسك: هل أنت سالم؟!**) **قال ابن القيم**: أكثر الخلق إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق، وظن السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسان حاله يقول: ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقّه، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره، ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتش نفسه، وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها، رأى ذلك فيها كامناً كُمون النار في الزناد، فاقرع زناد من شئت ينبئك شرارُها عمّا في زِناده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله ويستغفره كل وقت مِن ظنه بربه ظن السوء، ولْيَظُنَّ السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء وصنيع كل شر، المركبة على الجهل والظلم، فهو أولى بظن السوء مِن أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، الغني الحميد الذي له الغنىٰ التامّ، والحكمة التامّة، المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك وأفعاله، كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنى.

فلا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل
ولا تظنن بنفسك قط خيراً ... فكيف بظالم جان جهول
وظن بنفسك السوأى تجدها ... كذاك وخيرها كالمستحيل
وما بك من تقى فيها وخير ... فتلك مواهب الرب الجليل

---

(١) في الطبعة الأولى: وراحمتي.

وليس لها ولا منها ولكن من الرحمٰن فاشكر للدليل

قوله: (**فإنْ تَنْجُ منها**) أي: من هذه الخصلة العظيمة.

قوله: (**مِن ذي عظيمة**) أي: تَنْجُ مِن شرٍّ عظيم.

قوله: (**وإني لا إخالك**) هو بكسر الهمزة، أيْ: أظنّك. والله أعلم.

٥٤ ـ باب ما جاء في منكري القدر

ش: أي من الوعيد. **والقدَر**، بالفتح والسكون: ما يُقدِّره الله من القضاء. **ولمَّا** كان توحيد الربوبية لا يتم إلا بإثبات القدر ـ **قال القرطبي**: القدر: مصدر (قدَرتُ الشيء)، بتخفيف الدال، أقدِره وأقدُره قدَراً وقدْراً: إذا حصلت بمقداره، ويقال فيه: قدّرت أقدّر تقديراً مُشدّدَ الدال ـ فإذا قلنا: إن الله تعالى قدر الأشياء، فمعناه: إنه تعالى عَلِم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا مُحدِث في العالم العُلوي والسفلي إلا هو صادر عن علمه تعالى وقدرته وإرادته، هذا هو المعلوم من دين السلف الماضِين الذي دلت عليه البراهين = ذكر المصنف ما جاء في الوعيد في من أنكره تنبيهاً على وجوب الإيمان، ولهذا عَدّه النبي ﷺ من أركان الإيمان كما ثبت في حديث جبريل ﷺ لمّا سئل عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت [خ (٥٠)، م (٩ * ٨)]. وعن عبد اللّه بن عَمْرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة» قال: «﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧]» = وعن ابن عُمَر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ شيء بقدرٍ حتى العجز والكيْس» = رواهما مسلم في «صحيحه» (٢٦٥٣و٢٦٥٥).

وعن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن صحيح

بأربع: يشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، والبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر» رواه الترمذي (٢٢٤٦)، وابن ماجه (٨١) والحاكم في «مستدركه» (١/ ٣٢). والأحاديث في ذلك كثيرة جداً؛ قد أفردها العلماء بالتصنيف.

قال البغوي في «شرح السنة» (٧٨): الإيمان بالقدر فرضٌ لازمٌ، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد خيرِها وشرِّها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم. قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات] فالإيمان والكفر، [والطاعة والمعصية كلها بقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته، غير أنه يرضى الإيمان والطاعة][1] ووعد عليهما الثواب، ولا يرضى الكفر والمعصية وأوعد عليهما بالعقاب. قال الله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم]. قال: والقدر سِرٌّ من أسرار الله تعالى لم يُطْلِع عليه مَلكاً مُقرّباً، ولا نبياً مرسلاً، ولا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله تعالى خلق الخلق، فجعلهم فريقين: أهل يمين خلقهم للنعيم فضلاً، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلاً. قال الله تعالى: ﴿﴿١٧٩﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف] وقد سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرْني عن القدر. قال: طريق مظلم، فلا تَسلُكْه. فأعاد السؤال فقال: بحر عميق لا تَلِجْه. فأعاد السؤال فقال: سِرُّ الله خَفِيَ عليك فلا تُفْشِه.

وقال شيخ الإسلام: مذهب أهل السنة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] وهو أن ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦، الزمر: ٦٢] وربُّه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع: الأعيان القائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال

(١) ما بين حاصرتين استدركناه من «شرح السنة».

العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، فقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخَلْقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعِلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون. وغلاة القَدَرية ينكرون عِلمه المتقدم وكتابته السابقة، ويزعمون أنه أمْر ونهي، وهو لا يعلم مَن يُطيعه ممن يعصيه، بل الأمر أُنُفٌ ـ أيْ: مستأنَف ـ.

وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين، وبعد إمارة معاوية بن أبي سفيان، في زمن الفتنة التي كانت بين ابن الزبير وبني أمية في آخر عصر عبد اللَّه بن عُمَر، وعبد اللَّه بن عباس وغيرهما من الصحابة، وكان أوّلَ مَن ظهر ذلك عنه بالبصرة معبدٌ الجُهَنيُّ، فلمّا بلغ الصحابة قول هؤلاء تبرؤوا منهم وأنكروا مقالتهم، ثم لمّا كَثُر خوض الناس في القدر صار جمهورهم يُقِرُّ بالعلم المتقدم والكتاب السابق، ولكن ينكرون عموم مشيئة الله وعموم خلقه وقدرته، ويظنون أنه لا معنى لمشيئته إلا أمْره، فما شاء فقد أَمَرَ به، وما لم يشأ لم يأمر به؛ فَلزِمهم أنه قد يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء. وأنكروا أن يكون الله خالقاً لأفعال العباد، أو قادراً عليها، أو أن يَخص بعض عباده من النعم مما يقتضي إيمانهم به وطاعتهم له. وزعموا أن نعمته التي بما يمكن الإيمان والعمل الصالح على الكفار كأبي جهل وأبي لهب مثل نعمته بذلك على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، بمنزلة رجل دفع إلى والديه بمالٍ قَسَمه بينهم بالسوية، ولكن هؤلاء أحدثوا أعمالهمُ الصالحةَ، وهؤلاء أحدثوا أعمالهمُ

الفاسدةَ مِن غير نعمة خَصّ الله بها المؤمنين. وهذا قولٌ باطل، وقد قال الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات] وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات].

وقال ابن القيم ما معناه: مراتب القضاء والقدر أربع مراتب:

الأولى: عِلم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

الثانية: كتابة ذلك عنده في الأزل قبل خلق السمٰوات والأرض.

الثالثة: مشيئته المتناولة لكلِّ موجودٍ؛ فلا خروج لكائنٍ كما لا خروج له عن عِلمه.

الرابعة: خلقه لها وإيجاده وتكوينه، فـ ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦،الزمر:٦٢]، وما سواه مخلوق.

قال: وقال ابن عُمَر: (والذي نَفْس ابن عُمَر بيده، لو كان لأحدهم مِثل أُحُدٍ ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله؛ ما قَبِله الله منه حتى يؤمنَ بالقدر). ثم استدل بقول النبي ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» رواه مسلم.

ش: قوله: (وقال ابن عمر) هو عبد اللّٰه بن عمر بن الخطاب.

قوله: (لو كان لأحدهم مِثل أُحُدٍ ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه...) إلخ. هذا قول ابن عمر لغُلاة القَدَرية الذين أنكروا أن يكون الله تعالى عالم بشيء من أعمال العباد قبل وقوعها منهم، وإنما يعلمها بعد كونها منهم؛ كما تقدم عنهم. **قال القرطبي:** ولا شك في تكفير مَن يذهب إلى ذلك، فإنه جَحْدُ معلومٍ من الشرع بالضرورة،

ولذلك تَبرّأ منهمُ ابن عمر، وأفتى بأنهم لا تقبل منهم أعمالهم ولا نفقاتهم، وأنهم كمن قال الله فيهم: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة] وهذا المذهب قد تُرِك اليوم، فلا يعرف مَن يُنسب إليه من المتأخرين من أهل البدع المشهورين. **فقال شيخ الإسلام** لمّا ذكر كلام ابن عمر هذا: وكذلك كلام ابن عباس ـ وجابر بن عبد اللّه، وواثلة بن الأسقع وغيرهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسائر أئمة المسلمين ـ فيهم كثيرٌ، حتى قال فيهمُ الأئمة ـ كمالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل وغيرهم ـ: إن المنكرين لِعلِم الله المتقدم ينكرون القدر[1].

وقوله: (ثم استدل بقول النبي ﷺ: **«الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**) فجعل النبي ﷺ في هذا الحديث كأنه لمّا سئل عنِ الإسلام، ذكر أركان الإسلام الخمسة لأنها أصل الإسلام، ولمّا سئل عنِ الإيمان أجاب بقوله: «أن تؤمن بالله...» إلى آخره. فيكون المرادُ حينئذٍ بالإيمان جنسَ تصديق القلب، وبالإسلام جنسَ العمل، والقرآن والسنة مملوءان بإطلاق الإيمان على الأعمال، كما هما مملوءان بإطلاق الإسلام على الإيمان الباطن، مع ظهور دلالتهما أيضاً على الفرق بينهما، ولكن حيث أفرد أحد الاسمين دخل فيه الآخر، وإنما يفرق بينهما حيث فرّق بين الاسمين، ومن أراد تحقيق ما أشرنا إليه فَلْيراجع كتاب «الإيمان الكبير»[2] لشيخ الإسلام. **إذا**: تبين هذا، فوَجْهُ استدلال ابن عمر بالحديث مِن جهة أن النبي ﷺ عَدّ الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، فمَن أنكره لم يكن مؤمناً، إذِ الكافرُ

---

(١) كلمة القدر لم تكن في الأصل، ولكن يقتضيها سياق الكلام.

(٢) وهو من مطبوعات المكتب الإسلامي.

بالبعض كافرٌ بالكلّ، فلا يكون مؤمناً مُتّقياً، والله لا يقبل إلا ﴿مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة].

وهذا قطعة من حديث جبريل عليه السلام، وقد أخرجه مسلم بطوله أول (كتاب: الإيمان) في «صحيحه» (٨) من حديث يحيى بن يَعْمَر، عن ابن عمر، ولفظه: عن يحيى بن يَعمَرَ قال: كان أوّلَ مَن قال في القدر بالبصرة مَعبدٌ الجُهَنيُّ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمٰن الحِمْيَريُّ حاجِّين أو مُعتمرَين، فقلنا: لو لَقِينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوُفِّقَ لنا عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجدَ، فاكْتَنَفْتُه أنا وصاحبي، أحدُنا عن يمينه، والآخَرُ عن شِماله، فظَننتُ أنّ صاحبي سَيَكِلُ الكلامَ إليّ، فقلت: يا أبا عبد الرحمٰن! إنه قد ظهر قِبَلنا أناسٌ يقرؤون القرآن وَيَتَقَفَّرون(١) العِلمَ، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أنْ لا قدر، وأن الأمر أنف. قال: فإذا لَقِيتَ أولئك فأخبِرهم أني بريء منهم، وأنهم بُرَآءُ مني، والذي يَحلِفُ به عبد اللَّه بن عمر: لو أن لأحدهم مِثْلَ أُحُدٍ ذهباً فأنفقه، ما قَبله الله منه حتى يؤمنَ بالقدر. ثم قال: حدثني أبي عمرُ بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذْ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياض الثياب، شديدُ سَوادِ الشعر، لا يُرىٰ عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، فقال: يا محمد! أخبِرْني عن الإسلام. . .، وذكر الحديث.

وقوله: («خيرِه وشرّه») أي: خير القدر وشره، أي: أنه تعالى قَدَّر الخير والشر قبل خَلْق الخلق، وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره وإرادته، لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان]. ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر] وغيره ذلك.

---

(١) أي يطلبونه ويتتبعونه.

فإن قلت: كيف قال: «وتؤمن بالقدر خيره وشره» وقد قال في الحديث: «والشَّرُّ ليس إليك» [م (٧٧١)]؟!

= **قيل:** إثبات الشرّ في القضاء والقدر إنما هو بالإضافة إلى العبد، والمفعول إنْ كان مقدّراً عليه، فهو بسبب جَهْله وظلمه وذنوبه، لا إلى الخالق، فله في ذلك مِن الحِكَم ما تَقْصرُ عنه أفهام البشر، لأن الشرّ إنما هو بالذنوب، وعقوباتها في الدنيا والآخرة، فهو شَرٌّ بالإضافة إلى العبد، أما بالإضافة إلى الرب سبحانه وتعالى، فكلّه خيرٌ وحِكمة، فإنه صادر عن حُكمه وعِلمه، وما كان كذلك فهو خير مَحْضٌ بالنسبة إلى الرب سبحانه وتعالى، إذْ هو موجب أسمائه وصفاته، ولهذا قال: «والشر ليس إليك» أي: تمتنع إضافته إليك بوجهٍ من الوجوه، فلا يضاف الشرّ إلى ذاته وصفاته، ولا أسمائه ولا أفعاله، فإن ذاته منزّهة عن كل شرّ. وصفاته كذلك؛ إذ كلها صفاتُ كمالٍ ونعوتُ جلالٍ، لا نَقْصَ فيها بوجهٍ من الوجوه. وأسماؤه كلها حُسنى ليس فيها اسمُ ذمٍّ ولا عيبٍ. وأفعاله حكمة ورحمة ومصلحة وإحسان وعدل، لا تخرج عن ذلك ٱلْبَتّة. وهو المحمود على ذلك كله. فتستحيل إضافة الشر إليه؛ فإنه ليس شرٌّ في الوجود إلا الذنوب وعقوبتها، وكونُها ذنوباً تأتي مِن نفس العبد، فإن سببَ الذنبِ الظلمُ والجهلُ، وهما في نفس العبد؛ فإنه ذاتٌ مستلزمة للجهل والظلم، وما فيه من العلم والعدل فإنما حصل له بفضل الله عليه، وهو أمر خارج عن نفسه. فمن أراد الله به خيراً أعطاه الفضلَ فصَدَرَ منه الإحسانُ والبرُّ والطاعة. ومن أراد به شرّاً أمسكه عنه، وخَلاّه ودواعيَ نفسه وطبعه وموجبها، فصدر عنه موجب الجهل والظلم؛ من كل شر وقبيح، وليس مَنْعه من ذلك شرّاً، ولله في ذلك الحكمة التامة، و﴿ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ﴾ [الأنعام:١٤٩]. فهذا عدله، وذلك فضله ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد:٢٩، الجمعة:٤]، وهو العلي الحكيم.

هذا معنى كلام ابن القيم، وهو الحق.

وحاصله أن الشر راجع إلى مفعولاته، لا إلى ذاته وصفاته، ويتبين ذلك بمثال ـ ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] ـ: لو أن ملكاً من ملوك العدل كان معروفاً بقمع المخالفين وأهل الفساد، مقيماً للحدود والتعزيرات الشرعية على أرباب أصحابها، لَعَدُّوا ذلك خيراً يحمده عليه الملوك، ويمدحه الناس ويشكرونه على ذلك، فهو خير بالنسبة إلى الملوك؛ يُمدح ويُثنىٰ به ويشكر عليه وإنْ كان شرّاً بالنسبة إلى مَن أقيم عليه. فرب العالمين أولىٰ بذلك؛ لأن له الكمالَ المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات. وأيضاً فلولا الشرُّ هل كان يُعرَف الخير، فإن الضدّ لا يُعرَف إلا بضده. فإن لم تُحِطْ به خُبْراً فاذكُرْ كلام ابن عقيل في الباب الذي قبل هذا (= ٥٩٢)، و«أسِلمْ تسلم» والله أعلم.

صحيح **قال:** وعن عُبادةَ بنِ الصامت أنه قال لابنه: يا بُنيَّ إنك لن تَجِدَ طَعْمَ الإيمان حتى تَعْلَمَ أنَّ ما أصابك لم يكن لِيُخطِئَك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أوّلَ ما خلق الله القلم، فقال [له]: اكتب. قال: رَبِّ! وماذا أكتب؟ قال: اكتبْ مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» يا بُنيَّ! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن مات على غير هذا فليس مني» [د(٤٧٠٠)].

[وفي رواية لأحمد: «إنّ أوّل ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»].

ش: قوله: (**يا بُنيّ إنك لن تَجِدَ طَعْمَ الإيمان...**) إلى آخره. **ابنه** صحيح هذا هو الوليد بن عبادة كما صرح به الترمذي (٢٢٥٨) في روايته. **وفيه:** أن للإيمان طعماً، وهو كذلك، فإن له حلاوة وطعماً، مَن ذاقه تَسلّىٰ به عنِ الدنيا وما عليها، وقد قال النبي ﷺ: «ثلاث مَن كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان:...» الحديثَ [خ (١٦)، م (٤٣)]. وإنما يكون العبد كذلك إذا كان مؤمناً بالقدر، إذْ يَمتنع أن توجد الثلاث فيه وهو لا يؤمن بالقدر بل يكذب به ويَرُدّ على الله كلامه وعلى الرسول ﷺ مقالته؛ فإن المحبة التامّة تقتضي المتابعة التامّة. فمن لم يؤمن بالقدر، لم

يَكُنِ «الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» فلا يجد حلاوة الإيمان ولا طعمه، بل إنْ كان منكراً للعلم القديم، فهو كافر كما تقدم (= ٥٩٨)، ولهذا روي عن بعض الأئمة القَدَرية الكبار ـ بإسناد صحيح ـ أنه قال ـ لمّا ذكر حديث ابن مسعود ﷺ: حدثني الصادق المصدوق. . .، الحديثَ ـ: لو سمعتُ الأعمش يقول هذا لَكَذّبته، ولو سمعت زيدَ بنَ وَهْبٍ يقول هذا لأجبته، ولو سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قَبِلْتُه، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لَرَدَدْتُه، وذكر كلمة بعدها. فهذا كُفر صريح نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه.

وقد بين في الحديث كيفية الإيمان بالقدر: **أن يعلم أن ما أصابه لم يكن لِيُخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه**، وهذا كما قال النبي ﷺ في حديث جابر ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى إن ما أصابه لم يكن لِيُخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه» رواه الترمذي (٢٢٤٥)، والمعنى: **أن العبد لا يؤمن حتى يعلم أن ما يصيبه** إنما أصابه في القدر، أي: ما قُدّر عليه من الخير والشر، **لم يكن ليخطئه**، أي: يجاوزه فلا يصيبه، **وأن ما أخطأه** من الخير والشر في القدر، أي: لم يقدر عليه، لم يكن لِيُصيبه، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد] وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة]. صحيح

قوله: («إن أوّلَ ما خلق الله القلم») **قال شيخ الإسلام**: قد ذكرنا أن للسلف في العرش والقلم أيهما خُلق قبل الآخر قولين ـ كما **ذكر ذلك الحافظ أبو العلاء الهَمَذاني** وغيره ـ:

أحدهما: أن القلم خلق أولاً ـ كما أطلق ذلك غيرُ واحد ـ وهذا هو الذي يفهم من ظاهر كتب المصنفين في «الأوائل» كالحافظ أبي

عَروبة الحَرّانيّ وأبي القاسم الطبراني(١)؛ للحديث الذي رواه أبو داود
صحيح في «سننه» (٤٧٠٠) عن عُبَادَةَ بن الصامت، وذكر الحديث المشروح.

والثاني: أن العرش خلق أولاً. **قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي** في تصنيفه في «الرد على الجهمية»(٢): حدثنا محمد بن كثير العبدي، أنبأنا سفيان الثوري، ثنا أبو هاشم، عن مجاهد عن ابن عباس قال: إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً، فكان أول ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما هو كائن، وأن ما يجري على الناس: على أمر قد فرغ منه. وكذلك **ذكر الحافظ ابو بكر البيهقي** في كتاب «الأسماء والصفات» لمّا ذكر بدء الخلق، ثم ذَكَر حديث
جيد: «السنة» (٥٨٤) الأعمش، عن المِنْهال بن عَمْرو، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس أنه سئل ـ عن قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٨] ـ: على أي شيء [كان الماء]؟ قال: على متنِ الريح. ورَوىٰ حديث القاسم بن
صحيح: «السنة» (١٠٨) [أبي] ~~مرة~~ [بَزّة]، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «أول شيء خلقه الله: القلم، وأمَره فكتب كل شيء يكون» **قال البيهقي:** وإنما أراد ـ والله أعلم ـ أول شيء خلقه بعد خَلْق الماءِ والريحِ والعرشِ، وذلك في حديث عِمرانَ بنِ حصينٍ الذي أشار إليه، وهو ما رواه البخاري (٧٤١٨) من غير وجه مرفوعاً عنه: «كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، ثم خلق السمٰوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء» ورواه البيهقي ـ كما رواه محمد بن هارون الروياني في «مسنده»، وعثمان بن سعيد الدارمي [١٤] وغيرهما، من حديث الثقات المتفق على ثقتهم ـ عن أبي إسحاق، عن الأعمش، عن جامع بن شَدّاد، عن صفوانَ بنِ مُحْرِز،

*(١) ومنهم ابن أبي عاصم في «الأوائل» (١ و٢) وهو من مطبوعات المكتب الإسلامي.

(٢) وهو من مطبوعات المكتب الإسلامي، وهو فيه ١٥ ـ ١٦.

عن عِمرانَ بنِ حُصين، عن النبي ﷺ قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم كتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السمٰوات» وذكر أحاديثَ وآثاراً، ثم قال ما معناه: فثبت في النصوص الصحيحة أن العرش خُلق أولاً.

وقال ابن كثير: قال قائلون: خلق القلم أولاً، وهذا اختيار ابن جَرير وابن الجَوزيّ وغيرهما. **قال ابن جرير:** وبعد القلمِ السحابُ الرقيق، وبعده العرشُ، واحتجوا بحديث عُبَادة، والذي عليه الجمهور أن العرش مخلوق قبل ذلك، كما دل على ذلك الحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه» (٢٦٥٣) يعني حديث عبد اللَّه بن عَمْرو بن العاص الذي تقدم (= ٥٩٥). قالوا: وهذا (التقدير) هو كتابتُه بالقلم المقاديرَ، وقد دل الحديث أن ذلك بعد خلق العرش، فثبت تقديمُ العرش على القلم الذي كتب به المقادير كما ذهب إلى ذلك الجماهير. ويُحمَل حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم. **انتهى** بمعناه.

قوله: (**«اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»**) **قال شيخ الإسلام:** وكذلك في حديث ابن عباس وغيره، وهذا يُبيِّن أنه إنما أمَره حينئذٍ أن يكتب مقدار هذا الخلق إلى قيام الساعة، لم يكن حينئذٍ ما يكون بعد ذلك.

قوله: (**«من مات على غير هذا لم يكن مني»**) أي: لأنه إذا كان جاحداً للعلم القديم فهو كافر، كما قال كثير من أئمة السلف: ناظِروا القدرية بالعِلم، فإن أقرّوا به خُصِموا، وإنْ جَحدوا كفروا. يريدون أن من أنكرَ العِلمَ القديم السابقَ بأفعال العباد، وأن الله قسمهم ـ قبل خَلْقهم ـ إلى شقيٍّ وسعيد، وكتب ذلك عنده في ﴿كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ۝﴾ [ق] فقد كَذّبَ القرآن، فيكفر بذلك، كما نص عليه الشافعيّ وأحمد وغيرهما، وإن أقروا بذلك وأنكروا أن الله خَلَقَ أفعالَ العباد ـ وشاءها وأرادها بينهم إرادة كونية قدرية، فقد خُصِموا، لأن ما أقرّوا به حجةٌ عليهم فيما أنكروه. وفي تكفير هؤلاء نِزاعٌ مشهور، وبالجملة فهم

أهل بدعة شنيعة، والرسول ﷺ بريء منهم، كما هو بريء من الأوّلين.

وقد بيض المصنف آخرَ هذا الحديث لِيَعْزُوَه. وقد رواه أبو داود (٤٧٠٠) وهذا لفظه، ورواه أحمد (٢٢٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥) وغيرهما.

صحيح: «السنة» (١١١)

قال: وفي رواية لابن وَهْب قال: قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر خيرِه وشرِّه أحرقه الله بالنار».

ش: **قوله**: **(وفي رواية لابن وهب)** هو الإمام الحافظ عبد الله بن وهب بن مسلم القُرَشيّ مولاهم، المصريّ الفقيه، ثقة إمام مشهور عابد، له مصنفات، منها «الجامع» وغيره، مات سنة سبع وتسعين ومئة وله اثنان وسبعون سنة.

قوله: **(«أحرقه الله بالنار»)** أي: لِكُفره، أو بِدعته إن كان ممن يُقِرّ بالعلم السابق ويُنكِر خَلْقَ أفعال العباد، فإنَّ صاحب البدعة متعرض للوعيد كأصحاب الكبائر، بل أعظم.

قال: وفي «المسند» و«السنن» عن أبي [ابن] الدَّيْلَميّ قال: أتيت أبيّ بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحَدِّثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي. فقال: لو أنفقت مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما قَبِله الله منك حتى: تؤمنَ بالقدر، وتعلمَ أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطاك لم يكن لِيُصيبك، ولو مِتَّ على غير هذا لَكُنْتَ من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحُذيفةَ بنَ اليمان، وزيد بن ثابت، كلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ. حديث صحيح؛ رواه الحاكم في «صحيحه» (؟).

ش: **قوله**: **(وفي «المسند»)** أي «مسند الإمام أحمد» (٢١٥٧٨) **(و«السنن»)** أي «سنن أبي داود» (٤٦٩٩) وابن ماجه (٧٧) فقط، بمعنى ما ذكر المصنف، وفيه زيادة اختصرها المصنف، ولفظ ابن ماجه: حدثنا علي بن محمد، حدثنا إسحاق بن سليمان، قال: سمعت أبا سِنان، عن وهب بن خالد الحمصي، عن ابن الدَّيْلَميّ قال: وقع في

نفسي شيء من هذا القدر خشيت أن يُفسِد عليّ ديني وأمري، فأتيت أُبيَّ بن كعب فقلت: يا أبا المنذر! إنه قد وقع في قلبي شيء من هذا القدر، فخشيت على ديني وأمري، فحدثني من ذلك بشيء لعل الله أن ينفعني. فقال: لو أن الله عذب أهل سمٰواته وأهل أرضه لَعَذَّبهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم، ولو رَحِمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو كان لكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذهباً أو مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ تنفقه في سبيل الله ما قُبِل منك حتى تؤمن بالقدر فتعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وإنك إنْ مُتَّ على غير هذا دَخلتَ النارَ، ولا عليك أنْ تَأتيَ - يا أخي - عبد اللَّه بن مسعود فتسألَ، فأتيت عبد اللَّه فسألتُه، فذكر مثل ما قال أُبيّ، وقال لي: لا عليك أن تأتيَ حذيفةَ، فأتيت حذيفة فسألته، فقال مثل ما قال: ائت زيد بن ثابت فاسأله، فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن الله عذب أهل سمٰواته وأهل أرضه لَعَذَّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو كان مثلُ أُحُدٍ أو مثل جبل أحد ذهباً تنفقه في سبيل الله ما قَبِله الله منك حتى تؤمن بالقدر كله، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وإنك إن مُتَّ على غير هذا دخلت النار» هذا حديث ابن ماجه. ولفظ أبي داود كما ذكره المصنف إلا أنه قال: ثم أتيت عبد اللَّه بن مسعود فقال مثل ذلك، ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ بمثل ذلك.

قوله: (عن أبي [ابن] الدَّيْلَميّ) هو عبد اللَّه بن فَيروزَ الديلمي. وفيروز قاتِلُ الأسودِ العَنْسيّ الكذاب. وعبد اللَّه هذا ثقة من كبار التابعين، بل ذكره بعضهم في الصحابة. و(الدَّيْلميّ) نسبة إلى جبل الدَّيْلَم. وهو من أبناء الفرس الذين بعثهم كسرى إلى اليمن.

قوله: (وقع في نفسي شيء من القدر) أي: شَكٌّ أوِ اضطرابٌ يؤدي إلى شَكٍّ فيه، أو جَحْدٍ له.

قوله: (لو أنفقت مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما قَبِله الله منك») هذا تمثيل ـ على سبيل الفرض ـ لا تحديدٌ، إذْ لو فُرض إنفاق مِلء السمٰوات والأرض؛ كان ذلك.

قوله: (حتى تؤمن بالقدر) أي: بأنّ جميع الأمور الكائنة ـ خيرِها وشرها، وحُلْوِها ومُرِّها، ونفعها وضرّها، وقليلها وكثيرها، وكبيرها وصغيرها ـ بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته وأمره، كما ذكر عن علي رضي الله عنه(١).

(١) إلى هنا قام المؤلف رحمه الله بشرح هذا الكتاب ولم يتيسر له إتمامه. وقد التمسنا من الأستاذ العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم [١٣١١ ـ ١٣٨٩ هـ] بارك الله فيه أن يتمم شرحه. ولكن الوقت لم يُسْعِفْه. فلم نر بدّاً من إتمام هذا النقص بنقل ما تبقى من أبواب الكتاب مع الشرح من كتاب «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى وبالله التوفيق. ط١.

قال المصنفُ رحمه الله تعالى:

٥٥ ـ باب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ومن أظلمُ ممن ذهب يخلقُ كخلقي، فليخلقوا ذرَّة أو ليخلقوا حبَّة، أو ليخلقوا شعيرة» أخرجاه [خ(٥٩٥٣)، م(٢١١١)].

ولهما [خ(٥٩٥٤)، م(٢١٠٦)] عن عائشة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يُضاهئون بخلق الله».

ولهما [خ(٢٢٢٥)، م(٢١١٠)] عن ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصوِّر في النار، يُجعل له بكل صورةٍ صوَّرها نفسٌ يعذب بها في جهنم».

ولهما [خ(٥٩٦٣)، م(٢١١٠)] عنه مرفوعاً: «من صوَّر صورةً في الدنيا كُلِّف أنْ ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ».

ش: قوله: (**بابُ ما جاء في المصوِّرين**) أي: من عظيم عقوبة الله لهم، وعذابه، وقد ذكر النبي ﷺ العلة: وهي المضاهاة بخلق الله؛ لأنَّ الله تعالى له الخلق والأمر، فهو ربُّ كلِّ شيء ومليكُه، وهو خالقُ كل شيء، وهو الذي صوَّر جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة]، فالمصوِّرُ لمَّا صوَّر الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان أو بهيمة، صار مضاهياً لخلق الله. فصار ما صوَّره عذاباً له يوم القيامة، وكُلِّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ. فكان أشد الناس عذاباً؛ لأن ذنبه من أكبر الذنوب.

فإذا كان هذا في من صوَّر صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان، فكيف بحال من سوَّى المخلوق برب العالمين، وشبهه بخلقه، وصرف له شيئاً من العبادة التي خلق الله الخلق ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره، من كلِّ عمل يُحبه الله من العبد ويرضاه؟!

فتسويةُ المخلوق بالخالق، بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه، وجعله شريكاً له فيما اختص به تعالى وتقدس: هو أعظم ذنب عُصي الله تعالى به؛ ولهذا أرسل رسله، وأنزل كتبه؛ لبيان هذا الشرك والنهي عنه، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى. فنجَّى تعالى رسله ومن أطاعهم، وأهلك من جحد التوحيد، واستمر على الشرك والتنديد. فما أعظمه من ذنب! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:١١٦] ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ۝٣١﴾ [الحج].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلم (٩٦٩) عن أبي الهيَّاج، قال: قال لي عليٌّ: ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «ألاَّ تَدَعَ صورةً إلا طمَستها، ولا قبراً مُشرِفاً إلاَّ سوَّيته».

ش: قوله: (ولمسلم، عن أبي الهياج) الأسديُّ، حيَّان بن حُصين، (**قال: قال لي علي**). هو أميرُ المؤمنين، علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قوله: (**ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «ألاّ تدع صورة إلاّ طمستها، ولا قبراً مُشرفاً إلا سويته»**).

فيه: التصريحُ بأنَّ النبي ﷺ بعث علياً لذلك. أمَّا الصور: فلمضاهاتها لخلق الله. وأمَّا تسويةُ القبور: فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو من ذرائع الشرك ووسائله، فصرفُ الهمم إلى هذا وأمثاله، من مصالح الدين ومقاصده وواجباته.

ولمَّا وقع التساهلُ في هذه الأمور وقع المحذور، وعظمت

الفتنة بأرباب القبور، وصارت محطاً لرحال العابدين المعظِّمين لها. فصرفوا لها جُلَّ العبادة، من: الدعاء والاستعانة والاستغاثة، والتضرع لها، والذبح لها، والنذور، وغير ذلك من كلِّ شركٍ محرَّم محظور.

قال العلَّامة ابن القيم رحمه اللَّه تعالى: ومن جمع بين سُنَّة رسول الله ﷺ في القبور ـ وما أمر به وما نهى عنه وما كان عليه أصحابه ـ، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم = رأى أحدَهما مضاداً للآخر، مناقضاً له، بحيث لا يجتمعان أبداً.

فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يُصلُّون عندها وإليها. ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمُّونها مشاهد؛ مضاهاة لبيوت الله. ونهى عن إيقاد السُّرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها. ونهى أن تُتخذ عيداً، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر.

وأمر بتسويتها؛ كما روى مسلم في «صحيحه» (٩٦٨)، عن أبي الهيَّاج الأسدي... ـ فذكر حديث الباب، وحديث ثُمامة بن شُفَي، وهو عند مسلم أيضاً، قال: كُنَّا مع فَضالة بن عُبيد بأرض الروم برُودس، فتُوُفي صاحبٌ لنا. فأمر فَضالةُ بقبره فسُوّي، ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها ـ وهؤلاء يُبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها من الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب. ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه؛ كما روى مسلم في «صحيحه» (٩٧٠)، عن جابر قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأنْ يُقعد عليه، وأنْ يُبنى صحح
عليه. ونهى عن الكتابة عليها؛ كما روى أبو داود في «سُننه» (٣٢٢٦) عن جابر: أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن تجصيص القبور، وأنْ يُكتب عليها. **قال الترمذيُّ** (١٠٦٤): حديثٌ حسن صحيح. وهؤلاء يتَّخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره. ونهى أنْ يُزاد عليها غيرُ

ترابها؛ كما روى أبو داود (٣٢٢٦) عن جابر أيضاً: (نهى أنْ يُجصص القبر، أو يُكتب عليه، أو يُزاد عليه). وهؤلاء يزيدون عليه الآجُرَّ والأحجار والجَص. قال إبراهيمُ النَّخَعي: كانوا يكرهون الآجُرّ على قبورهم. صحيح

والمقصود: أنَّ هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينَها أعياداً، الموقدين عليها السُّرج، الذين يبنون عليها المساجدَ والقباب: مناقضون لما أمر به رسولُ الله ﷺ، محادُّون لما جاء به. وأعظمُ ذلك اتخاذُها مساجد، وإيقادُ السرج عليها. وهو من الكبائر، وقد صرَّح الفقهاءُ من أصحاب أحمد وغيرهم، بتحريمه. **قال أبو محمد المقدسي:** ولو أُبيح اتخاذُ السرج عليها لم يُلعن من فعله. ولأن فيه إفراطاً في تعظيم القبور، أشبه تعظيمَ الأصنام. قال: ولا يجوز اتخاذُ المساجد على القبور، لهذا الخبر؛ ولأن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذِّرُ ما صنعوا، متفق عليه [خ (٤٣٥)، م (٥٣١)]؛ ولأنَّ تخصيص القبور يُشبه تعظيمَ الأصنام بالسجود لها، والتقرب إليها. وقد رُوِّينا أنَّ ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها، والصلاةِ عندها. **انتهى.**

وقد آل الأمرُ بهؤلاء الضُّلال المشركين إلى أنْ شرعوا للقبور حجّاً، ووضعوا لها مناسك، حتى صنَّف بعضُ غلاتهم في ذلك كتاباً وسمَّاه: (مناسك حج المشاهد)، مضاهاةً منه بالقبور للبيت الحرام. ولا يخفى أنَّ هذا مفارقةٌ لدين الإسلام، ودخولٌ في دين عُبَّاد الأصنام. فانظروا إلى هذا التباين العظيم: بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصدَه من النهي عمَّا تقدم ذكرُه في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه.

ولا ريب أنَّ في ذلك من المفاسد ما يُعجَز عن حصره: **فمنها:** تعظيمُها الموقِع في الافتتان بها. ومنها: اتخاذُها أعياداً. **ومنها:** السفرُ

إليها. **ومنها:** مُشابهةُ عبادةِ الأصنام، بما يفعل عندها، من: العُكوف عليها والمجاورة عندها، وتعليق الستور عليها، وسدانتها. وعُبَّادُها يرجِّحون المجاورةَ عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتَها أفضل من خدمة المساجد، والويلُ لقيِّمها ليلةَ يطفأ القنديلُ المعلَّق عليها! **ومنها:** النذرُ لها، ولسدنتها. **ومنها:** اعتقادُ المشركين بها أنَّ بها يُكشف البلاء وينصر على الأعداء، ويستنزل غيثُ السماء، وتفرج الكروب، وتُقضى الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف، . . . إلى غير ذلك. **ومنها:** الدخول في لعنة الله ورسوله، باتخاذ المساجد عليها، وإيقاد السُّرج عليها. **ومنها:** الشركُ الأكبر، الذي يُفعل عندها.

ومنها: إيذاءُ أصحابها، بما يفعله المشركون بقبورهم. فإنهم يُؤذيهم ما يُفعل عند قبورهم، ويكرهونه غاية الكراهية، كما أنَّ المسيح عليه السلام يكره ما يفعل النصارى عند قبره!! وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايخ، يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم. ويوم القيامة يتبرؤون منهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان]. وقال للمشركين: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الفرقان] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ . . .﴾ [المائدة: ١١٦] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ].

ومنها: إماتةُ السُّنن، وإحياءُ البدع. ومنها: تفضيلُها على خير

البقاع وأحبها إلى الله؛ فإنَّ عُبَّاد القبور يقصدونها مع التعظيم والاحترام، والخشوع ورِقّة القلب والعكوفِ بالهمَّة على الموتى، ما لا يفعلونه في المساجد، ولا قريباً منه.

ومنها: أنَّ الذي شرعه الرسولُ ﷺ عند زيارة القبور: إنَّما هو تذكُّرُ الآخرة، والإحسانُ إلى المزور بالدعاء له والترحم عليه، والاستغفار له وسؤالِ العافية، فيكون الزائرُ محسناً إلى نفسه، وإلى الميت. فقَلَب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة: الشركَ بالميت، ودعاءَه والدعاء به، وسؤالَه حوائجهم، واستنزالَ البركة منه ونصره لهم على الأعداء، ونحو ذلك. فصاروا مسيئين إلى أنفسهم، وإلى الميت.

وكان رسول الله ﷺ قد نهى الرجالَ عن زيارة القبور؛ سدّاً للذريعة. فلما تمكّن التوحيدُ في قلوبهم أذِن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه، ونهاهم أنْ يقولوا هُجراً. ومن أعظم الهُجر: الشركُ عندها، قولاً وفعلاً. وفي «صحيح مسلم» (٩٧٦)، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «زوروا القبورَ، فإنها تذكر الموت». وعن ابن عباس قال: مرَّ رسولُ الله ﷺ بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه، فقال: «السلامُ عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر» رواه أحمد والترمذي (١٦٥) وحسنه. ضعيف

فهذه الزيارةُ التي شرعها رسول الله ﷺ لأمته، وعلَّمهم إياها. هل تجد فيها شيئاً مما اعتمده أهلُ الشرك والبدع؟! أم تجدها مضادَّةً لما هم عليه من كل وجه؟! وما أحسن ما قال مالك بن أنس رحمه الله: لن يُصلح آخر هذه الأمة إلَّا ما أصلح أوَّلهَا. ولكن كُلَّما ضعف تمسكُ الأمم بعهود أنبيائهم، ونقصَ إيمانهم: عوَّضوا عن ذلك، بما أحدثوه من البدع والشرك.

ولقد جرَّد السلفُ الصالح التوحيد وحَمَوْا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلَّم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر، ثم دعا. ونصَّ على ذلك الأئمةُ الأربعة: أنَّه يستقبل القبلة وقت الدعاء، حتى لا يدعو عند القبر؛ فإنَّ الدعاء عبادة. وفي الترمذي (٣٦١٢)، وغيره مرفوعاً: «الدعاء هو العبادة». صحيح

فجرَّد السلفُ العبادة لله، ولم يفعلوا عند القبور منها إلَّا ما أذِن فيه رسول الله ﷺ: من الدعاء لأصحابها، والاستغفار لهم، والترحم عليهم.

وأخرج أبو داود (٢٠٤٢) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم» وإسنادهُ جيد، رواته ثقات مشاهير. صحيح

وقوله: «ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً» أي: لا تعطِّلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور. فأمر بتحري النافلة في البيوت، ونهى عن تحرِّي العبادة عند القبور. وهذا ضدُّ ما عليه المشركون، من النصارى وأشباههم.

ثم إنَّ في تعظيم القبور واتخاذها أعياداً من المفاسد العظيمة ـ التي لا يعلمها إلَّا الله ـ ما يغضبُ لأجله كلُّ من في قلبه وقارٌ لله وغيرةٌ على التوحيد، وتهجينٌ وتقبيحٌ للشرك؛ ولكن: ما لُجرحٍ بميِّتٍ إيلامُ.

فمن مفاسد اتخاذِها أعياداً: الصلاةُ إليها والطواف بها، وتقبيلها واستلامها، وتعفيرُ الخدود على تُرابها، وعبادة أصحابها والاستغاثةُ بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون، وتفريج الكُربات. وإغاثة اللهفات، وغيرُ ذلك من أنواع الطلبات، التي كان عبَّادُ الأوثان يسألونها أوثانَهم.

فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً، وقد نزلوا عن الأكوار

والدوابِّ إذا رأوها من كل مكان بعيد. فوضعوا لها الجباه، وقبَّلوا الأرض وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتُهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أَرْبَوْا في الربح على الحجيج. فاستغاثوا بمن لا يُبدئ ولا يُعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد. حتى إذا دنوا منها صَلَّوْا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبلتين. فتراهم حول القبر رُكَّعاً وسُجَّداً، يبتغون فضلاً من الميت ورضواناً، وقد ملؤوا أكفَّهم خيبةً وخسراناً! فلغير الله - بل للشيطان - ما يُراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويُسأل من تفريج الكربات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة ذوي العاهات والبليات. ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله الله ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران]. ثم أخذوا في التقبيل والاستلام، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفدُ البيت الحرام؟! ثم عفَّروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنها لم تُعفر كذلك بين يديه في السجود، ثم كمّلوا مناسك حجِّ القبر بالتقصير هناك والحِلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذْ لم يكن لهم عند الله من خلاق. وقد يُعطى لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم وقرباتُهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنئ بعضُهم بعضاً، ويقول: أجزل الله لنا ولكم أجراً وافراً وحظاً! فإذا رجعوا، سألهم غلاةُ المتخلِّفين: أنْ يبيع أحدُهم ثواب حجة القبر، بحج المتخلِّف إلى البيت الحرام. فيقول: لا، ولا بحجك كلِّ عام!!

هذا، ولم نتجاوز فيما حكينا عنهم، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم، إذْ هي فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال. وهذا مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح، كما تقدم.

وكلُّ من شمَّ أدنى رائحةٍ من العلم والفقه، يعلم أنَّ أهمَّ الأمور: سدُّ الذريعة إلى هذا المحظور، وأنَّ صاحب الشرع أعلمُ بعاقبة ما نهى عنه وما

يؤول إليه، وأحكم في نهيه عنه وتوعُّده عليه، وأنَّ الخير والهُدى في اتباعه وطاعته، والشرَّ والضلال في معصيته ومخالفته، **انتهى** كلامُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال المُصنفُ رحمه الله تعالى:

٥٦ ـ باب ما جاء في كثرة الحلف

ش: من النهي عنه، والوعيد.

قال المصنفُ رحمه الله تعالى: وقولِ الله تعالى: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

ش: **قال ابن جرير:** لا تتركوها بغير تكفير. وذكر غيرُه من المفسِّرين، عن ابن عباس: يُريد: لا تحلفوا. وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحِنْث، فلا تحنثوا. والمصنِّفُ، أراد من الآية: المعنى الذي ذكره ابن عباس: فإنَّ القولين متلازمان، فيلزم من كثرة الحلف كثرةُ الحِنث، مع ما يدل عليه من الاستخفاف، وعدم التعظيم لله، وغير ذلك مما يُنافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه.

قال المصنفُ رحمه الله تعالى: عن أبي هريرة: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الحلِفُ منفِّقةٌ للسِّلعة، ممحقةٌ للكسب» أخرجاه.

ش: أي: البخاري (٢٠٨٧) ومسلم (١٦٠٦). وأخرجه أبو داود (٣٣٣٥) والنسائي (٤١٥٥). والمعنى: أنَّه إذا حلف على سلعته أنه أُعطي فيها كذا وكذا أو أنه اشتراها بكذا وكذا، وقد يظنه المشتري صادقاً فيما حلف عليه فيأخذها بزيادة على قيمتها، والبائع كذَّاب، وحلف طمعاً في الزيادة، فيكون قد عصى الله تعالى، فيعاقب بمحق البركة. فإذا ذهبت بركةُ كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه، وربما ذهب ثمنُ تلك السلعة رأساً، وما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، وإنْ تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلالٌ وذهابٌ وعقاب.

صحيح: «الجامع» (٣٠٧٢)

قال **المُصنِّفُ** رحمه الله تعالى: وعن سلمان، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة ﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ... وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة، آل عمران: ٧٧]: أُشَيمِطٌ زانٍ، وعائلٌ مستكبرٌ، ورجلٌ جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبرانيُّ (٦١١١) بسند صحيح.

ش: و(**سلمان**): لعلَّه سلمان الفارسي[(١)]، أبو عبد اللَّه، أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة وشهد الخندق، روى عنه: أبو عثمان النَّهديُّ، وشُرَحْبيل بن السِّمْط، وغيرهما. قال النبي ﷺ: «سلمانُ منا أهل البيت» [ك (٣/٥٩٨)][(٢)]، «إنَّ الله يحب من أصحابي أربعة: عليٌّ، وأبو ذر، وسلمانُ، والمقداد» أخرجه الترمذيُّ (٣٩٨٦)، وابنُ ماجه (١٤٩). ضعيف

قال الحسن: كان سلمانُ أميراً على ثلاثين ألفاً، يخطب بهم في عباءةٍ، يفترشُ نصفَها ويلبس نصفها. تُوفي في خلافة عثمان، **قال أبو عبيد**: سنة ستٍ وثلاثين. عن ثلاثمئة وخمسين سنة[(٣)]، ويُحتمل: أنَّه سلمان بن عامر بن أوس الضبِّي.

قوله: («**ثلاثةٌ** ﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾») نَفْيُ كلام الرب - تعالى وتقدس - عن هؤلاء العصاة، دليلٌ على أنه يكلِّم من أطاعه، وأنَّ

---

(١) وهو بلا شك سلمان الفارسي فقد جزم به الطبراني في «معجمه الصغير» (٨٢١؛ طبع المكتب الإسلامي) وظاهر صنيعه في «الكبير» يقتضي ذلك.

(٢) ضعيف جداً مرفوعاً، وصح موقوفاً على علي [طب (٦٠٤١)]: «ضعيف الجامع» (٣٢٧٢)].

(٣) قال الذهبيُّ في «سير أعلام النبلاء» ١/ ٥٥٥: وقد فتَّشتُ، فما ظفرت في سِنِّه بشيء سوى قول البحراني، وذلك منقطع لا إسناد له. ومجموعُ أمره وغزوه وهِمَّته وتصرُّفه وسَفِّه للجريد، وأشياء مما تقدم، يُنبئ بأنه ليس بمعمَّر ولا هرم؛ فقد فارق وطنه وهو حدث، ولعله قدم الحجاز وله أربعون سنة أو أقل، فلعله عاش بضعاً وسبعين سنة. وما أراه بلغ المئة.

الكلام صفةٌ من صفات كماله. والأدلةُ على ذلك من الكتاب والسُّنة أظهرُ شيءٍ وأبينه، وهو الذي عليه أهلُ السُّنة والجماعة من المحققين: قيامُ الأفعال بالله سبحانه، وأنَّ الفعل يقع بمشيئته تعالى وقدرته شيئاً فشيئاً، ولم يزل متصفاً به. فهو حادثُ الآحاد، قديمُ النوع، كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث، وغيرهم من أصحاب الشافعي، وأحمد، وسائر الطوائف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس] فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال، والأفعال الدالة على الحال والاستقبال أيضاً، وذلك في القرآن كثير. **قال شيخُ الإسلام:** فإذا قالوا لنا ـ يعني النُّفاة ـ: فهذا يلزم أنْ تكون الحوادثُ قائمةً به؟ قلنا: ومَن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة؟! ونصوصُ القرآن والسُّنة تتضمن ذلك مع صريح العقل. ولفظُ الحوادث مُجمل، فقد يُراد به الأمراض والنقائص، والله منزَّه عن ذلك، ولكن يقوم به ما شاء من كلامه وأفعاله ونحو ذلك، مما دلَّ عليه الكتاب والسّنة. والقولُ الصحيح: قولُ أهل العلم، الذين يقولون: لم يزل متكلماً إذا شاء؛ كما قال ابنُ المبارك، وأحمد بن حنبل، وغيرُهما من أئمة السُّنة. **انتهى. قلت**: ومعنى قيام الحوادث به تعالى: قدرتُه عليها، وإيجادُه لها بمشيئته وأمره، والله أعلم.

قوله: (﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾) لما عظم ذنبهُم عظمت عقوبتهم، فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي أعظمُ العقوبات.

قوله: («أشيمطٌ زانٍ») صغَّره تحقيراً له؛ وذلك لأن داعي المعصية ضَعُفَ في حقه، فدلَّ على أنَّ الحامل له على الزنى: محبةُ المعصية والفجور، وعدمُ خوفه من الله. وضعفُ الداعي إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظَ العقوبة عليه، بخلاف الشاب؛ فإنَّ قوة داعي الشهوة منه قد يغلبه مع خوفه من الله، وقد يرجع على نفسه بالندم، ولومِها على المعصية، فينتهي ويراجع، وكذلك العائل المستكبر، ليس

له ما يدعوه إلى الكبر؛ لأنَّ الداعي إلى الكبر في الغالب كثرةُ المال والنِّعم والرياسة، والعائلُ الفقير لا داعي له إلى أنْ يستكبر، فاستكبارهُ مع عدم الداعي إليه، يدلُّ على أنَّ الكبر طبيعةٌ له، كامنٌ في قلبه. فعظُمت عقوبتُه؛ لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذَّميم، الذي هو من أكبر المعاصي.

قوله: (**«ورجل جعل اللهَ بضاعته»**) بنصب الاسم الشريف، أي: الحلف به، جعله بضاعته؛ لملازمته له وغلبته عليه.

وهذه أعمالٌ تدل على أنَّ صاحبها إنْ كان موحِّداً فتوحيدُه ضعيف، وأعماله ضعيفة، بحسب ما قام بقلبه وظهر على لسانه وعمله من تلك المعاصي العظيمة، على قلة الداعي إليها. نسأل الله السلامة والعافية، ونعوذ بالله من كلِّ عمل لا يحبه ربُّنا ولا يرضاه.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي «الصحيح» عن عمرانَ بن حُصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» ـ قال عمران: فلا أدري، أذكرَ بعد قرنه مرَّتين أو ثلاثاً ـ «ثم إنَّ بعدكم قومٌ يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَن».

ش: قوله: (**وفي «الصحيح»**) أي «صحيح مسلم» (٢٥٣٥)، وأخرجه أبو داود (٤٦٥٧) والترمذي (٢٣٣٦)، ورواه البخاريُّ (٢٦٥١) بلفظ: «خيركم».

قوله: (**«خيرُ أُمتي قرني»**) لفضيلة أهل ذلك القرن: في العلم والإيمان، والأعمال الصالحة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتفاضل فيها العاملون، فغلب الخيرُ فيها وكثر أهلهُ، وقلّ الشرُّ فيها وأهله، واعتزَّ فيها الإسلام والإيمان، وكثُر فيه العلم والعلماء.

(**«ثم الذين يلونهم»**) فُضِّلُوا على مَن بعدهم: لظهور الإسلام

فيهم وكثرة الداعي إليه، والراغب فيه والقائم به. وما ظهر فيه من البدع، أُنكر واستعظم وأُزيل، كبدعة الخوارج والقدرية والرَّافضة. فهذه البدعُ وإنْ كانت قد ظهرت، فأهلها في غاية الذُّل والمقت والهوان والقتل، في من عاند منهم ولم يتُب.

قوله: (**فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً؟**) هذا شكٌّ من راوي الحديث عمران بن حصين، والمشهور في الروايات: أنَّ القرون المفضَّلة ثلاثةٌ، الثالثُ دون الأولين في الفضل؛ لكثرة ظهور البدع فيه، لكنَّ العلماء متوافرون، والإسلامَ فيه ظاهر، والجهاد فيه قائم.

ثم ذكر ما وقع بعد الثلاثة، من الجفاء في الدين، وكثرة الأهواء. **فقال**: («**ثم إنَّ بعدكم قومٌ يشهدون ولا يُستشهدون**») لاستخفافهم بأمر الشهادة، وعدم تحريهم للصدق؛ وذلك لقلة دينهم، وضعف إسلامهم.

قوله: («**ويخونون ولا يُؤتمنون**») يدل على أنَّ الخيانة قد غلبت على كثير منهم، أو أكثرهم.

قوله: («**وينذُرون ولا يوفون**») أي: لا يؤدُّون ما وجب عليهم. فظهورُ هذه الأعمال الذميمة، يدلُّ على ضعف إسلامهم وعدم إيمانهم.

قوله: («**ويظهر فيهم السِّمَنُ**») لرغبتهم في الدنيا، ونيل شهواتهم والتنعُّم بها وغفلتهم عن الدار الآخرة والعمل لها، وفي حديث أنس: «لا يأتي زمانٌ إلَّا والذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم» قال أنس: سمعتُه من نبيكم ﷺ [خ (٧٠٦٨)]. فما زال الشرُّ يزيد في الأمة، حتى ظهر الشركُ والبدع في كثيرٍ منهم. حتى في من ينتسب إلى العلم، ويتصدَّر للتعليم والتصنيف. **قلت**: بل قد دعوا إلى الشرك والضلال والبدع، وصنفوا في ذلك نظماً ونثراً، فنعوذ بالله من موجبات غضبه.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفيه [م (٢٥٣٣)، ع (٢٦٥٢)]، عن ابن مسعود: أنَّ النبي ﷺ قال: «خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه، ويمينُه شهادَته». **قال إبراهيم:** كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد، ونحنُ صغار.

ش: قلت: وهذه حالُ من صرف رغبته إلى الدنيا ونسي المعاد، فخفَّ أمرُ الشهادة واليمين عنده تَحمُّلاً وأداءً؛ لقلَّة خوفه من الله، وعدم مبالاته بذلك. ـ وهذا هو الغالبُ على الأكثر، والله المستعان ـ فإذا كان هذا قد وقع في الصَّدر الأول، ففي ما بعده أكثر بأضعاف. فكُن من الناس على حذر.

قوله: (قال إبراهيم) هو النَّخَعيّ.

(كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد، ونحن صغار) وذلك لكثرة عِلْم التابعين، وقوة إيمانهم ومعرفتهم بربهم، وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه من أفضل الجهاد، ولا يقوم الدينُ إلا به.

وفي هذا: الرغبةُ في تمرين الصغار على طاعة ربهم، ونهيهم عمَّا يضرهم. وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:

٥٧ ـ باب ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله

وقولِ الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١)﴾ [النحل].

ش: قال العِمادُ ابن كثير: وهذا مما يأمر الله تعالى به، وهو الوفاءُ بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكدة؛ ولهذا

قال: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ ولا تعارض بين هذا، وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة] وبين قوله: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة:٨٩] أي: لا تتركوها بلا تكفير، وبين قوله ﷺ في «الصحيحين»: [خ (٦٧١٨)، م (١٦٤٩)]: «إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرَها خيراً منها إلَّا أتيتُ الذي هو خير وتحلَّلتها» وفي رواية: «وكفَّرتُ عن يميني». لا تعارض بين هذا كلِّه، وبين الآية المذكورة هنا وهي قوله: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ لأن هذه الأيمان، المراد بها: الداخلةُ في العهود والمواثيق، لا الأيمان الواردة على حثٌّ أو منع. ولهذا قال مجاهد في الآية: يعني الحِلْف، أي: حِلْف الجاهلية ويؤيِّده: ما رواه الإمام أحمد (١٦٧٣٨)، عن جُبير بن مُطعِم، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وأيُّما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة» وكذا رواه مسلم (٢٥٣٠) ومعناه: أنّ الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف، الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه؛ فإنَّ في التمسك بالإسلام، حمايةً وكفاية عمَّا كانوا فيه.

وقوله: (﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾) تهديدٌ ووعيد، لمن نقض الأيمان بعد توكيدها.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن بُريدة، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سريَّة، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً. فقال: «اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغلُّوا ولا تغدروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيتَ عدوَّك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال» ـ أو «خلال ـ فأيَّتهنَّ ما أجابوك، فاقبل منهم وكفَّ عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام، فإنْ أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم: أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين. فإن

أَبَوْا أن يتحوَّلوا منها، فأخبرهم: أنهم يكونون كأعراب المسلمين. يجري عليهم حكمُ الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا، فاسألهم الجزية. فإن هم أجابوك، فاقبل منهم وكفَّ عنهم. فإن هم أبوا، فاستعن بالله، وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصنٍ، فأرادوك أنْ تجعل لهم ذمَّة الله وذمَّة نبيه. فلا تجعل لهم ذمَّةَ الله وذمة نبيه. ولكن اجعل لهم ذمَّتَك وذمة أصحابك؛ فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم، أهونُ من أن تخفروا ذمَّة الله وذمة نبيه. وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله. فلا تنزلهم، ولكن أنزلهم على حكمك؛ فإنك لا تدري: أتصيبُ فيهم حُكمَ الله أم لا؟» رواه مسلم (١٧٣١).

ش: **قوله: (عن بُريدة)**، هو ابن الحُصيب الأسلمي، وهذا الحديث من رواية ابنه سُليمان عنه؛ قاله في «المفهم».

قوله: (كان رسول الله ﷺ **إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصَّته بتقوى الله تعالى**) فيه من الفقه: تأميرُ الأمراء، ووصيَّتهم. **قال الحربي**: السرية: الخيل تبلغ أربعمئة ونحوها. والجيش: ما كان أكثر من ذلك. وتقوى الله: التحرُّز بطاعته من عقوبته. **قلت**: وذلك بالعمل بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى الله عنه.

قوله: (**ومن معه من المسلمين خيراً**) أي: ووصَّاه بمن معه منهم، أن يفعل معهم خيراً: من الرفق بهم، والإحسان إليهم، وخفضِ الجناح لهم، وترك التعاظم عليهم.

وقوله: (**«اغزوا باسم الله»**) أي: اشرعوا في فعل الغزو، مُستعينين بالله مخلصين له.

قلت: فتكون الباء في بسم الله هنا، للاستعانة والتوكل على الله.

وقوله: (**«قاتلوا من كفر بالله»**) هذا العموم يشمل جميع أهل

الكفر، المحاربين وغيرهم. وقد خُصِّص منهم من له عهدٌ، والرهبان والنِّسْوان، ومن لم يبلغ الحُلم. **وقد قال مُتصلاً به: («ولا تقتلوا وليداً»)** وإنما نهى عن قتل الرهبان والنسوان؛ لأنه لا يكون منهم قتال غالباً، فإنْ كان منهم قتالٌ أو تدبير قُتلوا.

قلت: وكذلك الذَّراري، والأولاد.

قوله: (**«ولا تَغلُّوا ولا تغدروا ولا تمثِّلوا»**) الغلول: الأخذُ من الغنيمة، من غير قسمتها. والغدر: نقضُ العهد. والتمثيل هنا: التشويهُ بالقتيل، كقطع أنفه وأُذنه والعبث به. ولا خلاف في تحريم الغلول والغدر، وفي كراهة المُثلة.

وقوله: (**«وإذا لقيت عدوَّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خلال» أو «خصال»**) الروايةُ بـ (أو) للشك، وهو من بعض الرواة. ومعنى (الخِلال) و(الخصال): واحد.

وقوله: (**«فأيَّتهُن ما أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم»**) قيَّدناه ـ عمَّن يوثق بعلمه وتقييدِه ـ بنصب (أيَّتهن)؛ على أنْ يعمل فيها (أجابوك)، لا على إسقاط حرف الجر. و(ما) زائدةٌ. ويكون تقدير الكلام: فإلى أيتهنَّ أجابوك فاقبل منهم. كما تقول: أجبتك إلى كذا أو في كذا. فيُعدَّى إلى الثاني بحروف الجر.

قلت: فيكون في ناصب (أيَّتهن) وجهان؛ **ذكرهما الشارح**. الأوَّل: منصوب على الاشتغال، والثاني: على نزع الخافض.

قوله: (**«ثم ادعهم إلى الإسلام»**) كذا وقعت الروايةُ في جميع نسخ كتاب مسلم: (ثم ادعهم) بزيادة (ثم)، والصوابُ إسقاطها، كما روي في غير كتاب مسلم، كمصنف أبي داود (٢٦١٣)، وكتاب «الأموال» لأبي عُبيد؛ لأن ذلك هو ابتداء تفسير الثلاث الخصال.

وقوله: (**«ثم ادعهم إلى التحول إلى دار المهاجرين»**) يعني المدينة، وكان هذا في أول الأمر، وقت وجوب الهجرة إلى المدينة

على كلٍّ من دخل في الإسلام، وهذا يدلُّ على أنَّ الهجرة واجبةٌ على كل من آمن من أهل مكة، وغيرها.

قوله: («**فإن أبوا أن يتحولوا**») يعني: أنَّ من أسلم ولم يُجاهد ولم يهاجر، لا يُعطى من الخُمس ولا من الفيء شيئاً. وقد أخذ الشافعيُّ بالحديث في الأعراب، فلم ير لهم من الفيء شيئاً، وأنَّ لهم الصدقة المأخوذة من أغنيائهم، فتردُّ على فقرائهم، كما أنَّ أهل الجهاد وأجناد المسلمين لا حق لهم في الصدقة عنده، ومَصرفُ كلِّ مال في أهله. وسوَّى مالك وأبو حنيفة بين المالين، وجوَّزا صرفَهما للضعيف.

وقوله: («**فإن هم أبوا فاسألهم الجزية**») **فيه**: حجة لمالك وأصحابه، والأوزاعي في أخذ الجزية من كلِّ كافر: عربياً كان أو غيره، كتابياً كان أو غيره. وذهب أبو حنيفة إلى أنَّها تؤخذُ من الجميع، إلَّا من مشركي العرب ومجوسهم. وقال الشافعي: لا تُؤخذ إلَّا من أهل الكتاب: عرباً كانوا أو عجماً. وهو قولُ الإمام أحمد في ظاهر مذهبه. وتُؤخذ من المجوس.

ضعيف: «الإرواء» (١٢٤٨)

قلت: لأن النبي ﷺ أخذها منهم، وقال: «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب» (هق ٩/ ١٨٩) وقد اختُلف في القدر المفروض من الجزية، فقال مالك: أربعةُ دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهماً على أهل الوَرِقِ. وهل ينقص منها الضعيف أو لا؟ قولان. وقال الشافعيُّ: فيه دينارٌ على الغني والفقير. وقال أبو حنيفة والكوفيون: على الغني ثمانيةٌ وأربعون درهماً، والوسط أربعةٌ وعشرون درهماً، والفقير اثنا عشر درهماً؛ وهو قول أحمد بن حنبل.

قال يحيـى بن يُوسف الصرصري الحنبلي:

وقاتل يهوداً والنصارى وعصبة الـ ـمجوس، فإنْ هم سلَّموا الجزية اصدد
على الأدون اثني عشر درهماً افرضن وأربعة من بعد عشرين زيِّد
لأوسطهم حالاً، ومن كان موسراً ثمانية مع أربعين لتنقد

وتسقط عن صبيانهم ونسائهم   وشيخٍ لهم فانٍ وأعمى ومقعد
وذي الفقر والمجنون أو عبد مسلم   ومن وجبت منهم عليه فيهتدي

وعند مالكٍ، وكافَّة العلماء: على الرجال الأحرار البالغين العقلاء، دون غيرهم. وإنَّما تُؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين، لا ممن نأى بداره. ويجب تحويلهم إلى بلاد المسلمين، أو حربهم.

وقوله: («**وإذا حاصرت أهل حصن. . .**») الكلام إلى آخره، فيه حجةٌ لمن يقول من الفقهاء، وأهل الأصول: إنَّ المصيب في مسائل الاجتهاد واحد. وهو المعروفُ من مذهب مالك، وغيره. ووجه الاستدلال؛ لأنه ﷺ قد نص على أنَّ لله تعالى حُكماً معيناً في المجتهدات، ومن وافقه فهو المصيب، ومن لم يوافقه مخطئ.

قوله: («**وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله. . .**») الحديثَ. الذِّمة: العهد، وتَخْفِر: تنقض، يقال: أَخْفَرتَ الرجل: نقضت عهده، وخَفَرْتَه: أجرته. ومعناه: أنَّه خاف من نقض من لم يعرف حقَّ الوفاء بالعهد، كجهلة الأعراب، فكأنه يقول: إن وقع نقضٌ من متعد، كان نقضُ عهد الخلق أهونَ من نقض عهد الله تعالى، والله أعلم.

قوله: وقول نافع، وقد سُئل عن الدعوة قبل القتال [خ (٢٥٤١)، م (١٧٣٠)]. ذكر فيه: أنَّ مذهب مالك، يجمع فيه بين الأحاديث في الدعوة قبل القتال. قال: وهو أن مالكاً، قال: لا يقاتل الكفار قبل أن يُدْعَوْا، ولا تُلتمس غِرَّتُهم إلَّا أن يكونوا بَلَغتهم الدعوة، فيجوز أن تؤخذ غرَّتهم.

وهذا الذي صار إليه مالك هو الصحيح؛ لأن فائدة الدعوة أن يعرف العدوُّ أن المسلمين لا يقاتلون للدنيا ولا للعصبية، وإنما يقاتلون للدين. فإذا علموا بذلك، أمكن أن يكون ذلك سبباً مُميلاً لهم إلى الانقياد إلى الحق، بخلاف ما إذا جهلوا مقصود المسلمين، فقد

يظنون أنهم يقاتلون للممالك وللدنيا، فيزيدون عتواً وبغضاً. والله أعلم.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:

٥٨ - باب ما جاء في الإقسام على الله

عن جُندب بن عبد اللَّه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجلٌ: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله ﷻ: من ذا الذي يتألَّى عليَّ ألّا أغفرَ لفلان؟! إني قد غفرتُ له، وأحبطتُ عملَكَ» رواه مسلم (٢٦٢١). صحيح

وفي حديث أبي هريرة: أنَّ القائل رجلٌ عابد. قال أبو هريرة: تكلَّم بكلمة، أوْبَقَتْ دنياه وآخرتَه.

ش: **قوله**: **(باب ما جاء في الإقسام على الله)**. ذكر المصنفُ فيه حديث جُندب بن عبد اللَّه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجلٌ: والله لا يغفر الله لفلان. قال الله ﷻ: من ذا الذي يتألى عليَّ ألّا أغفر لفلان، إني قد غفرت له، وأحبطت عملك» رواه مسلم.

قوله: **(«يتألَّى»)** يحلف، والألِيَّة بالتشديد: الحَلِف.

وصحَّ من حديث أبي هريرة. =

[حسن] = **قال البَغويُّ** في «شرح السُّنة» (٤١٨٧) - وساق بالسند إلى عكرمة بن عمار [نا ضَمْضَمُ بنُ جَوْسٍ] قال: دخلتُ مسجد المدينة، فناداني شيخ فقال: يا يماميُّ، تعال، وما أعرفه. قال: لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك أبداً ولا يدخلك الجنة. قلتُ: ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أبو هريرة. قال: فقلتُ: إنَّ هذه كلمة يقولها أحدُنا لأهله إذا غضب، أو لزوجته أو لخادمه، قال: فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين، أحدهما مجتهدٌ في العبادة، والآخر» كأنه يقول: «مذنب.

فجعل يقول: أقصِر عما أنت فيه». قال: «فيقول: خَلِّني وربي. حتى وجده يوماً على ذنبٍ استعظمه، فقال: أقْصِر، فقال: خَلني وربي، أبُعثت عليَّ رقيباً. فقال: والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة أبداً». قال: «فبعث الله إليهما ملكاً، فقبض أرواحَهما، فاجتمعا عنده». فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أنْ تحظر على عبدي رحمتي؟ قال: لا يا رب، قال: اذهبوا به إلى النار» قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده، لتكلَّم بكلمة أَوْبَقَتْ دنياه وآخرته.

ورواه أبو داود في «سُننه» (٤٩٠١) وهذا لفظه: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يُذنب، والآخر مُجتهدٌ في العبادة. فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر. فوجده يوماً على ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خلني وربي، أبُعِثت عليَّ رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك» ـ أو «لا يدخلك ـ الجنة. فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً، أو كنت على ما في يدي قادراً؟! وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار...» إلى آخره. صحيح

قوله: **(في حديث أبي هريرة أنَّ القائل رجلٌ عابد)** يُشير إلى قوله في هذا الحديث: «أحدُهما مجتهدٌ في العبادة».

وفي هذه الأحاديث: بيان خطر اللسان، وذلك يفيد التحرُّزَ من الكلام؛ كما في حديث معاذ، قلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «ثكلتك أُمُّك يا معاذ، وهل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم» ـ أو قال: «على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم؟» [ت (٢٧٦٢)] والله أعلم. صحيح

قال المُصنف رحمه الله تعالى:

٥٩ ـ باب لا يُستشفع بالله على خلقه

ضعيف عن جُبير بن مُطعِم، قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، نُهِكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي ﷺ: «سُبحان الله! سبحان الله!» فما زال يُسبِّح، حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «ويحك! أتدري ما الله؟! إن شأن الله أعظمُ من ذلك، إنه لا يُستشفع بالله على أحد...» وذكر الحديث؛ رواه أبو داود.

ش: **قوله**: (**بابٌ لا يُستشفع بالله على خلقه...**) وذكر الحديث، وسياقُ أبي داود في «سننه» (٤٧٢٦) أتم مما ذكره المصنف رحمه الله، ولفظُه: عن جُبير بن محمد بن جبير بن مُطعم، عن أبيه، عن جده، قال: أتى النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ، فقال: يا رسول الله، جُهِدت الأنفس، وضاعت العيال ونُهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، فقال النبيُّ ﷺ: «ويحك! أتدري ما تقول؟!» وسبح رسول الله ﷺ، فما زال يسبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك! إنه لا يُستشفع بالله على أحدٍ من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك! أتدري ما الله؟! إنَّ عرشه على سمٰواته لهكذا» ـ وقال بإصبعه مثل القبة عليه ـ «وإنَّه ليئطُّ به أطيط الرحل بالراكب». قال ابنُ يَسَار في حديثه: «إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سمٰواته». **قال الحافظُ الذهبي** [في «العلو»]: رواه أبو داود ـ بإسنادٍ حسن عنده ـ في (: الرد على الجهمية)، من حديث محمد بن إسحاق بن يسار.

قوله: «ويحك! إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه» فإنَّه تعالى ربُّ كلِّ شيء ومليكُه، والخير كلُّه بيده، لا مانع لما أعطى،

ولا مُعطي لما منع، ولا رادّ لما قضى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر] ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس]. والخلقُ وما في أيديهم: مُلكُه يتصرف فيه كيف يشاء. وهو الذي يشفع الشافع إليه، ولهذا أنكر على الأعرابي قوله هذا، وسبح الله كثيراً وعظّمه؛ لأن هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه وبحمده، إنَّ شأن الله أعظم من ذلك.

وفي هذا الحديث: إثباتُ علوِّ الله على خلقه، وأنَّ عرشه فوق سمٰواته.

وفيه: تفسيرُ الاستواء بالعلو؛ كما فسَّره الصحابةُ والتابعون والأئمة، خلافاً للمعطلة، من: الجهمية، والمعتزلة، ومن أخذ عنهم ـ كالأشاعرة ونحوهم ـ ممن ألحد في أسماء الله وصفاته، وصرفها عن المعنى الذي وضعت له ودلَّت عليه، من إثبات صفات الله تعالى، التي دلَّت على كماله جل وعلا. كما عليه السلفُ الصالح والأئمة، ومن تبعهم ممن تمسَّك بالسنة. فإنَّهم أثبتوا ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسولُه من صفات كماله، على ما يليق بجلاله وعظمته. إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل.

قال العلَّامة ابن القيِّم في «مفتاح دار السعادة» ـ بعد كلام سبق فيما يُعرِّف العبدَ بنفسه وبربه من عجائب مخلوقاته ـ قال بعد ذلك:

والثاني: أنْ يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة، فتُفتح له أبوابُ السماء، فيجول في أقطارها وملكوتها وبين ملائكتها. ثم يُفتح له باب بعد باب، حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمٰن. فينظر سَعَتَه وعظمته، وجلاله ومجده ورفعته، يرى السمٰوات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحَلْقة ملقاة بأرض فلاة، ويرى ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر:٧٥] لهم زَجلٌ بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير. والأمرُ ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود، التي لا يعلمها إلَّا ربُّها ومليكها. فينزل الأمرُ بإحياء قومٍ وإماتة آخرين، وإعزاز قومٍ

وإذلال آخرين، وإنشاء مُلْك وسلب ملك، وتحويل نعمة من محل إلى محل. وقضاء الحاجات، على اختلافها وتباينها وكثرتها: من جبرِ كسيرٍ، وإغناءِ فقيرٍ، وشفاء مريض، وتفريج كرب، ومغفرة ذنب، وكشف ضُرّ، ونصر مظلوم، وهداية حيران، وتعليم جاهل، وردّ آبق، وأمان خائف، وإجارةِ مستجير، ومدد لضعيف، وإغاثة لملهوف، وإعانة لعاجز، وانتقام من ظالم، وكفّ لعدوان. فهي مراسيمُ دائرة بين العدل والفضل والحكمة والرحمة، تنفذ في أقطار العوالم، لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره، ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج، على اختلافها وتباينها واتحاد وقتها. ولا تبرَّم بإلحاح المُلحّين، ولا تنقص ذرَّةٌ من خزائنه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران]. فحينئذٍ يقوم القلبُ بين يدي الرحمـٰن مُطرقاً لهيبته، خاشعاً لعظمته عالياً لعزته، فيسجد بين يدي المَلِك الحق المُبين، سجدةً لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد، فهذا سَفرُ القلب، وهو في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من أعظم آيات الله، وعجائب صنعه، فيا له من سفر ما أبركَه وأروحه، وأعظم ثمرته وربحه، وأجلَّ منفعته وأحسن عاقبته، سفرٌ هو حياة الأرواح، ومفتاح السعادة وغنيمة العقول والألباب، لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب. **انتهى** كلامه رحمه الله تعالى.

وأمَّا الاستشفاعُ بالرسول ﷺ في حياته، فالمرادُ به: استجلابُ دعائه، وليس خاصاً به ﷺ. بل كلُّ حيٍّ صالح يُرجى أن يُستجاب له، فلا بأس أن يطلب منه أنْ يدعو للسائل بالمطالب الخاصة أو العامة؛ كما قال النبي ﷺ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة: «لا تنسنا يا أخيّ من صالح دُعائك» [د (١٤٩٨)]. ضعيف

أمَّا الميت: فإنما يُشرع في حقه الدعاء له على جنازته، وعلى قبره وفي غير ذلك، وهذا هو الذي يشرع في حق الميت، وأمَّا دعاؤه: فلم يشرع، بل قد دلَّ الكتابُ والسُّنة على النهي عنه، والوعيد عليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن

قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر] فبيَّن تعالى أنَّ دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شركٌ، يكفر به المدعوُّ يوم القيامة. أي: يُنكره، ويعادي من فعله؛ كما في آية الأحقاف: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف] فكلُّ ميتٍ أو غائب، لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر. والصحابة ﷺ، لا سيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين، لم يُنقل عن أحد منهم ولا عن غيرهم: أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي ﷺ بعد وفاته، حتى في أوقات الجدب؛ كما وقع لعمر ﷺ لما خرج ليستسقي بالناس، خرج بالعباس عمِّ النبي ﷺ فأمره أن يستسقي [خ(١٠١٠)]، لأنه حيٌّ حاضر يدعو ربه، فلو جاز أن يُستسقى بأحدٍ بعد وفاته لاستسقى عمر ﷺ في السابقين الأولين بالنبي ﷺ.

وبهذا يظهر الفرقُ بين الحي والميت؛ لأن المقصود من الحي دعاؤه إذا كان حاضراً؛ فإنهم في الحقيقة إنما توجهوا إلى الله بطلب الدعاء ممن يدعوه ويتضرَّع إليه، وهم كذلك يدعون ربهم. فمن تعدَّى المشروع إلى ما لا يُشرع، ضل وأضل. فلو كان دعاءُ الميت خيراً لكان الصحابة إليه أسبقَ وعليه أحرص، وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم. فمن تمسَّك بكتاب الله نجا، ومن تركه واعتمد على عقله هلك، وبالله التوفيق.

قال المُصنفُ رحمه الله تعالى:

٦٠ ـ باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد اللَّه بن الشِّخِّير، قال: انطلقتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيِّدُنا. فقال: «السيِّدُ الله تبارك وتعالى»، قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً. فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض صحيح

قولكم، ولا يستجرينّكم الشيطان» رواه أبو داود (٤٨٠٦) بسند جيد.

وعن أنس، أنَّ ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا، وابنَ خيرنا، وسيدَنا وابن سيدنا. فقال: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنَا محمدٌ عبد اللَّه ورسوله، ما أُحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ» رواه النسائي (١٠٠٧٨) بسندٍ جيد.

ش: (بابُ ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسدِّه طرق الشرك) حمايتُه ﷺ حمى التوحيد، عما يشوبُه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص. وهذا كثيرٌ في السُّنة الثابتة عنه ﷺ، كقوله: «لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا: عبد اللَّه ورسوله» [خ (٣٤٤٥)] وتقدم (=٢٦١) وقوله: «إنه لا يُستغاث بي، وإنما يستغاث بالله ﷻ» (=١٩٨) ونحو ذلك. [ضعيف]

ونهى عن التمادح، وشدَّد القولَ فيه؛ كقوله لمن مدح إنساناً: «ويلك قطعت عُنق صاحبك» [خ (٢٦٦٢)، م (٣٠٠٠)] والحديثُ أخرجه أبو داود (٤٨٠٥)، عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة، عن أبيه: (أنَّ رجلاً أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ، فقال له: «قطعت عُنقَ صاحبك» ثلاثاً).

وقال: «إذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب» أخرجه مسلم (٣٠٠٢)، والترمذي (٢٥١٧)، وابن ماجه (٣٧٤٢) عن المقداد بن الأسود.

وفي هذه الأحاديث: نهى أنْ يقولوا: أنت سيدنا، وقال: «السيدُ الله تبارك وتعالى» ونهاهم أن يقولوا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، وقال: «لا يستجرينَّكم الشيطان». وكذلك قوله، في حديث أنس: أنَّ ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرَنا وابن خيرنا وسيدنا وابنَ سيدنا فقال: «يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان» كره ﷺ أن يواجهوه بالمدح، فيُفضي بهم إلى الغلو. وأخبر ﷺ أنَّ مواجهة المادح للممدوح بمدحه ـ ولو بما فيه ـ: من عمل الشيطان؛ لما تفضي محبةُ المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه، وذلك يُنافي كمال التوحيد.

فإن العبادة لا تقوم إلَّا بقُطب رحاها الذي لا تدور إلا عليه، وذلك غايةُ الذل في غاية المحبة. وكمال الذل يقتضي: الخضوع والخشية والاستكانة لله تعالى، وأنَّه لا يرى نفسه إلا في مقام الذم لها، والمعاتبة لها في حق ربه. وكذلك الحبُّ لا تحصل غايتُه إلا إذا كان يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله من الأقوال والأعمال والإرادات، ومحبةُ المدح من العبد لنفسه يُخالف ما يحبه الله منه، والمادح يغره من نفسه فيكون آثماً. فمقامُ العبودية يقتضي كراهة المدح رأساً، والنهي عنه صيانةٌ لهذا المقام. فمتى أخلص الذلَّ لله، والمحبة له: خلصت أعمالُه وصحت. فمتى أدخل عليها ما يشوبها من هذه الشوائب: دخل على مقام العبودية بالنقص أو الفساد. وإذا أدَّاه المدحُ إلى التعاظم في نفسه، والإعجاب بها: وقع في أمر عظيم، ينافي العبودية الخاصة؛ كما في الحديث: «الكبرياءُ ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئاً منهما عذبته» [م (٢٦٢٠)]، وفي الحديث: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقالُ ذرّة من كبر» [م (٩١)] وهذه الآفة قد تكون محبة المدح سبباً لها، وسلَّماً إليها. والعُجْب يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب. وأمَّا المادح، فقد يُفضي به المدح إلى أن يُنزل الممدوح منزلةً لا يستحقها. كما يوجد كثيراً في أشعارهم، من الغلو الذي نهى عنه الرسولُ ﷺ وحذر أُمته أن يقع منهم. فقد وقع الكثير منه، حتى صرحوا فيه بالشرك في الربوبية والإلٰهية والملك، كما تقدَّمت الإشارةُ إلى شيءٍ من ذلك.

والنبيُّ ﷺ لما أكمل الله له مقامَ العُبودية، صار يكره أن يُمدح؛ صيانةً لهذا المقام، وأرشد الأمة إلى ترك ذلك نُصحاً لهم، وحمايةً لمقام التوحيد عن أنْ يدخله ما يفسده أو يضعفه، من الشرك ووسائله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٨] ورأوا أنَّ فعل ما نهاهم ﷺ عن فعله قربةٌ من أفضل القربات، وحسنة من أعظم الحسنات.

وأما تسميةُ العبد بالسيد، فاختلف العلماء في ذلك:

قال العلَّامةُ ابنُ القيِّم في «بدائع الفوائد»: اختلف الناسُ في جواز إطلاق السيد على البشر. فمنعه قومٌ، ونُقل عن مالك؛ واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له: يا سيِّدَنا، قال: «السيد الله» [د (٤٨٠٦)]. صحيح
وجوَّزه قومٌ، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيدكم» [خ (٣٠٤٣)، م (١٧٦٨)] وهذا أصحُّ من الحديث الأول. قال هؤلاء: السيد أحدُ ما يضاف إليه، فلا يقال للتميمي سيِّدُ كِنْدة، ولا يقال: المَلَك سيِّد البشر. قال: وعلى هذا فلا يجوز أنْ يطلق على الله هذا الاسم. وفي هذا نظر؛ فإنَّ السِّيد إذا أُطلق عليه تعالى فهو في منزلة المالك، والمولىٰ، والرب، لا بمعنى الذي يُطلق على المخلوق. **انتهى**.

قلت: فقد صحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ ﴿١٦٤﴾ [الأنعام] أي: إلٰهاً وسيداً. وقال في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ أنَّه السيد، الذي كمل في جميع أنواع السؤدد. **وقال أبو وائل**: هو السيد الذي انتهى سؤددُه. وأمَّا استدلالهم بقول النبي ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيدكم» فالظاهر: أنَّ النبي ﷺ لم يواجه سعداً به، فيكون في هذا المقام تفصيل. والله أعلم.

قال المُصنفُ رحمه الله تعالى:

[الخاتمة] **ـ باب ما جاء في قول الله تعالى:**

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ...﴾ ﴿٦٧﴾ الآية [الزمر].

عن ابن مسعود، قال: جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، إنَّا نجدُ أنَّ الله يجعلُ السمٰوات على إصْبَع، والأرضين على إصبع، والشجرَ على إصبع، والماء على إصبع، والثَّرى على إصبع، وسائرَ الخلق على إصبع. فيقول: أنا المَلِكُ.

فضحك النبيُّ ﷺ حتى بدت نواجذُه؛ تصديقاً لقول الحَبْر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ..﴾ الآيَة، متفق عليه. وفي رواية لمسلم: والجبالَ والشجرَ على إصبع، ثم يهزُهُنَّ، فيقول: أنا الملك، أنا الله.

وفي رواية للبخاري: يجعلُ السمٰوات على إصبع، والماءَ والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع؛ أخرجاه.

ش: **قوله**: (**باب ما جاء في قول الله تعالى**: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر]).

أي: من الأحاديث والآثار، في معنى هذه الآية الكريمة.

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى: ما قَدَر المشركون ﴿ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ حتى عبدوا معه غيره. وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادرُ على كلِّ شيء، المالكُ لكل شيء، وكلُّ شيء تحت قهره وقدرته. **قال السُّدي**: ما عظَّموه حقَّ عظمته. وقال محمد بن كعب: لو قَدَروه ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ ما كذَّبوه. وقال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هم الكفار، الذين لم يؤمنوا بقُدرة الله عليهم. فمن آمن أنَّ الله على كلِّ شيء قدير فقد قدرَ ﴿ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾. وقد وردت أحاديثُ كثيرة متعلقة بهذه الآية، الطريق فيها وفي أمثالها: من مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف. وذكر حديث ابن مسعود، كما ذكره المصنف رحمه الله في هذا الباب ـ قال: ورواه **البخاري** في «صحيحه» في غير موضع (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦)، والإمام أحمد (٤٣٦٩) الترمذي (٣٤٦٨) والنسائي (١١٤٥١)، كلُّهم من حديث سُليمان بن مهران هو الأعمش، عن إبراهيم، عن عَبِيدة، عن ابن مسعود، بنحوه.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا معاوية، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم،

عن علقمة، عن عبد اللَّه، قال: جاء رجلٌ من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ، فقال: يا أبا القاسم، أبلغك أنَّ الله يحمل الخلائق على إصْبَع، والسمٰوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجرَ على إصبع، والثَّرَى على إصبع. فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بدت نواجذُه، قال: وأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ...﴾ الآيَة. وهكذا رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، من طُرق عن الأعمش، به.

وقال الإمام أحمد (٢٢٦٦): حدَّثنا الحسين بن حسن الأشقر، حدثنا أبو كُدَينة، عن عطاء، عن أبي الضُّحى، عن ابن عباس، قال: مرَّ يهوديٌّ برسول الله ﷺ وهو جالس، فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يومَ يَجعل الله السمٰوات على ذه ـ وأشار بالسبابة ـ والأرض على ذه، والجبال على ذه، وسائر الخلق على ذه؟ كلٌّ ذلك يُشير بإصبعه. فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ وكذا رواه الترمذي في (: التفسير)، بسنده عن أبي الضُّحى مسلم بن صُبيح، به. وقال: حسنٌ صحيح غريب، لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه.

ثم قال **البخاري** (٤٨١٢): حدثنا سعيد بن عُفير، حدثنا الليث، حدثني عبد الرحمٰن بن خالد بن مُسافر، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن: أنَّ أبا هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، فيقول: أنا الملك، أين مُلوك الأرض؟!» تفرَّد به من هذا الوجه، ورواه مسلم (٢٧٨٧) من وجه آخر.

وقال **البخاريُّ** (٧٤١٢) في موضع آخر: حدَّثنا مُقدَّم بن محمد، حدثنا عمّي القاسم بن يحيى، عن عُبيد اللَّه، عن نافع، عن ابن عمر، قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السماء بيمينه، ثم يقول: أنا المَلِكُ» تفرَّد به أيضاً من هذا الوجه، ورواه مسلم (٢٧٨٨) من وجه آخر.

وقد رواه الإمام أحمد (٥٤١٦) من طريق آخر، بلفظٍ أبسط من هذا السياق وأطول، فقال: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أنبأنا إسحاقُ بن عبد اللّٰه بن أبي طلحة، عن عبيد اللّٰه بن مقسم، عن ابن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية يوماً على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها، ويقبل بها ويدبر: «يمجِّدُ الربُّ نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم» فَرَجف برسول الله ﷺ المنبرُ، حتى قلنا: ليخرَّن به. **انتهى**.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلم، عن ابن عمر مرفوعاً: «يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهنَّ بيده اليمنى، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أين الجبارون؟! أين المتكبرون؟! ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا المِلكُ، أين الجبارون؟! أين المتكبرون؟!».

ورُوي عن ابن عباس، قال: ما السموات السبع والأرضون السبع في كفّ الرحمن إلّا كخردلةٍ في يد أحدكم.

وقال ابنُ جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابنُ زيد: حدثني أبي، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي، إلا كدراهم سبعةٍ أُلقيت في تُرسٍ».

قال: وقال أبو ذر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسيُّ في العرش إلّا كحَلْقة من حديد أُلقيت بين ظَهْرَي فلاةٍ مَن الأرض» [مل (١٦٦/١)].

وعن ابن مسعود، قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسُمئة عام، وبين كلِّ سماء خمسمئة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمئة عام، وبين الكرسي والماء خمسمئة عام، والعرشُ فوق الماء. والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم؛ أخرجه

ابنُ مهدي، عن حمَّاد بن سلمة، عن عاصم، عن زِرّ، عن عبد اللَّه. ورواه بنحوه المسعوديُّ، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد اللَّه [طب (٨٩٨٧)]؛ **قاله الحافظ الذهبي**، قال: وله طرق(١).

وعن العباس بن عبد المطلب، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «بينهما مسيرةُ خمسمئة سنة، ومن كلِّ سماء إلى سماء مسيرة خمسمئة سنة، وكِثَفُ كلِّ سماء مسيرةُ خمسمئة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيءٌ من أعمال بني آدم» أخرجه أبو داود وغيره. ضعيف

ش: قوله: **(ولمسلم عن ابن عمر...)** الحديثَ. كذا في رواية مُسلم (٢٧٨٨). **وقال الحُميدي**: وهي أتم، وهي عند مسلم من حديث سالم، عن أبيه. وأخرجه البخاري (٧٤١٢) من حديث عبيد اللَّه، عن نافع، عن ابن عمر، قال: «إنَّ الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السماء بيمينه» وأخرجه مسلم، من حديث عبيد اللَّه بن مِقْسَم.

قلت: وهذه الأحاديث وما في معناها، تدلُّ على عظمة الله وعظيم قدرته وعِظم مخلوقاته. وقد تعرَّف سبحانه وتعالى إلى عباده بصفاته، وعجائب مخلوقاته.

وكلها تُعرِّف وتدل على كماله وأنَّه هو المعبود وحده، لا شريك له في ربوبيته، وإلـٰهيته. وتدل على إثبات الصفات على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل. وهذا هو الذي دل عليه نصوصُ الكتاب والسُّنة، وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، واقتفى آثارهم على الإسلام والإيمان.

---

(١) الذهبي، «العلو للعلي الغفار» (٦٤).

وتأمَّل ما في هذه الأحاديث الصحيحة، من تعظيم النبي ﷺ ربَّه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله، وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمته. وتأمَّل ما فيها من إثبات علو الله على عرشه، ولم يقل النبيُّ ﷺ في شيء منها: إنَّ ظاهرها غيرُ مراد، أو أنها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه. فلو كان هذا حقاً بلَّغه أمينُه أمتَّه؛ فإنَّ الله أكمل له الدين وأتمَّ به النعمة، فبلَّغ البلاغ المبين. صلوات الله وسلامه عليه، وعلى أصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين. وتلقَّى الصحابةُ ﷺ عن نبيهم ﷺ ما وصف به ربَّه، من صفات كماله ونعوت جلاله. فآمنوا به، وآمنوا بكتاب الله وما تضمَّنه من صفات ربهم جل وعلا؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧] وكذلك التابعون لهم بإحسان وتابعوهم، والأئمةُ من المحدثين والفقهاء: كلهم وصفوا الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ. ولم يجحدوا شيئاً من الصفات، ولا قال أحدٌ منهم: إنَّ ظاهرها غير مراد، ولا إنه يلزم من إثباتها التشبيه. بل أنكروا على من قال ذلك غاية الإنكار، وصنَّفوا في ردِّ هذه الشبهات المصنفات الكبار المعروفة، الموجودة بأيدي أهل السُّنة والجماعة.

قال شيخُ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله: وهذا كتابُ الله من أوله إلى آخره، وسُنة رسوله ﷺ، وكلامُ الصحابة والتابعين، وكلامُ سائر الأئمة مملوء بما هو نصٌّ، أو ظاهر: أنَّ الله تعالى فوق كلِّ شيء، وأنه فوق العرش فوق السموات، مستوٍ على عرشه، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠] وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران] وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨] وقوله تعالى: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج] وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ

ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة] وقوله تعالى: ﴿٥٠ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل] وقوله تعالى: ﴿٢٩ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس] فذكر التوحيدين في هذه الآية. وقوله تعالى: ﴿٢ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد] وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ٥﴾ [طه] وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ٥٩﴾ [الفرقان] وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥﴾ [السجدة] وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٤﴾ [الحديد] فذكر عموم علمه وعموم قدرته، وعموم إحاطته وعموم رؤيته. وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ١٧﴾ [الملك] وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ٤٢﴾ [فصلت] وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ٢﴾ [الجاثية] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى

صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر]. **انتهى** كلامهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قلت: وقد ذكر الأئمةُ رحمهم الله تعالى ـ فيما صنَّفوه في الرد على نُفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ونحوهم ـ أقوالَ الصحابة والتابعين:

فمن ذلك: ما رواه الحافظُ الذهبي في كتاب «العلو»، وغيره ـ بالأسانيد الصحيحة ـ عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، أنها قالت في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ قالت: الاستواء غيرُ مجهول والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر؛ رواه ابنُ المنذر، واللالكائي، وغيرُهما بأسانيد صحاح. قال [«مختصر العلو»(١١١)]: وثبت عن سُفيان بن عيينة، أنه قال: لما سُئل ربيعةُ ابن أبي عبد الرحمٰن: كيف الاستواء؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيفُ غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق.

وقال ابن وهب [مختصر العلو(١٣١)]: كُنَّا عند مالك، فدخل رجلٌ، فقال: يا أبا عبد اللّه ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك، وأخذته الرُّحَضاء، وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف؟ و(كيف) عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة، أخرجوه؛ رواه البيهقي بإسناد صحيح، عن ابن وهب. ورواه عن يحيى بن يحيى أيضاً، ولفظُه، قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

قال الذهبي: فانظر إليهم، كيف أثبتوا الاستواء لله، وأخبروا أنه معلومٌ لا يحتاج لفظه إلى تفسير، ونفوا عنه الكيفية. **قال البخاري** في «صحيحه» [قبل(٧٤١٨)]: قال مُجاهد ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ علا على العرش. **وقال إسحاق بن راهويه:** سمعتُ غير واحدٍ من المفسرين، يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ أي: ارتفع. **وقال محمد بن جرير الطبري** في

قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝﴾ أي: علا وارتفع.

وشواهدُه: في أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، فمن ذلك: قولُ عبد اللَّه بن رواحة رضي الله عنه:

شهدتُ بأنَّ وعد الله حقٌّ ... وأنَّ النار مثوى الكافرينا
وأنَّ العرش فوق الماء طافٍ ... وفوقَ العرش ربُّ العالمينا
وتحمله ملائكةٌ شداد ... ملائكة الإلٰه مسوَّمينا

وروى الدارميُّ [٢٣]، والحاكم، والبيهقي ـ بأصح إسناد ـ إلى علي بن الحسن بن شَقيق، قال: سمعتُ ابن المبارك يقول: نعرف ربَّنا بأنه فوق سبع سمٰواته، على العرش استوى، بائن من خلقه، لا نقول كما قالت الجهمية. قال الدرامي [٢٣]: حدثنا حسن بن الصباح البزار، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك: قيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق السماء السابعة، على العرش بائنٌ من خلقه.

وقد تقدم قولُ الأوزاعي: كنَّا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول: إنَّ الله تعالى ذِكرُه فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السُّنة.

وقال أبو عمر الطَّلَمَنْكي في كتاب «الأصول»: أجمع المسلمون من أهل السُّنة، على أنَّ الله استوى على عرشه بذاته. وقال في هذا الكتاب أيضاً: أجمع أهل السُّنة، على أنَّ الله تعالى استوى على عرشه على الحقيقة، لا على المجاز. ثم ساق بسنده، عن مالك، قوله: الله في السماء، وعلمُه في كلِّ مكان. ثم قال في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السُّنة، أنَّ معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ونحو ذلك من القرآن: أنَّ ذلك علمه، وأنَّ الله فوق السمٰوات بذاته، مستوٍ على عرشه كيف شاء. **وهذا لفظه في كتابه.**

وهذا كثيرٌ في كلام الصحابة، والتابعين والأئمة: أثبتوا ما أثبته الله في كتابه وعلى لسان رسوله على الحقيقة، على ما يليق بجلال الله وعظمته، ونَفَوْا عنه مشابهة المخلوقين. ولم يمثِّلوا ولم

يكيّفوا، على ما ذكرنا ذلك عنهم في هذا الباب.

وقال الحافظ الذهبيُّ: وأول وقت سُمعت مقالة من أنكر أنَّ الله تعالى فوق العرش: هو الجعد بن درهم، وكذلك أنكر جميع الصفات. فقتله خالد بن عبد اللّٰه القسري، وقصته مشهورة. وأخذ عنه هذه المقالة: الجهم بن صفوان، إمامُ الجهمية. فأظهرها واحتج لها بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين. فأنكر مقالته أئمةُ ذلك العصر، مثل الأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والليث بن سعد، والثوري، وحمَّاد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، ومن بعدهم من أئمة الهدى. فقال الأوزاعيُّ، إمام أهل الشام على رأس الخمسين ومئة عند ظهور هذه المقالة = ما أخبرنا عبد الواسع الأبهري بسنده، إلى أبي بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد اللّٰه الحافظ، أخبرني محمد بن علي الجوهري ـ ببغداد ـ، حدثنا إبراهيم بن الهيثم، حدثنا محمد بن كثير المصيصي، سمعتُ الأوزاعي يقول: كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول: إنَّ الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السُّنة من صفاته. أخرجه البيهقيُّ في «الصفات» [٥١٥] ورواته أئمة ثقات.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: لله أسماءٌ وصفات، لا يسع أحداً ردُّها. ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأمَّا قبل قيام الحجة فإنه يُعذر بالجهل. ونُثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه؛ كما نفى عنه نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. **انتهى من «فتح الباري»**.

قوله: (**وعن العباس بن عبد المطلب**)، ساقه المُصنِّفُ مختصراً، ضعيف

والذي في «سنن أبي داود» (٢٧٨٨): عن العباس بن عبد المطلب، قال: كنتُ في البطحاء، في عصابة فيهم رسول الله ﷺ. فمرَّت بهم سحابة، فنظر إليها، فقال: «ما تُسمُّون هذه؟» قالوا: السحاب، قال: «والمُزن». قالوا: والمزن، قال: «والعَنَان» قالوا: والعَنَان ـ قال أبو داود: لم أتقن العنان جيداً ـ قال: «هل تدرون ما بُعْدُ ما بين السماء

والأرض؟» قالوا: لا ندري، قال: «إنَّ بُعد ما بينهما إمَّا واحدة - أو اثنتان أو ثلاث - وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك» حتى عدَّد سبع سمٰوات «ثم فوق السابعة بحرٌ، بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانيةُ أوعال، بين أظلافهم ورُكبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش، بين أسفله وأعلاه، كما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى، فوق ذلك». وأخرجه
ضعيف الترمذي (٣٥٥٤)، وابن ماجه (١٩٣)، وقال الترمذي: حسنٌ غريب.

وقال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن. وروى
ضعيف الترمذيُّ (٣٥٢٩) نحوه، من حديث أبي هريرة، وفيه: «بُعْدُ ما بين سماءٍ إلى سماء خمسمئة عام» ولا مُنافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمسمئة عام، هو على سير القافلة مثلاً، ونيِّف وسبعون سنة على سير البريد؛ لأنه يصح أن يقال: بيننا وبين مصر عشرون يوماً باعتبار سير العادة، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد. وروى شَريكٌ بعض هذا الحديث، عن سماك فوقفه، **هذا آخرُ كلامه**.

قلتُ: فيه التصريح بأنَّ الله فوق عرشه، كما تقدَّم في الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة، وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم. وهذا الحديث له شواهدُ في «الصحيحين» وغيرهما، ولا عبرة بقول من ضعَّفه؛ لكثرة شواهده التي يستحيل دفعُها، وصرفها عن ظواهرها. وهذا الحديثُ كأمثاله: يدلُّ على عظمة الله وكماله، وعظيم مخلوقاته، وأنَّه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها رسوله ﷺ. وعلى كمال قدرته، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له، دون كلِّ ما سواه. وبالله التوفيق(١).

(١) إلى هنا انتهىٰ ما نقل من كتاب «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد» وكان به إتمام كتاب «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» وآخر دعوانا أن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. اهـ. ط١.

الفهارس

١ ـ فهرس الأحاديث والآثار
٢ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم
٣ ـ فهرس الشعر
٤ ـ فهرس ببعض المسائل الأصولية والفقهية
٥ ـ فهرس الموضوعات

١ - فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
(أ)	
«آمرك بلا إله إلَّا الله»	٦٩
آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله (الشافعي)	٥٠٢
آمنت بالله وكذّبت عيني (عيسى عليه السلام)	٥١٨
ائتِ الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد (ابن حنيف)	٢٠٤
«أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون»	٥٣٧
أبصر ﷺ على عضد رجل حلقة	١٢٣
«أتاني ملكان فجلس أحدهما عند رأسي»	٣٢٥
اتركوا قولي لكتاب الله (أبو حنيفة)	٤٧٤
اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله (ابن حزم)	٥٤٤
«اتفل بالمعوذتين ولا تعلق»	١٣٤
«اتق دعوة المظلوم»	٩٦
أتى ﷺ قبر أمه لما اعتمر فاستأذن ربه	٢٥٣
أتى يهودي النبيَّ ﷺ	٥١٨
أتيتُ أُبي بن كعب فقلتُ: في نفسي شيء من القدر (ابن الديلمي)	٦٠٦
أتيت النبي ﷺ لأبايعه	٦٧
«اثنتان في الناس هما بهم كفر»	٤٤٣
«اجتنبوا السبع الموبقات»	٣٢٨
«أجعلتني لله عدلاً؟»	٥٢١
«أجعلتني لله ندّاً؟»	٩٢، ٢٦٣، ٣٩١، ٥١٩، ٥٢١
«اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم»	٢٩٥
«أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها»	٣٤
«احبسوا عليَّ الركب»	٥٣٨
«أحبوا الله بكل قلوبكم»	٤٠١، ٤١٠
«أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة»	٤٠١
«احرثوا فإن الحرث مبارك»	١٢١
«احرص على ما ينفعك»	٥٧٦
«أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً»	٣٧٣
«أحق الناس بحسن صحابتك أمك»	٣٤
«أخاف على أمتي بعدي خصلتين»	٣٨٢
«أخاف على أمتي ثلاثاً استسقاء بالنجوم»	٣٩٠
«أخاف على أمتي من بعدي ثلاثاً»	٣٨٢
اختار ابن مسعود أن يحلف بالله كاذباً ولا يحلف بغيره صادقاً	٥١١
أخذ ﷺ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة	٣٦٥
أخذ ﷺ في يده حصيات فسُمع لهن تسبيح	٢٢٥
«أخنى الأسماء»	٥٣٠
«أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»	٩٠
ادع الله أن يعافيني	٢٠٠
«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»	٥٦٥
«ادعوا لي علياً»	١٠٥

«إذا أحبَّ أحدكم صاحبه، فليأته» . ٤١٤
«إذا أحبَّ الله قوماً ابتلاهم» ٤٤٨
«إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي» ٢٢٤
«إذا أراد الله بعبده الخير» .. ٤٤٦، ٤٤٨
«إذا أراد الله بعبده الشر» ٤٤٦
«إذا استعنت فاستعن بالله» ١٩٥
«إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة» ٢٠٣
«إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان» ٣٧٢
«إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء» ٢٢١
«إذا حلف أحدكم فلا يقل:» ٥٢١
«إذا رأى أحدكم ما يكره فليقل:» . ٣٧٣
«إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا» ٤٣٧
«إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد» .. ٤٢٠
«إذا سألت فاسأل الله» ١٩٥
«إذا سبقت للعبد من الله منزلة» ٤٤٩، ٤٥٠
«إذا سلم عليكم أهل الكتاب» ٣٦٢
إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط (الشافعي) ٤٧٤
«إذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم» ١٠٧
«إذا قضى الله الأمر في السماء» ... ٢٢٠
«إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم» ٦٢٣
«إذا لقيتم المدَّاحين، فاحثوا» ٦٣٤
«إذا مات ابن آدم انقطع عمله» ١٩٢
إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله (الشافعي) ٤٧٤
«إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا» ٤٣٤
«إذاً يتكلوا» ٦٣
«أذهب البأس رب الناس» ١٣١
«أربع في أمتي من أمر الجاهلية» .. ٣٨٨
«ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها» ١٣٠
«ارجع فإنك لم تصنع شيئاً» ١٤٢
أرواح الشهداء في حواصل الطير .. ٣٧٠
«أسألك الرضا بعد القضاء» ٤٥٢
«أسألك بكل اسم هو لك» ٥٥٩
«أسألك حبك وحب من يحبك» ... ٤٠١
استسقى عمر بالعباس ٦٣٣
«استعن بالله ولا تعجز» ٥٧٦
«استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك» . ٢٥٣
﴿استوى﴾: علا على العرش (مجاهد) ٦٤٣
«أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله» .... ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤٣
«اشتد غضب الله على قوم اتخذوا» . ٢٨٤
«اشتد غضب الله على من زعم» ... ٥٣١
«اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً» ٢١٣
«أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة» ٦٠٩
«أشهد أن لا إلـٰه إلَّا الله وأني رسول الله» ٦٣
«أصبح من الناس شاكر، ومنهم كافر» ٣٩٦
«أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» .٣٩٢، ٥٠٧
«أصدق الأسماء الحارث وهمام» .. ٥٤٨
«اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً» ... ٢١
«اعرضوا عليَّ رقاكم» ١٣٢
«أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض» ٣١٣
«أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة» ٨١
«أعظم الذنب عند الله أن تجعل لله نداً» .... ٣٦، ٣٣٠
«أعوذ بكلمات الله التامات» ١٧٣
«أعوذ بوجهك» ٥٧٣
«أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية» ٣٩٠

أغار ﷺ على بني المصطلق وهم غارُّون ١٠٧
«اغزوا بسم الله» ٦٢٣
«أغيظ رجل على الله وأخبثه» ٥٣٠
«أغيظ رجل على الله يوم القيامة» .. ٥٣٣
«أفضل الصدقة» ٥١٢
أفضل العبادة الدعاء (ابن عباس) .. ١٧٩
«أفضل العبادة دعاء المرء لنفسه» . ١٧٨
«أفلح وأبيه إن صدق» ٥١٢
أقضانا علي (عمر) ٥٣٢
«أقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين» ٢٤٢
«أكبر الكبائر الإشراك بالله» . ٣٤، ٤٣٩
«اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» .. ٤٩٨
«أكثروا فيه من الجماجم» ١٢١
«أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة» ٢٩٧
«إكرام صديقهما» ٣٤
«أكل الربا» ٣٢٨
«أكل مال اليتيم» ٣٢٨
«أَلِظُّوا بـ: يا ذا الجلال والإكرام» . ٥٥٤
«القط لي حصى» ٢٦٥
«الله أكبر! إنها السنن» ١٤٥
﴿الله الصمد﴾: هو السيد الذي انتهى سُؤْدُدُهُ (أبو وائل) ٦٣٦
الله حكم قِسط هلك المرتابون (معاذ) ٣١٩
«اللهم اجعله منهم» ٨٦
«اللهم أعني على ذكرك وشكرك» .. ٥٧٨
«اللهم أعني ولا تعن علي» ٥٧٨
«اللهم أكثر ماله وولده، وأدخله الجنة» ٧١
«اللهم العن فلاناً وفلاناً» ٢١١
«اللهم إنّا نسألك خير هذه الريح» . ٥٨١
«اللهم إنّا نستعينك» ٥٧٨
«اللهم إنّا نعوذ برضاك من سخطك» ٤٢٦
«اللهم إنّا نعوذ بك أن نشرك بك» .. ٥٠٩
«اللهم إني أحبهما فأحبهما» ٤٠٥
«اللهم إني أسألك بأن لك الحمد» . ٥٥٤
«اللهم إني أسألك من خيرها» ٥٨٢
«اللهم إني أسألك وأتوجه إليك» .. ٢٠٠
«اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك» ٥٥٤
«اللهم فشفّعه فيّ» .... ٢٠٠، ٢٠١
«اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل» ٧٩
«اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»... ١٤٩، ٢٨٤، ٢٨٥
«اللهم لا خير إلا خيرك» ٣٧٦
«ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة؟» . ٣٩٣
«أليس يُحرمون ما أحل الله فتُحَرِّمونه؟» ٤٧٦
«أمَا إنها لا تزيدك إلا وهناً» ١٢٣
«أمَا وأبيك لتنبأنه» ٥١٢
«أمَا والله إن كنت لأعرفها» ٥٢٣
«أمَا والله لأستغفرن لك» ٢٥٢
«أمثال هؤلاء فارموا» ٢٦٥
أمر عمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ٢٨٦
أمر فضالة بقبره فسوي ٦١١
«أمر معاذ ألا يدع في دبر كل صلاة» ٥٧٨
«أُمِرْتُ أن أُقاتل الناس» ٢١، ١٠٧، ١١٦، ١١٧
أمرنا ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ١٨٩
أمرهم ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا .. ٥١٨
«امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك» ١٠٦
«أمّا السماء الدنيا، فإن الله خلقها من دخان» ٣٨٠
«أمّا بعد فإن طُفيلاً رأى رؤيا أخبر بها» ٥٢٣
«أمّا بعد فإن ناساً يزعمون أن كسوف» ٣٨٢

«أمتي أمتي» فيقال له: أخرج من النار ٢٤٤
«أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك» . ٣٤
«أمك»، قال: ثم من؟ قال: «ثم أباك» ٢١٤
«إنِ استطعت أن تعمل بالرضا» ... ٤٢٣
«إنْ أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت» ٥٧٦
«أنْ تجعل لله نداً وهو خلقك» ٣٦، ٣٣٠
«أنْ تزاني حليلة جارك» ٣٦
«أنْ تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك» ٤٢٣
«أنْ تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» ٣٦
«أنْ تلد الأمة ربتها» ٥٦٧
«أنْ تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه» ٥٩٥، ٥٩٩
«إنْ شئتَ دعوتُ، وإنْ شئتَ صبرتَ» ٢٠٠
«إنْ كان الشؤم في شيء ففي الدار» ٣٦٧
«أنْ لا يبقين في رقبة بعير قلادة» .. ١٢٩
«أنْ يحب المرء لا يحبه إلا لله» ٤٠٩، ٤٩٤
«أنا أغنى الشركاء عن الشرك» ٤٥٤
«أنا الجبار المتكبر» ٦٣٩
«أنا الدهر أقلب الليل والنهار» ... ٥٢٩
«أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» ٥٤٧
«أنا أنهى عن الكي» ٨٣
«أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي» ... ٣١٣
«أنا خير شريك» ٤٥٥
«أنا خير قسيم لمن أشرك بي» ٤٥٥
«أنا سيد ولد آدم ولا فخر» ٥٣٢
«أنا لها (الشفاعة الكبرى)» ٢٤٤
«أنا محمد عبد الله ورسوله» ٦٣٤
«أنا منه بريء وهو للذي أشرك» ... ٤٥٥
«انبذها عنك فإنك لو مت» ١٢٣
«أنت أبو شريح» ٥٣٣
«أنت مع من أحببت» ٤١١
«انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً» .. ١٢٣
«إنفاذ عهدهما من بعدهما» ٣٤
إنّ أحدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه (ابن عباس) ٥١٠
«إنّ أخاكم رأى رؤيا قد حدثكم بما رأى» ٥٢٥
«إنّ أخنع اسم عند الله رجل يسمى» ٥٣٠
«إنّ أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث» ٣٨١
«إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» .... ٩٠، ٩١
«إنّ أكبر الكبائر الشرك» ٣٢٩
«إنّ الرقى والتمائم والتولة شرك» .. ١٣١
إنّ الزكاة حق المال (أبو بكر) ١٠٧
«إنّ الشرك لظلم عظيم» ٤٩
«إنّ الشيطان يفر من البيت» ٢٩٥
«إنّ الطيرة في المرأة والدار والدابة» ٣٦٧
«إنّ العيافة والطرق والطيرة من الجبت» ٣٣٩
«إنّ الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا» . ٤٥٦
«إنّ الله إذا أحب قوماً ابتلاهم» ... ٤٤٨
«إنّ الله افترض عليهم خمس صلوات» ٩٥
«إنّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ» ٩٦
إنّ الله إنما جعل هذه النجوم لثلاث خصال (قتادة) ٣٧٩
«إنّ الله بحكمته جعل الروح والفرح» ٤٢٢
إنّ الله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا (ابن مسعود) ٤٥٠
«إنّ الله حرم على الأرض أن تأكل» ٢٩٨
«إنّ الله حرم على النار من قال:» ٦٢، ٧٣
«إنّ الله حيي ستير يحب الحياء والستر» ٥٥٢

«إنّ الله زوى لي الأرض» ٣١٣
إنّ الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته (الأوزاعي) . ٦٤٥
«إنّ الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور» ١٦١
«إنّ الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية» ٣٨٩
إنّ الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً (ابن عباس) ٦٠٤
«إنّ الله كتب مقادير الخلائق» ٥٩٥
«إنّ الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء» ٨٥
«إنّ الله لم يُهلك قوماً فيجعل لهم نَسلاً» ٣٠٩
«إنّ الله هو الحكم وإليه الحكم» .. ٥٣٣
«إنّ الله هو السلام ولكن قولوا:» .. ٥٦٤
«إنّ الله لا مُكره له» ٥٦٥
«إنّ الله لا يتعاظمه شيء أعطاه» ... ٥٦٥
«إنّ الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل» ٥٦٥
«إنّ الله لا يقبل من العمل» ٤٥٦
«إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم» ٢٣٠
«إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس» ٨
«إنّ الله يبغض البليغ من الرجال» .. ٣٤٦
«إنّ الله يحب من أصحابي أربعة» .. ٦١٨
«إنّ الله يقبض يوم القيامة الأرضين» ٦٣٨، ٦٤٠
«إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» ٣٩٢
«إنّ الله يقول: أنا خير شريك» ... ٤٥٥
«إنّ الله يقول أنا خير قسيم» ٤٥٥
«إنّ الله يقول للعبد يوم القيامة: » . ٤١٨
«إنّ الله يلوم على العجز» ٤٣٤
«إنّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم» . ٥١١
«إنّ الملائكة تنزل في العنان» ٢٢٢
إنّ أهل الجاهلية كانوا يستشئمون بصفر ٣٧١
«إنّ أول ما خلق الله القلم» ٦٠٢
«إنّ تسليمكم يبلغني أين كنتم» ٢٩٩
«إنّ ثلاثة من بني إسرائيل أبرص» .. ٥٤٢
أنّ حفصة أمرت بقتل جارية لها سحرتها ٣٣٤
«إنّ رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين» ٦٢٨
«إنّ رزق الله لا يجره حرص حريص» ٤٢٢
أنّ ركانة طلق امرأته البتة ٥٤٨
«إنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم» ٢٩٥، ٣٠٠
«إنّ صلاتكم معروضة علي» ٢٩٨
«إنّ عظم الجزاء مع عظم البلاء» .. ٤٤٨
«إنّ عليه تميمة» ١٢٦
«إنّ عمر قد قتل الرجل» ٤٩٦
إنّ لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض .. ٢٨٧
«إنّ لكل قوم عيداً» ١٦٣
«إنّ لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة» .... ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٦٠
«إنّ لله في الأرض حاضراً» .. ٢٠٣، ٢٠٤
«إنّ لو تفتح عمل الشيطان» ٥٧٦
«إنّ من البيان لسحراً» .... ٣٢٥، ٣٤٥
«إنّ من الكبائر شتم الرجل والديه» . ١٥٦
«إنّ من شرار الناس من تدركهم الساعة» ٢٧٧
«إنّ من ضعف اليقين أن ترضي الناس» ٤٢٢
«أنّ من عقد لحيته أو تقلد وتراً» ... ١٣٧
«إنّ موسى كان رجلاً حيياً» ٣٤٩
«أنّ نوحاً ﷺ قال لابنه عند موته» . ٦٩
«إنّ هذا يوم جعله الله للمسلمين عيداً» ١٦٣

أنّ يغوث ويعوق ونسراً كانوا قوماً صالحين (محمد بن قيس) ٢٥٦
«إنّا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله» ١٦٠
«إنك امرؤ فيك جاهلية» ٣٩٠
«إنك إنْ مت وُكِلت إليها» ١٢٣
«إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب» ٢١، ٩٥
«إنك مؤمن وهو كافر إنه أول من غير» ٢٥٧
إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر (أنس) ١٥٨
«إنكم وليتم أمراً هلكت فيه الأمم» . ٣٩
«إنكن تفتن الحي وتؤذين الميت» .. ٢٩١
«إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين» ٣١٣
«إنما الطاعة في المعروف» .. ٤٦٩، ٤٧٧
«إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك» ... ٣٧٧
«إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» .... ٢٦١، ٤٨٠
إنما أهلك من كان قبلكم بمثل هذا (عمر) ٢٨٦
«إنما بنو هاشم وبنو عبد مناف شيء واحد» ٥٤٩
إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام (ابن عمر) ٣٠٤
إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة (عمر) ٨٧
«إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع» .... ٣٥٧، ٣٥٨
«إنما يرحم الله من عباده الرحماء» . ٤٤٥
«إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون» ٣١٣
أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره ١٢٩
أنه كوي من ذات الجنب والنبي ﷺ حي (أنس) ٨٣
«إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا؟» ٤٩
«إنه لا يُستغاث بي وإنما يستغاث بالله» .... ١٩٨، ٦٣٤
«إنهم حرموا عليهم الحلال» ١١٣
«إنهم غر محجلون من أثر الوضوء» ٨٠
أنهم كانوا أولاد آدم لصلبه، وكان ود أكبرهم وأبرهم به (عروة) ٢٥٦
«إنهما لا يطهران» ١٣٩
«إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل» ٢٧١
«إني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي» . ٢٤٣
«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به» . ٤٤
«إني دافع اللواء إلى رجل يحبه الله ورسوله» ١٠٣
«إني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة» ٣١٣
«إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر» ٥٦٤
«إني لأبصر قصر المدائن الأبيض» . ٣١٤
«إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية» ٤٣٥
«إني والله - إن شاء الله - لا أحلفُ على يمين فأرى غيرها» ٦٢٣
إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن همّ الدعاء (عمر) ١٧٩
«أوثق عرى الإيمان الحب في الله» . ٤١٤
«أوحى الله إلى داود» ١٣٦
«أوف بما نذرت لله» ١٦٢
«أوف بنذرك» ١٦١
«أوفي بنذرك» .... ١٦٢، ١٧٠
«أوّل زمرة تدخل الجنة على صورة القمر» ٨١
«أوّل شافع» ٢٤٦
«أوّل شيء خلقه الله: القلم» ٦٠٤
«أوّل من تُسَعَّر بهم النار ثلاثة» ٤٥٨

«أوّل من تنشق عنه الأرض» ٢٤٦
«أوّل من غير دين إبراهيم» ٢٥٧
«أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح» ٢٦٧
«أولئك شرار الخلق عند الله» ٢٦٧
ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ (علي) ٦١٠
«ألا أخبركم بشر البرية؟ الذي يُسأل بالله» ٥٧١
«ألا أخبركم بشر الناس؟ رجل يُسأل بالله» ٥٧١
«ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي» ٤٥٨
«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ٣٤
«ألا إن آل أبي... ليسوا لي بأولياء» ٢١٨
«ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم» ٥١٣
«ألا إن لكم رحماً سأبُلُّها بِبِلاها» .. ٢١٦
«ألا إن لي عملي ولكم عملكم» .. ٢١٨
«ألّا تدع صورة إلا طمستها» ٦١٠
«ألا هل أنبئكم ما العضهُ؟» ٣٤٤
أي الأعمال أحب إلى الله؟ ٣٤
أي الذنب أعظم؟ .... ٣٦، ٣٣٠
أي الصدقة أفضل؟ ٥١٢
أي الناس أشد بلاء؟ ٤٤٩
«إيّاك وكرائم أموالهم» ٩٦
«إياكم والغلو» .... ٢٦٤، ٢٦٥
«أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة» ٧٦
«أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات» . ٤٤
«أيّما حِلْفٍ كان في الجاهلية» ٦٢٣
«أين المتحابون لجلالي؟» ٤١٥
«أين تجعلون الذين يشترون بعهد الله» ٣٢٩
«أين علي بن أبي طالب؟» ١٠٥
أين يذهب هؤلاء؟ (عمر) ٢٨٦
«أيها الناس اتقوا هذا الشرك» ٥٠٩
«الآن يا عمر» ٤٠٧
«الأرض كلها مسجد إلّا المقبرة والحمام» ٢٧٤
«الاستسقاء بالنجوم» ٣٨٨
«الاستغفار لهما» ٣٤
الاستواء غير مجهول (أم سلمة، مالك، ربيعة) ٦٤٣
«الإسلام يجبّ ما قبله» ٣٣٤
«الإلحاد في الحرم» ٣٢٩
«الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» ٤٤٩
الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل (ابن عباس) ٥٠٩
«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته» ٥٩٥، ٥٩٨

(ب)

«ببيت المقدس» ٣٢٣
«بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ» .... ١٩٤، ٤١٥
«بر الوالدين» ٣٤
بصق ﷺ في عينيه فبرأ ١٠٥
بعث ﷺ إلى أبيّ بن كعب طبيباً فقطع له عرقاً وكواه ٨٣
بعث ﷺ خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى ١٤٢
«بُعد ما بين سماء إلى سماء خمسمئة عام» ٦٤٦
«بعزتي إنه من اعتصم بي فإن كادته السمٰوات» ٤٣٢
«بل اصمت وأخبرك بما أردت» ... ٣٧٠
«بني الإسلام على خمس» ... ٢٢، ٤٨٠
«بهذا ضلت الأمم قبلكم» ٥٠٢
«بئس الخطيب أنت» ٥٢٠
«بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمئة عام» ٦٣٩

بينما نحن عنده ﷺ ذات يوم ٦٠٠

(ت)

«تداووا ولا تداووا بحرام» ١٢٥
«تدمع العين، ويحزن القلب» ٤٤٥
تسبيح الحصيات في يده ﷺ ٢٢٥
تسبيح الطعام ٢٢٥
«تعبد الله ولا تشرك به شيئاً» ٦٧
«تعس عبد الدينار» .... ٤٦٤، ٥٤٧
«تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش» ٤٦٤
تعلموا العلم قبل أن يقبض (ابن مسعود) ٤١
«تعلموا من النجوم ما تهتدون به» .. ٣٨٢
تلك الغرانيق العُلَى ...... ٢٣٤، ٢٣٥
«تلك الكلمة الحق يخطفها الجني» . ٢٢٤
«تلك عاجل بشرى المؤمن» ٤٥٨
«تؤمن بالقدر خيره وشره» ٦٠٠
«التارك لدينه المفارق للجماعة» ... ٣٧
التولة شيء تصنعه النساء (ابن مسعود) ١٣٥
«التولي يوم الزحف» ٣٢٨

(ث)

«ثكلتك أُمُّك يا معاذ» ٦٢٩
«ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان» .... ٤٠٩، ٦٠٢
«ثلاثة لا يدخلون الجنة: مُدْمن الخمر» ٣٨٦
«ثلاثة لا يُكلمهم الله ولا يُزكِّيهم» . ٦١٨
«الثيب الزاني» ٣٧

(ج)

جاء أعرابي إلى النبي فسأله عن الحوض ٤٦٧
جاء حبر من الأحبار إليه ﷺ ٦٣٦
جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة ٣٠٧
جاء رجل من أهل الكتاب إليه ﷺ فقال: يا أبا القاسم ٦٣٨
«جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» ٢٧٢
جمع ﷺ أهل بيته قبل موته ٢١٨
الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان (عمر) .... ٣٠٧، ٣٢٧
«الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله» ١٥٩
«الجهاد في سبيل الله» ٣٤

(ح)

«حُبِّب إلي من الدنيا النساء والطيب» ٣٧٣
«حتى لو أن أحدهم جامع أمه في الطريق» ٣١٢
«حتى لو كان فيهم من أتى أمه علانية» ٣١٢
«حد الساحر ضربة بالسيف» ٣٣١
حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله (علي) ٤٩٩
حديث البطاقة ٧٠
حديث اللقحة ٣٧٠
«حسبنا الله ونعم الوكيل» ٤٣٣
«حسن الظَنّ بالله من حسن العبادة» . ٥٨٣
«حق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به» ٤٤
«حق الله على العباد أن يعبدوه» ... ٤٤
حنين الجذع ٢٢٦
«الحلف منفقةٌ للسلعة، ممحقةٌ للكسب» ٦١٧
«الحمد لله... نستعينه ونستهديه» .. ٥٧٨
«الحنيفية السمحة» ٢٩٣
«الحياء شعبة من الإيمان» ٣٤٢

(خ)

«خدعهما مرتين» ٥٥٠
خرج ﷺ يوم أحد في ألف رجل .. ٥٧٥

خط ﷺ خطاً بيده ٤٠
«خلق الله هذه النجوم لثلاث:» ... ٣٧٩
«خير الدعاء دعاء يوم عرفة» ٦٩
«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم» ٦٢٢
«خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم» ٦٢٠
«خير فارس في العرب عكاشة» ... ٨٦
«خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي» ٧٠

(د)

دخل أبو بكر عليه ﷺ بعد وفاته .. ٤٤٥
«دخل الجنة رجل في ذباب» ١٥٧
«دعاء المرء لنفسه» ١٧٨
«دعهما يا أبا بكر، فإن لكل قوم عيداً» ١٦٣
«دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً» ١٠٠
«دعوها ذميمة» ٣٦٩
«دعى بدعوى الجاهلية» ٤٤٣
«الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين» ١٧٨
«الدعاء مخ العبادة» ١٧٨
«الدعاء هو العبادة» .... ١٧٨، ٦١٥

(ذ)

«ذاك الله» ٤٢٤
«ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصُدَّنكم» ٣٦٦

(ر)

رأى ابن عباس رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك ٥٠١
رأى حذيفة رجلاً في يده خيط من الحمى ١٢٧
رأى ﷺ جبريل في صورته، وله ستمئة جناح ٢٢٦
رأى ﷺ رجلاً في يده حلقة من صفر ١٢٣
رأى عيسى ﷺ رجلاً يسرق فقال له؟ ٥١٧
رأيت أنساً يسلم على النبي ﷺ ثم يسند ظهره إلى جدار القبر (سلمة) ٣٠٣
«رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار» ٢٥٧
رأيت كأني على نفر من اليهود (الطفيل) ٥٢٢
«رب أشعث مدفوع بالأبواب» ٤٦٨
«رُبّ معلم حروف أبي جاد» ٣٥٥
«رُبّ ناظر في النجوم ومتعلم حروف» ٣٥٥
رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته (قتادة) ٣٥٧
«رجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك» ٤١٥
«رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما» . ١٥
رخص ﷺ في الرقية من العين والحمة ١٣٢
«ردُّوا عليَّ الرجل» ٤٣٤
«رضا الرب في رضا الوالدين» ٣٤
رقى جبريل النبي ﷺ ...... ٨٢، ٨٣
رقى ﷺ أصحابه ٨٢
﴿الرحمن على العرش استوى﴾ أي: ارتفع (ابن راهويه) ٦٤٣
﴿الرحمن على العرش استوى﴾ أي: علا وارتفع (الطبري) ٦٤٤
﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كما وصف نفسه ولا يُقال: كيف؟ (مالك) ٦٤٣
«الرياء» ٩٠
«الرِّيح من رَوْح الله» ٥٨١

(ز)

«زوروا القبور فإنها تذكر الموت» .. ٦١٤
«زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة» ٢٨٢

(س)
سألت جابر بن عبد الله عن الطواغيت ٣٢٧
«سبحان الله! سبحان الله!...» . ٦٣٠
«سبحان الله هذا كما قال قوم موسى» ١٤٥
«سبقك بها عكاشة» .... ٧٧، ٨٦
سُحِر ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ٣٢٥
«سخط الرب في سخط الوالدين» .. ٣٤
«سلمان منّا أهل البيت» ٦١٨
«سلوا الله كل شيء» ١٧٨
«سلوا الله من فضله» ١٧٨
«سليني من مالي ما شئت» ٢١٣
«سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته» . ٦٤
سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان (علي) ٢٥٣
«سُنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب» ٦٢٦
سوغ ﷺ لمن نذرت الضرب بالدف أن تضرب به .... ١٦٣، ١٧٠
سُئل ابن عباس عن الكبائر سبع ... ٣٣٠
سُئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ ٦٠٤
سئل ﷺ: أي الناس أشد بلاء ... ٤٤٩
سئل ﷺ عن الرجل يعمل العمل من الخير ٤٥٨
سئل ﷺ عن الكبائر ٤٣٨
سئل ﷺ عن النشرة ٣٥٦
«الساحر كافر» ٣٢٧
«السحر» ٣٢٨
السحر من الجبت (عمر) ٣٢٧
السحر من الكفر (ابن عباس) ٣٢٧
«السلام عليكم يا أهل القبور» ٦١٤
«السيد: الله» .... ٥٦٨، ٦٣٣، ٦٣٦

(ش)
«شبراً بشبر وذراعاً بذراع» ٣١٠
شُجّ ﷺ يوم أحد ٢٠٩
شرب الخمر ٣٢٩
«شربة عسل» ٨٣
«شرطة محجم» ٨٣
«شق الجيوب» ٤٤٣
«شهدت بأن وعد الله حقٌّ» ٦٤٤
الشرك أخفى من دبيب النمل (ابن عباس) ٥٠٩
«الشرك الأصغر: الرياء» ٩٠
«الشرك الخفي» ٤٥٨
«الشرك بالله» ٣٢٨
«الشرك بالله، واليأس من روح الله» ٤٣٨
«الشفاء في ثلاث: شربة عسل» ... ٨٣
«الشؤم في ثلاث» ٣٦٧

(ص)
صعد ﷺ على الصفا ٢١٤
«صلاة في مسجد قباء كعمرة» ١٦٠
«صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما» ٣٤
«صلوا علي حيثما كنتم» ... ٢٩٦، ٣٠٠
«صلوا علي فإن صلاتكم تبلغني» .. ٢٩٥، ٣٠٠، ٦١٥
صلى لنا ﷺ صلاة الصبح بالحديبية ٣٩٢
صليت مع عمر في طريق مكة صلاة الصبح ٢٨٦
«الصبر ضياء» ٤٤١
«الصبر نصف الإيمان» ٤٤١
«الصلاة على وقتها» ٣٤

(ض)
ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه ٦٣٧
«ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً» .. ٤١

(ط)
طلق عبد يزيد أم ركانة ٥٤٨
«طوبى شجرة في الجنة مسيرة مئة سنة» ٤٦٧

«طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه» ٤٦٤
«الطعن في الأنساب» ..... ٣٨٨، ٤٤٣
«الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان» ٣٢٧
«الطيرة شرك» .... ٣٤١، ٣٧٥
«الطيرة على من تطير» ٣٦٨
«الطيرة والعيافة والطرق من الجبت» ٣٠٨

(ع)

«عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء» ٤٤٢
عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته (ابن حنبل) ٤٧٠
«عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي» . ٧٦
«عرف الحق لأهله» .... ٤٩٩، ٥٢٢
«عقوق الوالدين» ٣٢٩
«على المرء المسلم السمع والطاعة» ٤٧٠
عيسى روح من الأرواح (أُبيّ بن كعب) ٦١
«العَضه: هي النميمة القالة بين الناس» ٣٤٤

(ف)

«فإنِ استطعت أن تعمل بالرضا في اليقين فافعل» ٤٢٣
«فإنّ الله حرم على النار من قال: لا إلٰه إلا الله» ٦٢
«فأين تجعلون الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً» ٣٢٩
«فِر من المجْذُوم كما تفر من الأسد» ٣٦٣، ٣٦٤
«فرق الله بين الحق والباطل على لسان عمر» ٤٩٦
فرقوا بين كل محرم من المجوس (عمر) ٣٣٣
فما رمِدت ولا صُدعت منذ دفع إليّ ﷺ الراية (علي) ١٠٦

فمن أجرب الأول؟ ٣٦٥
فمن أعدى الأول؟ .... ٣٦٣، ٣٦٤
«فمن؟ اليهود والنصارى» .. ٣١٠، ٣١١
«فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشرِّه» .. ٦٠٦
«فلا تأتهم» الكهان ٣٤٧
«فلا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة إذاً؟» ٦٧
«فيفتح علي من محامده» ٥٦٠
«فيكذبون معها مئة كذبة» ٣٥٣
«الفاجر الراجي لرحمة الله» ٤٣٨
«الفأل: الكلمة الصالحة» ٣٧٢
«الفأل: الكلمة الطيبة» ٣٧٢
«الفخر في الأحساب» ٣٨٨

(ق)

«قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله» ١٠٦
«قاطع رحم» ٣٨٦
«قال الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك» ٤٥٤
«قال الله: أنا عند ظن عبدي بي» .. ٥٨٣
«قال الله في بعض كتبه: بعزتي إنه من اعتصم بي» ٤٣٢
«قال الله: ما أنعمت على عبادي من نعمة» ٣٩٤
«قال الله: من ذا الذي يتألّى عليَّ؟» ٦٢٨
«قال الله: ومن أظلم ممن ذهب» .. ٦٠٩
«قال الله: يا ابن آدم إنك ما دعوتني» ٧١
«قال الله: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب» ٧١
«قال الله: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر» ٥٢٧
قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا ٣٩٦
قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا ٥٣٧
«قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان» ٦٢٨

قال رجل: يا نبي الله إني أقف المواقف ٤٥٣
«قال موسى: يا رب علمني شيئاً أذكرك» ٦٧
«قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق» ٣٢٨
«قذف المحصنات» ٣٢٨
قضى ﷺ بين رجلين فقال المقضي عليه ٤٣٤
«قطعت عنق صاحبك» ٦٣٤
«قل: لا إله إلا الله وحده» ٥١٤
«قلتم كذا وقلتم كذا» ٥٣٨
«قم عنا فلست منا» ٤٤٨
«قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم» . ١٤٢
«قولوا بقولكم أو بعض قولكم» ... ٦٣٤
قوم يكتبون أبا جاد ينظرون في النجوم (ابن عباس) ٣٥٥
«قوموا إلى سيِّدكم» ٦٣٦

(ك)

«كادت النميمة أن تكون سحراً» .. ٣٤٤
كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار ٤٣٣
كان ابن المسيب لا يرى بأساً إذا كان بالرجل سحر أن يمشي إلى من يُطلق عنه ٣٥٨
كان ابن عمر إذا قدم من سفر ٣٠٢
كان الصديق لا يملك نفسه من البكاء ٣٥٣
كان اللات رجلاً يلت السويق للحاج ١٤١
«كان الله ولم يكن شيء غيره» ٦٠٥
«كان الله ولم يكن شيء قبله» ٦٠٤
كان الناس يسألونه ﷺ عن الخير . ٨٧
«كان أهل الجاهلية يقولون: إن الطيرة في المرأة» ٣٦٧
«كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار» ٥٢٧
كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني ٦٠٠
«كان بين آدم ونوح عشرة قرون» ... ٢٥٦
كان بين رجل من المنافقين ٤٩٤
«كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين» ٦٢٩
كان ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش .. ٦٢٣
كان ﷺ إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه ٣٧٤
كان ﷺ إذا تخيلت السماء تغير لونه ٥٨٢
كان ﷺ إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع: يا نجيح ٣٧٤
كان ﷺ جالساً في نفر من أصحابه ٢٢٢
كان ﷺ حسن الصوت بالقرآن ... ٣٧٣
كان ﷺ معالي الأخلاق ٣٧٣
كان ﷺ لا يتطير من شيء ٣٧٤
كان ﷺ يأتي قباء راكباً وماشياً ... ٥١٧
كان ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت ٣٠٥
كان ﷺ يحب الحلوى والعسل ٣٧٣، ٤٠٢
كان ﷺ يحب نساءه ٤٠٢
كان ﷺ يزور قباء راكباً وماشياً ... ١٦٠
كان ﷺ يعجبه الفأل ٣٧٤
كان ﷺ يقول في خطبته ويعلم أصحابه أن يقولوا: الحمد لله .. ٥٧٨
«كان عرشه على الماء» .... ٦٠٤، ٦٠٥
كان عرشه على متن الريح (ابن عباس) ٦٠٤
كان عمر يسمع نشيج أبي بكر من وراء الصفوف ٣٥٣
كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنساناً وأبان رأسه (أبو عثمان النهدي) ٣٣٥
كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجيء فتأخذ (أبو أيوب) ٣٧٢

كان معاذ لا يجلس مجلساً للذكر .. ٣١٩
كان ناس على عهده ﷺ يقولون .. ٤٠٦
كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن ١١١
«كان نبي من الأنبياء يخط» ٣٥٤
كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن ٢٣٤
كان يلت لهم السَّويق فمات (مجاهد) ٢٨٨
كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً .. ٥٠٧
كانت العرب في الجاهلية تقول (الزبير بن بكار) ٣٧٠
كانت حواء تلد لآدم أولاداً فتعبِّدهم لله ٥٥٠
كانت رايته ﷺ سوداء، ولواؤه أبيض ١٠٣
كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار (النخعي) ٦٢٢
كانوا يكرهون الآجر على قبورهم (النخعي) ٦١٢
كتب إلينا عمر أنِ اعرضوا على من كان قبلكم من المجوس ٣٣٣
كتب ﷺ كتاب الفرائض والديات والسنن ٣٢٩
كتب عمر أنِ اقتلوا كل ساحر وساحرة ٣٣٣
كره قتادة تعلم منازل القمر ٣٨٤
كُسرت رباعية النبي ﷺ يوم أُحد .. ٢٠٩
«كلْ بسم الله ثقة بالله وتوكلاً عليه» . ٣٦٥
«كلُّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله» ١٠
«كلُّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله» ١٠
«كلُّ عمل ليس عليه أمرنا فهو رد» . ٤١
«كلُّ مصوِّرٍ في النار» ٦٠٩
«كلُّ يمين يحلف بها دون الله شرك» ٥١١
«كُلُّهم إذا كان أصل أمره أن تكون كلمة الله هي العليا» ٤٥٧
كنا إذا كنا مع رسول الله في الصلاة ٥٦٣
كنا عند مالك فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ ٦٤٣
كنا مع فضالة بأرض الروم بِرُودس . ٦١١
كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل (ابن مسعود) ٢٢٥
كنا نعد الرياء على عهده ﷺ الشرك الأصغر ٤٥٩
«كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور فزوروها» ٢٩٢
كنيسة رأتها بأرض الحبشة (أم سلمة) ٢٦٧
كوى ﷺ أسعد بن زرارة من الشوكة ٨٣
«كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير» ٢٨٥
كيف تعرف من لم تر من أمتك؟ (أبو هريرة) ٨٠
كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله (عمر) .... ١٠٧، ١١٦
كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السمٰوات على ذه ٦٣٨
«كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم» ٢٠٩
«كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟» ٢٠٩
كيّة نار (ابن عباس) ٨٣
الكبائر أكثر من سبع (ابن عباس) .. ٣٣٠
الكبائر: الإشراك بالله (الحسن) ... ٣٢٩
«الكبائر: الشرك بالله» .... ٣٢٩، ٤٣٨
الكبائر تسع: ٣٢٩
«الكبرياء ردائي والعظمة إزاري» ... ٦٣٥

(ل)

«لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عن ذلك» . ٢٤٩
«لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله» .... ١٠٢، ١٠٣

لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً (ابن مسعود) ٥١٥
«لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً» .. ١٠٨
«لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة» ٣١٠
«لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر» ٣١١
«لتركبن سنن من كان قبلكم» ١٤٥
«لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن» ٣٨٣
«الصنم... لوثن... أوفي بنذرك» . ١٦٢
«لعلك تسُبُّ الريح» ٥٨٢
«لعن الله آكل الربا وموكله» ١٥٧
«لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ٣٠٠
«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ٢٧٨، ٣١٠، ٦١٢
«لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ٢٨٥
«لعن الله من آوى محدثاً» ١٥٣
«لعن الله من ذبح لغير الله» ١٥٣
«لعن الله من غير منار الأرض» ... ١٥٣
«لعن الله من لعن والديه» ١٥٣
لعن ﷺ الخامشة وجهها، والشاقة جيبها ٤٤٤
لعن ﷺ زوارات القبور ٢٩١
«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» .. ٢٦٩
«لقد رأيت ـ أو لقد أُمِرْتُ ـ أن أتجَوَّزَ في القول» ٣٤٦
لقد رأيتنا على عهد رسول الله ﷺ وما منا أحد يرى أنه أحق بديناره ٤١٥
لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا ٥٧٤
«لقد طهر الله هذه الجزيرة من الشرك» ٣٨٢
«لقد ظننت يا أبا هريرة ألّا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك» ٢٤٣
«لقد عذت بمعاذ، الحقي بأهلك» . ٥٧١
«لكل نبي دعوة مستجابة» ٢٤٣
لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها (الشافعي) ٦٤٥
«لم يكذب إبراهيم ﷺ غير ثلاث كذبات» ٣٨٣
«لمّا أذنب آدم» ٢٠٣
لمّا أسري به ﷺ جعل يمر بالنبي ومعه الواحد ٧٩
لما أوحى الجبار إليه ﷺ دعا الرسول من الملائكة ليبعثه بالوحي (ابن عباس) ٢٢٠
لما تغشَّاها آدم حملت فأتاهما إبليس (ابن عباس) ٥٤٤
لما حضرت الوفاة أبا طالب ٢٤٩
لما حملت حواء أتاها الشيطان فقال: أتطيعينني ويسلم ولدك؟ (أبي) ٥٥٠
لما فتحنا تُسْتَر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً (أبو العالية) ... ٢٨٧
لما قدم كعب مكة قالت قريش: ألا ترى إلى هذا الصنبور (ابن عباس) ٣٠٧
لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة ٢٦٩
«لما ولدت حواء طاف بها إبليس» . ٥٤٥
«لن تمسك النار» ٢٠٩
لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها (مالك) ٦١٤
«لن ينفع حذر من قدر» ١٧٨
«لو استقبلت من أمري ما استدبرت» ٥٨٠
«لو أنفقت مثل أُحُدٍ ذهباً» ٦٠٦

«لو أن الله عذَّب أهل سماواته» ... ٦٠٧
«لو أنكم توكلون على الله حق توكله» ٤٢٧
«لو كنت راجماً بغير بينة لرجمت هذه» ٥٧٩
«لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً» .. ٢٧٢
«لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتهم بالسِّواك» ٥٧٩
«لولا حِدثان قومك بالكفر لأتممتُ البيت» ٥٧٩
لولا فلان لم يكن كذا ٥٠٥
«ليأخذن بالراية غداً رجل يحبه» ... ١٠٣
«ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلّا ترك الصلاة» ٤٣٣
«ليس شيء أكرم على الله من الدعاء» ١٧٨
«ليس منا من تطير أو تُطير له» ٣٥١
«ليس منا من ضرب الخدود» ٤٤٣
«ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها» .. ١٧٩
«ليست في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء» ٥٠٣
«ليعزم المسألة» ٥٦٥

(م)

«ما أحب أن أكتوي» ٨٣
ما أحببت الإمارة إلا يومئذ (عمر) . ١٠٤
«ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟» ٥٣٣
ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق (ابن عباس) ٣٥٥
«ما اسمك؟...» ٥٤٧
«ما أعددت لها؟...» ٤١١
«ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر» ٤٤١
«ما السمٰوات السبع في الكرسي إلّا كدراهم سبعة» ٦٣٩
«ما السمٰوات السبع والأرضون السبع» ٦٣٩
ما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ .. ٩٠
«ما الكرسي في العرش إلا كحلقة» . ٦٣٩
ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلّا كان لبعضهم فتنة (ابن مسعود) ٤٩٩
«ما أنزل الله من داء إلّا أنزل له شفاء» ٨٥
«ما بعث الله من نبي إلّا كان حقاً عليه أن يدل أمته» ٩١
«ما بقي شيء يقرب من الجنة...» . ٢٩٤
«ما تُسمُّون هذه؟» ٦٤٥
ما رمِدتُ ولا صُدِعتُ منذ دفع إليَّ ﷺ الرَّاية (علي) ١٠٦
«ما شاء الله ثم شئت» ٥١٨
ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه (ابن عباس) ٥٠١
«ما قال عبد: لا إله إلا الله مخلصاً قط» ٧٠
«ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن» ٤٩٦
«ما كنتم تقولون إذا كان هذا في الجاهلية؟» ٢٢٣
«ما لك أقمأك الله» ٢٠٩
«ما من أحدٍ يسلم عليَّ إلّا ردَّ الله عليّ روحي» ٢٩٧
«ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك» ٦٣
«ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله» ٦٣
«ما منعك، إذ رأيت المنكر ألا تغيره» ٤١٨
«ما منها كذبة إلّا ما حال بها عن دين الله» ٣٨٤
«ما هذا الطهور الذي تطهرون به» .. ١٦١
«ما هذه؟... انزعها فإنها لا تزيدك» ١٢٣

«ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي؟» ١٥٣
«متى الساعة؟» ٤١١
«مثلي كمثل رجل استوقد ناراً» ... ٢٩٤
«مد من خمر» ٣٨٦
مرّ ابن مسعود بامرأة معها تسبيح، فقطعه ٧٨
مرّ ﷺ بقبور المدينة ٦١٤
«مصدق بالسحر» ٣٨٦
«مطرنا بنوء كذا وكذا» ٣٩٣
«مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله» ٣٨٢
«ملعون من سأل بوجه الله» ٥٧١
«مما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم» ٣٨١
من أبر؟ ٢١٤
«من أبلي بلاءً فذكره فقد شكره» .. ٥٠٥
«من أتى إليكم معروفاً» ٥٧٢
«من أتى امرأته حائضاً» ٣٤٨
«من أتى امرأة في دبرها» ٣٤٨
«من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه» .. ٣٤٩
«من أتى عرافاً فسأله عن شيء» ٣٤٧، ٣٥٠
«من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه» .. ٣٥٠
«من أتى كاهناً فسأله عن شيء» ... ٣٥٠
«من أتى كاهناً فصدقه بما يقول» ٣٤٨، ٣٥١
«من أحب في الله، وأبغض في الله» ٤١٣
«من أحب لله، وأبغض لله» .. ٤١٤، ٤٩٤
«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» ٤١
«من أرضى الله بسخط الناس» ٤٢١، ٤٢٥
«من أرضى الناس بسخط الله» ٤٢٥
«من استطاع منكم أن ينفع أخاه» .. ٨٢
«من استعاذ بالله فأعيذوه» ٥٧٠
«من استعاذكم بالله فأعيذوه» ٥٧١
من أسعد الناس بشفاعتك؟ . ٢٣٩، ٢٤٣
من اقتبس شعبة من علم النجوم (ابن عباس) .... ٣٤١، ٣٨١
من اقتبس علماً من النجوم (ابن عباس) ٣٨٧
«من أكبرهم؟» ٥٣٣
«من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل» ٨٣
«من التمس رضا الله بسخط الناس» ٤٢٥
«من التمس رضا الناس بسخط الله» ٤٢٥
«من انتقص منهن شيئاً فأدركه الله» . ٤٤
«من أوفى على يده في الكيل والميزان» ٣٩
«من أولي معروفاً فلم يجد له جزاء» ٥٠٥
«من تعلق تميمة فقد أشرك» . ١٢٦، ١٣١
«من تعلق تميمة فلا أتم الله له» ١٢٦، ١٣٠
«من تعلق شيئاً وُكِلَ إليه» ١٢٢، ١٣٤، ١٣٥، ٣٤٢
«من تعلق ودعة فلا ودع الله له» ١٢٢، ١٢٦
«من تعلم شيئاً من السحر» ٣٢٦
«من حلف بالأمانة فليس منا» ٥١١
«من حلف باللات والعزى فليقل» .. ١٦٦
«من حلف بالله فليصدق» ٥١٧
«من حلف بغير الله فقد كفر» ٥١٠
«من حلف فقال في حلفه: واللات» ٥١٤
«من حُلف له بالله فليرض» ٥١٧
«من دعاكم فأجيبوه» ٥٧٠
«من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» ٣٧٦
«من زارني بعد وفاتي» ٣٠٥
«من سأل الله لي الوسيلة» ٢٤٣
«من سأل بالله فأعطوه» .... ٥٧٠، ٥٧١
«من سحر فقد أشرك» ..... ٣٢٥، ٣٤٢

«من سره أن يكون أقوى الناس إيماناً» ٤٢٧
«من سمع به بأرض فلا يقدم عليه» . ٣٦٤
«من شهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً» ٦٣
«من شهد أن لا إله إلا الله وحده» . ٥١
«من صام يرائي فقد أشرك» ٤٥٥
«من صلى عليَّ عند قبري سمعته» .. ٢٩٨
«من صلى عليَّ غائباً بلغته» ٢٩٨
«من صلى يرائي فقد أشرك» ٤٥٥
«من صنع إليكم معروفاً فقال لفاعله» ٥٧٢
«من صنع إليكم معروفاً فكافئوه» .. ٥٧٠
«من صَوَّر صورةً في الدنيا» ٦٠٩
«من ظلم شبراً من الأرض» ١٥٦
«من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر» ٣٤٢
«من علق تميمة فقد أشرك» ١٢٦
«من عمل رياء لا يكتب لا له ولا عليه» ٤٥٨
«من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري» ٤٥٤
«من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» .... ٢٣٩، ٢٤٣
«من قال: لا إله إلا الله، وكفر» .. ١١٥
«من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة» ٣٧، ٣٣٠
«من قطع تميمة من إنسان» ١٣٩
«من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله» ٢١
«من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله» ٥١٤، ٥١٧
«من كن فيه وجد حلاوة الإيمان» .. ٤١٠
«من لقي الله لا يشرك به شيئاً» ٩٣
«من لقيني بقراب الأرض خطيئة» .. ٧٢
«من لكعب بن الأشرف؟» ٤٩٧
«من لم يدع الله يغضب عليه» ١٧٨
«من لم يرض بقضاء الله» ٤٥١
«من لم يرض فليس من الله» ٥١٧
«من لم يؤمن بالقدر خيره وشره» .. ٦٠٦
«من مات على غير هذا فليس مني» . ٦٠٢
«من مات وهو يدعو لله نداً» ٩٢
«من نذر أن يطيع الله فليُطعه» ١٦٩
«من نذر أن يعصي الله فلا يعصه» ١٦٩، ١٧٠
«من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله» ١٧٣
«من وفى بهن فأجره على الله» ٤٤
«من لا يشكر الناس لا يشكر الله» . ٤٢٣
«من يعصهما فقد غوى» ٤١١
«المرء مع من أحب» ٤٠٢
«المفارق للجماعة» ٣٧
«المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله» ٥٧٦

(ن)

«ناس من الجن كانوا يُعبدون فأسلموا» ١١١
نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماواته (ابن المبارك) ٦٤٤
«نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما» ٣٤
«نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى» .. ٤٦٧
«نعم، يا عباد الله تداووا» ٨٥
نهى ابن عباس عن أبي جاد ٣٥٥
نهى ﷺ أن يُجصَّصَ القبر ٢٧٧، ٢٧٩، ٦١٢
نهى ﷺ أن يُسَافَر بالقرآن إلى أرض العدو ٣٩٩
نهى ﷺ أن يستنجى بعظم أو روث ١٣٩
نهى ﷺ عن الصلاة في المقبرة ... ٢٦٩
نهى ﷺ عن النظر في النجوم ٣٨٢

نهى ﷺ عن تجصيص القبر ٦١١
نهى ﷺ عن ذبائح الجن ١٥٥
«النائحة إذا لم تتب» ٣٨٨
النشرة: حل السحر عن المسحور . ٣٥٨
«النشرة: هي من عمل الشيطان» .. ٣٥٦
«النفس بالنفس» ٣٧
«النياحة على الميت» ٤٤٣

(هـ)

«هذا سبيل الله مستقيماً» ٤٠
هذا مالي وَرِثْتُه عن آبائي (مجاهد) . ٥٠٥
«هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح» ٢٥٥
«هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده» ٤٤٥
«هل أخبرت بها أحداً» ٥٢٣
هل بقي من بر أبوي شيء؟ ٣٤
«هل بها من هذه الأوثان شيء؟» .. ١٦٢
«هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» ٦٤٠
«هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض» ٦٤٥
«هل تدرون ماذا قال ربكم؟» ٣٩٢
هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ (عمر) ٣١٩
«هل رأى أحد منكم رؤيا؟» ٥٢٥
«هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد» ١٦١
«هل كان فيها عيد من أعيادهم» ... ١٦١
«هلك المتنطعون» ٢٦٥
«هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون» ٧٧
«هم بالشام» ٣٢٣
«هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله» ٤٤٢
«هو ذاك فعليكموه» ١٦١
«هو مسجدي هذا» ١٦٠
«هي من عمل الشيطان» ٣٥٦

(و)

والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ٥٩٨
«والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك» ٤٠٧
«والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما» . ٣١٤
«والذي نفسي بيده لقد سأل الله» .. ٥٥٤
«والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابنُ مريم» ٣٢١
«والشر ليس إليك» ٦٠١
والله لو منعوني عناقاً (أبو بكر) ١٠٧، ١١٦
وانبياه واخليلاه واصفياه (أبو بكر) . ٤٤٥
«﴿وتجعلون رزقكم﴾ يقول: شكركم» ٣٨٨
«وجبت محبتي للمتحابين فيَّ» ٤١٥
وجدنا خير عيشنا بالصبر (عمر) ... ٤٤١
«ورب الكعبة» ٥١٨
«وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي» ٨١
«ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي» ٦٠٩
«ويحك أتدري ما الله؟» ٦٣٠
«ويحك أتدري ما تقول؟» ٦٣٠
«ويحك إنه لا يُستشفع بالله على أحدٍ من خلقه» ٦٣٠
«ويحك ما هذه؟» ١٢٣
«ويلك قطعت عنق صاحبك» ٦٣٤
«ويؤمنوا بي وبما جئت به» ١١٨

(لا)

«لا أجر له» ٤٥٦
«لا أحد أغير من الله» ٣٧
«لا أحصي ثناء عليك» ١٤، ٥٥٤، ٥٦٠
«لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً» . ٨٢
«لا تبشرهم فيتكلوا» ٤٤
«لا تتخذوا قبري عيداً» ١٦٣، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٢

«لا تتهم الله في شيء قضاه لك» .. ٤٥٠
«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً» ... ٢٩٥، ٦١٥
«لا تجعلوا بيوتكم مقابر» ٢٩٥
«لا تجعلوا قبري عيداً» ٢٩٥، ٢٩٦، ٦١٥
«لا تجلسوا على القبور» ٢٧٤
«لا تحلفوا بآبائكم» .... ٥١٤، ٥١٧
«لا تزال طائفة من أمتي على الحق» ٢٧٧، ٣١٣
«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق» ٣٢٣
«لا تزالُ عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله» ٣٢٢
«لا تسبوا الدَّهر فإن الدهر هو الله» . ٥٢٧، ٥٥٩
«لا تسبوا الدَّهر، فإن الله هو الدهر» ٥٣٠
«لا تسُبُّوا الريح» ٥٨١
«لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام» . ١٣٩
«لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد» ٣٠٤
«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» .... ٥٩، ٢٦١، ٦٣٤
«لا تعمل المطي إلّا إلى ثلاثة مساجد» .... ٣٠٤، ٣٠٥
«لا تقسم» ٥٧٠
«لا تقولوا: السلام على الله» ٥٦٣
«لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان» ٥١٥
«لا تقوم الساعة إلّا على شرار الخلق» .... ٢٧٧، ٣٢٢، ٣٢٣
«لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات» ٣٢٠
«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله» .... ٨٨، ٣٢٣
«لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين» ٣١٣
«لا تلعنوا الريح، فإنها مأمورة» ... ٥٨١
«لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك» ٦٣٢
«لا حِلْفَ في الإسلام» ٦٢٣
«لا راد لما قضيت» ٣١٦
«لا رُقية إلّا من عين أو حُمة» ٧٦، ٧٨، ١٣٢
«لا شيء له» ٤٥٦
«لا طاعة في معصية» ٤٦٩
«لا طيرة» ٣٦٧
«لا عدوى» ٣٦٣
«لا عدوى ولا صفر ولا هامة» ... ٣٦٦
«لا عدوى ولا طيرة والشؤم في ثلاث» ٣٦٧
«لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة» .. ٣٦٢
«لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل» ٣٧٢
«لا عدوى ولا هامة ولا صفر» ... ٣٦٥
«لا غُول» ٣٦٢
«لا غول، ولكن السَّعالي سَحَرةُ الجن» ٣٧١
«لا نبي بعدي» ٣١٣
«لا نذر في غضب وكفارته كفارة يمين» ١٧٠
«لا نذر في معصية الله» ١٦٩
«لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين» ١٦٤
«لا وفاء لنذر في معصية الله» ١٦١
«لا ومقلب القلوب» ٤٣٦
«لا يا بنت الصديق، هو الرجل يصلي» ٤٣٦
«لا يأتي زمان إلّا والذي بعدَه شرٌّ منه» ٦٢١
«لا يقين في رقبة بعير قلادة» ١٢٩
لا يجترئ على السحر إلا الكافر (ابن جريج) ٣٢٧
«لا يجد أحد حلاوة الإيمان» ٤٠٩

«لا يجد العبد صريح الإيمان» ٤١٤
لا يحل السحر إلا ساحر (الحسن) ٣٥٨
«لا يحل دم امرئ مسلم» ٣٧
«لا يدخل الجنة من كان في قلبه» . ٦٣٥
«لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى» ٣٢٠
«لا يُرمى بها لموت أحد ولا لحياته» ٢٢٣
«لا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي» . ٤٤٦
«لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة» . ٤٤٦
«لا يسأل بوجه الله إلَّا الجنة» ٥٧٣
«لا يطلق السحر إلا ساحر» ٣٥٨
«لا يعدي شيء» ـ قالها ثلاثاً ـ ... ٣٦٥
«لا يقل أحدكم: أطعم ربك» ٥٦٧
«لا يقل أحدكم: عبدي وأمتي» ... ٥٦٧
«لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت» .... ٥٦٥، ٥٦٦
«لا يقولن أحدكم: عبدي فإن كلكم عبيد الله» ٥٦٩
«لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي» .. ٥٦٩
«لا يمس القرآن إلا طاهر» ٣٩٩
«لا يموتنَّ أحدُكم إلَّا وهو يحسن الظنَّ بالله» ٥٨٣
«لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها» . ٣٠٤
«لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً» . ٣٤٩
«لا يُوردُ مُمْرِضٌ على مُصح» . ٣٦٣، ٣٦٤
«لا يُؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده» ٤٠٧
«لا يُؤمن أحدكم حتى يكون هواه» . ٤٩١
«لا يُؤمن عبد حتى يؤمن بأربع» ... ٥٩٨
«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشرِّه» ٦٠٣

(ي)

يا أبا القاسم أبلغك أن الله يحمل الخلائق على إصبع ٦٣٨
«يا أبا بكر ألست تنصب، ألست تحزن» ٥٠
«يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً» ١٦٣
يا أبتاه أجاب رباً دعاه (فاطمة) ... ٤٤٥
«يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني» ٧١
«يا أكثم رأيت عمرو بن لُحي يجر قصبه في النار» ٢٥٧
«يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر» ٤٥٩
«يا أيها الناس قولوا بقولكم» ٦٣٤
«يا داود أما وعزتي وعظمتي» ١٣٦
يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط . ١٤٥
يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ٦٧
يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ٧٧
يا رسول الله أنتداوى؟ ٨٥
يا رسول الله إن بني سلمة كلهم يقاتل ٤٥٧
يا رسول الله إنّ منا رجالاً يأتون الكهان ٣٤٧
يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف ١٧٠
يا رسول الله إني نذرت إنْ ولد لي ولد ١٦٢
يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله ٣٦، ٣٣٠
يا رسول الله بايعت تسعة ١٢٦
يا رسول الله تطيرت ٣٧٧
يا رسول الله جهدت الأنفس ٦٣٠
يا رسول الله دار سكناها والعدد كثير ٣٦٩
يا رسول الله رجل يريد الجهاد ٤٥٦
يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس . ١٠٦
يا رسول الله فأينا لا يظلم نفسه ... ٤٩
يا رسول الله فما الفأل؟ ٣٧٢
يا رسول الله فما بال الإبل ٣٦٣
يا رسول الله كيف أصنع باليقين؟ .. ٤٢٣

يا رسول الله ما الأسقام؟ ٤٤٨
يا رسول الله نهكت الأنفس ٦٣٠
يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء ٣٤
يا رسول الله وأينا لم يعمل سوءاً .. ٥٠
يا رسول الله وما شرك السرائر ٤٥٩
يا رسول الله وما طوبى ٤٦٧
يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا .. ٦٣٤
«يا رويفع لعل الحياة تطول بك» .. ١٣٦
«يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته» ١٧٨
«يا عم قل: لا إله إلا الله» ٢٤٩
«يا فاطمة بنت محمد» ٢١٦
يا محمد أخبرني عن الإسلام ٦٠٠
«يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد» ٣١٣
يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السمٰوات على إصبع ٦٣٦
«يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟» ٤٤
«يا معاذ ما من عبد يشهد أن لا إله إلّا الله» ٦٣
«يا معشر قريش اشتروا أنفسكم» .. ٢١٣
يا نبي الله إني أقف المواقف أبتغي وجه الله ٤٥٣
«يحدّ لي حداً فأدخلهم الجنة» ٢٤٢
«يُصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق» ٧٠
«يُضرب ضربة فيكون أمة وحده» .. ٣٣٢
«يطوي الله السمٰوات يوم القيامة» .. ٦٣٩
«يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه» ٦٣٨
«يقول الله: أين المتحابون لجلالي» ٤١٥
«يقول الله: من تقرّب مني شبراً» .. ٧٢
«يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته» . ٤٥٩
«يكون الناس مجدبين فينزل الله عليهم رزقاً» ٣٩٤
«يكون في أمتي كذّابون دجّالون» .. ٣٢٠
يمجد الرب نفسه: أنا الجبار أنا المتكبر ٦٣٩
«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا» ١٧٨
يهدم الإسلام زلة العالم (عمر) ... ٣١٩
«يؤذيني ابن آدم يسب الدهر» ٥٢٧
يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء (ابن عباس) ٤٧٠
«اليقين أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك» ٤٢٣
اليقين الإيمان كله (ابن مسعود) ... ٤٢٢
اليمين الغموس ٣٢٩

٢ - فهرس الأعلام المترجم لهم

حرف الألف

إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي: ١٣٩
ابن أبي حاتم = عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: ١٢٨
ابن تيمية = أحمد بن عبد الحليم: ٢٤٠
ابن جرير الطبري = محمد بن جرير: ٢٨٨
ابن حبان = محمد بن حبان التميمي البستي: ٧٠
ابن حزم = علي بن أحمد الظاهري: ٥٤٦
ابن حنبل = أحمد بن محمد: ١٢٥
ابن الديلمي = عبد الله بن فيروز: ٦٠٧
ابن طاوس = عبد الله بن طاوس: ٥٠١
ابن عباس = عبد الله بن عباس: ٧٩
ابن عمر = عبد الله بن عمر بن الخطاب: ٢١١
ابن عمرو = عبد الله بن عمرو بن العاص: ٣٧٦
ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم: ٥٠٦
ابن القيم = محمد بن أبي بكر: ٢٥٨
ابن مسعود = عبد الله بن مسعود: ٤٣
ابن المسيب = سعيد بن المسيب: ٢٤٩
ابن وهب = عبد الله بن وهب: ٦٠٦
أبو إسحاق الجبنياني = إبراهيم بن أحمد: ١٤٨
أبو بشير الأنصاري = قيس بن عبيد: ١٢٩
أبو بكر الصديق: ٢٧٣
أبو الجوزاء = أوس بن عبد الله الربعي: ٢٩٠
أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: ١٦٥
أبو سعيد الخدري: ٦٧
أبو سعيد المكي: ٢٠٤
أبو شريح، هانئ بن يزيد الكندي: ٥٣٤
أبو طالب: ٢٥٢
أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: ٢٤٠
أبو مالك الأشعري، الحارث بن الحارث الشامي: ٣٨٨
أبو مالك سعد بن طارق الأشجعي: ١١٥

أبو موسى الأشعري: ٣٨٦
أبو هريرة: ٢١٤
أبو هياج، حيان بن حصين الأسدي: ٦١٠
أبو واقد الليثي: ١٤٦
أبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي: ٣٥٠
أُبيّ بن كعب: ٥٨١
أحمد بن محمد بن حنبل: ١٢٥
إسحاق بن إبراهيم: ٣٨٦
إسرائيل بن حاتم: ١٥٣
إسماعيل بن مسلم العبدي البصري: ٣٣٢
إسماعيل بن مسلم المكي: ٣٣٢
الأعمش، سليمان بن مهران: ٥٦٢
أكثم بن الجون: ٢٥٧ح
أم سلمة أم المؤمنين: ٢٦٧
أنس بن مالك: ٧١

حرف الباء

بجالة بن عبدة التميمي: ٣٣٣
البخاري، محمد بن إسماعيل: ٤٨
البرقاني، أبو بكر أحمد بن محمد الخوارزمي: ٣١٦
بُريدة بن الحُصيب: ٧٨
البزار = أحمد بن عمرو: ٣٥١
البغوي، الحسين بن مسعود: ٣٥١

حرف التاء

الترمذي، محمد بن عيسى: ٧١

حرف الثاء

ثابت بن الضحاك: ١٦٢
ثوبان: ٣١٤

حرف الجيم

جابر بن عبد الله الأنصاري: ٩٣، ٣٢٧
جندب الخير الأزدي = جندب بن كعب: ٣٣٢، ٣٣٤
جندب بن عبد الله البجلي: ٢٧٢، ٣٣٢

حرف الحاء

الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري: ٧١
حبان بن العلاء، أبو العلاء البصري: ٣٤٠
حذيفة بن اليمان: ١٢٨
حرب بن إسماعيل الكرماني: ٣٨٥
حزم بن أبي حزم: ٤٥١
الحسن البصري: ١٢٤، ٣٥٨
حصين بن عبد الرحمن السلمي: ٧٧
حفصة أم المؤمنين: ٣٣٤
حيان بن العلاء، أبو العلاء البصري: ٣٤٠

حرف الخاء

خالد العبد: ٣٣٢
خولة بنت حكيم: ١٧٣

حرف الراء

رويفع بن ثابت: ١٣٨

حرف الزاي

زيد بن أسلم العدوي: ٥٣٨
زيد بن خالد الجُهني: ٣٩٣

حرف السين

سعيد بن جبير: ٧٧

سعيد بن عبيد الهنائي: ٧٢
سعيد بن المسيب: ٢٤٩
سفيان الثوري: ٢٨٩، ٤٧١
سفيان بن عيينة: ٢٢٢، ٢٨٩
سلمان الفارسي: ٦١٨
سلمة بن وردان: ٣٠٣
سليمان بن أحمد الطبراني: ١٩٨
سهل بن سعد الأنصاري: ١٠٣

حرف الشين

شبيب بن بشر: ٤٣٨
الشعبي، عامر بن شراحيل: ٧٨

حرف الضاد

ضياء الدين المقدسي: ٣٠٦

حرف الطاء

طارق بن أشيم: ١١٥
طارق بن شهاب البجلي: ١٥٧
طاهر بن عيسى: ٢٠٤
طاوس بن كيسان: ٥٠١
الطبراني، سليمان بن أحمد: ١٩٩
الطفيل بن سخبرة: ٥٢٤

حرف العين

عائشة أم المؤمنين: ١٦٩
عامر بن شراحيل الشعبي: ٧٨
عبادة بن الصامت: ٥١
عبد الرزاق الصنعاني: ٥٠١
عبد الله بن أذينة: ١٥٥
عبد الله بن عباس: ٧٩
عبد الله بن عكيم: ١٣٥
عبد الله بن عمر: ٢١١
عبد الله بن عمرو: ٣٧٦
عبد الله بن مسعود: ٤٣
عبد الله بن نافع: ٢٩٩
عبد الله بن وهب: ٦٠٦
عِتبان بن مالك: ٦٣
عدي بن حاتم: ٤٧٦
عروة بن عامر القرشي: ٣٧٣
عطية العوفي: ٤٢٢
عقبة بن عامر الجهني: ١٢٦
عكاشة بن محصن: ٨٥
علقمة بن قيس النخعي: ٤٤٢
علي بن أبي طالب: ١٥٣
علي بن الحسين بن علي: ٣٠١
عمر بن الخطاب: ٢٦١
عمر بن محمد بن زيد: ٢٨٤
عمر بن هارون: ١٥٥، ٣٠٣
عمران بن حصين: ١٢٤
عمرو بن ربيعة: ٢٥٧
عمرو بن لحي: ٢٥٧
عوف بن أبي جميلة الأعرابي: ٢٦٥، ٣٤٠
عون بن عبد الله: ٥٠٦

حرف الغين

غطيف بن أعين: ٤٧٦

حرف الفاء

الفضل بن العباس: ٣٧٧

حرف القاف

قبيصة بن المُخارق: ٣٤٠
قتادة بن دعامة السدوسي: ٣٥٧

قتيلة بنت صيفي الجهنية: ٥١٩

حرف الكاف

كعب بن الأشرف: ٤٩٦

حرف الميم

مالك بن أنس: ٢٨٥
مجاهد بن جبر: ٢٨٩
محمد بن جعفر غندر: ٣٣٩
محمد بن عبد الوهاب: ٨
محمد بن كعب القرظي: ٥٣٨
محمد بن مروان السدي: ٢٩٨، ٤٢٢
محمود بن لبيد: ٩٠
مسلم بن الحجاج النيسابوري: ٤٨
معاذ بن جبل: ٤٤، ٩٦
معروف بن حسان السمرقندي: ٢٠٣
معمر بن راشد الأزدي: ٥٠١
منصور بن المعتمر: ٢٨٩
موسى بن بلال: ٤٢٢

حرف النون

النسائي، أحمد بن شعيب: ٣٤١
النواس بن سمعان: ٢٢٥

حرف الواو

وكيع بن الجراح: ١٣٩

٣- فهرس الشعر

الصدر	العجز	الراوي	الصفحة
	حرف الهمزة		
هـذه عـلـتـي وأنـت طـبـيـبـي	ليس يخفى عليك في القلب داءُ	البوصيري	٥٢٢
	حرف الباء		
كقوم عراة في ذرى مصر ما يُرى	على عورة منهم هناك ثياب	...	٢٣٨
إذا صح منك الود يا غاية المنى	فكل الذي فوق التراب تراب	...	٤٢٦
فإن جاءهم فيه الدليل موافقاً	لـمـا كـان لـلإبـا إلـيـه ذهـاب	...	٤٧٠
أنـــا الـــنـــبـــي لا كـــذب	أنـا ابـن عـبـد الـمـطـلـب	النبي ﷺ	٥٤٧
	حرف الدال		
ماذا تعامل يا شمس النبوة من	أضحى إليك من الأشواق في كبد	البرعي	١٨٤
يا دهر ويحك ما أبقيت لي أحداً	وأنت والد سوء تأكل الولدا	ابن المعتز	٥٢٨
وقاتل يهوداً والنصارى وعصبة الـ	مجوس فإن هم سلموا الجزءة اصدد	الصرصري	٦٢٦
	حرف الراء		
يا سيدي يا صفي الدين يا سندي	يا عمدتي بل ويا ذخري ومفتخري	...	١٨٥
	حرف العين		
قبحاً لوجهك يا زمان كأنه	وجه لـه من كـل قـبـح بـرقـع	أبو الطيب	٥٢٨
إذا كان لا يحظى برزقك عاقل	وترزق مجنوناً وترزق أحمقا	...	٥٩٣
لـبـيـك لا شـريـك لـك	إلا شـريـكـاً هـو لـك	...	٢٥
	حرف اللام		
قد تخللت مسلك الروح مني	وبذا سمي الخليل خليلا	...	٢٧٢
فلا تظنن بربك ظن سوء	فإن الله أولى بالجميل	...	٥٩٤

الصدر	العجز	الراوي	الصفحة
حرف الميم			
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر	ليوم الحساب أو يعجل فينقِمُ	زهير	١٨
فلا تكتمن الله ما في نفوسكم	ليخفى ومهما يُكتم الله يعلمِ	زهير	١٩
فأكثر ما استطعت من الخطايا	إذا كان القدومُ علَى كريمِ	...	٤٨
يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به	سواك عند حلول الحادث العمم	البوصيري	١٨٢
يا رسول الله يا ذا الفضل يا	بهجة في الحشر جاهاً ومقاما	البرعي	١٨٤
فإن من جودك الدنيا وضرتها	ومن علومك علم اللوح والقلم	البوصيري	٢١٦، ٢٤٧، ٢٦٣، ٥٢٢
حرف النون			
فلِواحدٍ كن واحداً في واحدٍ	أعني سبيل الحق والإيمان	ابن القيم	٧٤
يا سيدي يا رسول الله يا أملي	يا موئلي يا ملاذي يوم يلقاني	البرعي	١٨٤
فأجاب رب العالمين دعاءه	وأحاطه بثلاثة من الجدران	ابن القيم	٢٨٥
ياعمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي	أضربك حتى تقول الهامة اسقوني	...	٣٧٠
أتحب أعداء الحبيب وتدعي	حباً له ما ذاك في إمكان	ابن القيم	٤١٤
إن تبتلى بلئام الناس يرفعهم	عليك دهر لأهل الفضل قد خانا	الطرفي	٥٢٨
شهدت بأن وعد الله حق	وأن النار مثوى الكافرينا	ابن رواحة	٦٤٤
حرف الهاء			
يا عبل أين من المنية مهربُ	إن كان ربي في السماء قضاها	عنترة	١٨
وهل أفسد الدين إلا المملو	ك وأحبار سوء ورهبانها	ابن المبارك	٣١٩
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره	فكم خامل أخنى عليه ونابه	الحريري	٥٢٨

٤ - فهرس بعض المسائل الأصولية والفقهية

الموضوع	الصفحة
١ - المسائل الأصولية	
الأمر يفيد الوجوب	٤٧٦
قبول خبر الواحد العدل ووجوب العمل به	١٠١
معنى الصحابي	١٥٨
الإجماع حجة	٣٢٢
تقديم الخاص على العام	٢٩٢
العام إذا ورد على سبب	١٦٣
العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب	٤٨٧
التأويل عند المتأخرين	٥٠٤
التقييد والتخصيص نوع من النسخ	٤٦٢
مفهوم العدد ليس بحجة	٣٣٠
تعقيب للوصف بالحكم بالفاء	١٦٣
الحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة	٢٩١
اعتبار المقاصد	١٢٤
سد الذريعة	١٥٠، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٩١، ٦١٠، ٦١٦
الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء	١٤٩
شرع من قبلنا	١٥٠
المصيب في مسائل الاجتهاد واحد	٦٢٧
نهي الأئمة عن تقليدهم مع ظهور السنة	٤٧٤
الذي يجوز التقليد في حقه	٤٧٨
إذا استبان الدليل وجب الأخذ به وترك الاجتهاد	٤٧٠، ٤٧٢
الاجتهاد لا ينقطع	٤٧٢
استفصال المفتي	١٢٤، ١٦٣
الحلف على الفتيا	١٠٩
٢ - الطهارة	
الاستنجاء بالروث والعظام	١٣٩
الاستنجاء بالماء	١٦١
حكم مس المُحدِث المصحف	٣٩٩
قتال تاركي الوضوء	١١٧
٣ - الصلاة	
معنى العبادة	٢٩
ما تتم به العبادة	١١١
أجل العبادات البدنية	١٥٢
الإخلاص في الصلاة	٤٥٥
شأن الصلاة شأن ظاهر	١٠٢
متى فرضت الصلاة	١٠١

قتال تاركي الصلاة ١١٨
الصلاة لله ولغيره ١٧٢
كثرة الصلاة ٦٦
نقصان أجر الصلاة ٣٤٨
كراهة الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ٢٦٩
الصلاة في الأرض المغصوبة ٣٤٨
الوتر ليس بفرض ٩٩
معنى المسجد ٢٧٦
حكم بناء المساجد على القبور ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣١٠، ٣١٨، ٦١١، ٦١٢
المسجد المؤسس على معصية الله ١٦٠
حكم الصلاة عند القبور وإليها ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٩٥، ٦١١، ٦١٢
الدعاء على المشركين بأعيانهم في الصلاة ٢١١
عقد اللحية في الصلاة ١٣٨
معنى قول الإمام سمع الله لمن حمده ٢١٢
للإمام أن يجمع بين التسميع والتحميد ٢١٢
صلاة النافلة في البيوت ٦١٥

٤ ـ الجنائز

الزيارة الشرعية للقبور ٦١٤
زيارة النساء للقبور ٢٩١
النهي عن شد الرحال إلى القبور ٣٠٣
كيف تبنى القبور ٢٧٩، ٦١١
المفاسد الحاصلة بالبناء على القبور ٢٨٠، ٦١٢، ٦١٣

٥ ـ الزكاة

أجل العبادات المالية ١٥٢
وجوب الزكاة ٩٩
الزكاة واجبة في مال الصبي والمجنون ١٠٠
ما يخرج من الزكاة ١٠٠
من يتولى قبض الزكاة ٩٩
بعث العمال لجباية الزكاة ١٠١
وعظ العمال والأمراء ١٠٠، ١٠١
قتال مانعي الزكاة ١٠٧، ١١٦، ١١٨
مصارف الزكاة ٩٩، ١٠٠

٦ ـ الصيام

الإخلاص في الصيام ٤٥٥
الصوم أمر باطن ١٠٢
كثرة الصيام ٦٦
قتال تاركي الصيام ١١٨

٧ ـ الحج

الحج وجوبه خاص ليس بعام ١٠٢
الإخلاص في الحج ٤٥٥
كيفية الدعاء عند زيارة قبر الرسول ﷺ ٦١٥
قتال تاركي الحج ١١٨
حج المشاهد ٦١٢، ٦١٥، ٦١٦

٨ ـ الجهاد

الدعوة قبل القتال ١٠٧، ٦٢٧
الأدب عند القتال وترك الطيش، والأصوات المزعجة ١٠٦
من تؤخذ منه الجزية ٦٢٦، ٦٢٧
مقدار الجزية ٦٢٦

تحريم قتل المعاهد ٣٣٠
أهل الفيء ٦٢٦
تأمير الأمراء ووصيتهم ٦٢٤
أمر العمال بالرفق من غير ضعف ٢٠١
عقد اللحية في الحرب ١٣٨

٩ ـ المعاملات

التحاكم إلى من يصلح للقضاء وإن لم يكن قاضياً ٥٣٥
الحلف في البيع ٦١٧
تغيير حدود الأرض ١٥٦
جواز لعن آكل الربا وموكله ١٥٧
حكم الوكالة ٤٢٩
الوقف على القبور ٦١١، ٦١٢

١٠ ـ الجنايات والحدود

ضعف الداعي يوجب تغليظ العقوبة ٦١٣
النهي عن التداوي بحرام ١٢٥
حكم الرقى ٨٢
حكم التداوي بالكي بالنار ٨٣، ٨٥
الضرب في الخمر ١٠٥
قتال البغاة ١١٨
تعلم السحر ٣٢٦
حكم قتل الساحر ٣٣٢، ٣٣٤
قتال مرتكبي الربا والزنى ١١٧، ١١٨

١١ ـ الذبائح

ما ذبح عند استقبال الأمراء ونحوهم ١٥٥
الذبيحة إذا ذكر عليها اسم المسيح أو غيره ١٥٤
ذبيحة المرتد ١٥٤، ١٥٥

١٢ ـ الأيمان

النهي عن الحلف بغير الله ٢٦٣
لا تجب الكفارة بالحلف بغير الله ٥١١
الحلف من غير استحلاف ١٠٩، ٢٥٢

١٣ ـ النذور

الوفاء بالنذر ١٦٣، ١٦٩
نذر المعصية وما يجب به ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٠
النذر المكروه ١٧٠
نذر المجازاة ١٦٧
النذر بما لا يملك ١٦٤

٥ - فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

* مقدمة الطبعة الأولى من التحقيق الجديد .... ٥ مـ
* مقدمة الناشر للطبعة الثانية .... ١٣ مـ
* مقدمة الناشر للطبعة الأولى .... ١٧ مـ
- ترجمة المؤلف .... ٢١ مـ
- صور المخطوطات .... ٢٣ مـ

تيسير العزيز الحميد

* مقدمة الشارح ٣
تفسير البسملة ١٠
تفسير لفظ الجلالة ١٢
تفسير كلمتي الرحمن الرحيم ١٤
م١ ـ كتاب التوحيد ١٧
توحيد الربوبية والملك ١٧
توحيد الأسماء والصفات ١٩
توحيد الإلٰهية ١٩
بعض أنواع توحيد الإلٰهية ٢٣
أقسام الشرك وأنواعه ٢٦
تعريف العبادة وحقيقتها ٢٩
الأمر بعبادة الله واجتناب عبادة الطاغوت ٣١
الأمر بعبادة الله والإحسان إلى الوالدين ٣٣
المأمورات والمنهيّات في الوصايا الواردة في سورة الأنعام ٣٥
الأمر بعبادة الله وحده وعدم الإشراك به ٤٢
حق الله على العباد وحق العباد على الله ٤٤

م٢ - باب فضل التوحيد وما يكفّر من الذنوب ٤٨
ذكر نصوص العلماء في معنى الإله ٥٣
تفسير قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ ٦١
فضل مَن قال: لا إله إلا الله ٦٢
معنى حديث أبي ذر: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة...» ٦٣
فضل لا إله إلا الله ورجحانها في الميزان ٦٧
بيان سعة مغفرة الله تعالى ٧١
م٣ - باب مَن حقّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ٧٤
صفات المتوكلين الذين يدخلون الجنة بغير حساب ٧٦
م٤ - باب الخوف من الشرك ٨٧
بيان أن الرياء من الشرك الأصغر ٩٠
مَن مات وهو يدعو لله نداً دخل النار ٩٢
م٥ - باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ٩٤
وصيّة رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل لمّا بعثه إلى اليمن ٩٥
إعطاء الرسول الراية لعلي بن أبي طالب يوم خيبر ١٠٢
م٦ - باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ١٠٩
شرح حديث مَن قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبَد من دون الله حَرُم ماله ودمه وحسابه على الله ١١٥
١ - باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه .. ١٢٠
٢ - باب ما جاء في الرّقى والتمائم ١٢٩
٣ - باب مَن تبرّك بشجرة أو حجر ونحوهما ١٤٠
ذكر صفة الأوثان التي كانت تُعبَد من دون الله ١٤٠
٤ - باب ما جاء في الذبح لغير الله ١٥١
حديث عليّ في لعن مَن ذبح لغير الله ١٥٣
٥ - باب لا يُذبَح لله بمكان لا يُذبَح فيه لغير الله ١٥٩
٦ - باب من الشرك النّذر لغير الله ١٦٥
٧ - باب من الشرك الاستعاذة بغير الله ١٧٠
٨ - باب من الشرك أن يستغيث المرء بغير الله أو يدعو غيرَه ١٧٥
ذكر بعض ما نظمه الشعراء من الغلو المنهي عنه في المديح ١٨١

دعاء العبادة ١٨٦
كلام العلماء في الغلو والمُغالين ١٨٧
النفع والضرّ من الله وحده ١٩٤
لا يُجيب المضطر إلا الله ١٩٨
تحريم الاستغاثة بغير الله ١٩٨
٩ ـ باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ ٢٠٦
إنذاره عليه الصلاة والسلام لأقاربه وعشيرته ٢١٣
١٠ ـ باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ ٢١٨
صفة وحي الله تعالى وسماع الملائكة له ٢٢٠
١١ ـ باب الشفاعة ٢٢٧
بيان أنه لا شفاعة إلا بإذن الله ٢٣٢
أنواع الشفاعة التي تكون للرسول ﷺ يوم القيامة ٢٤٤
١٢ ـ باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ٢٤٧
سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ٢٤٩
ما ورد من النهي عن الاستغفار للمشركين ٢٥٣
١٣ ـ باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ٢٥٤
سبب عبادة الأصنام ٢٥٥
فوائد نبّه المصنف على بعضها ٢٦٠
النهي عن الإطراء ومجاوزة الحد في المدح ٢٦١
النهي عن التنطع في الدين ٢٦٥
١٤ ـ باب ما جاء في التغليظ في من عبد الله عند قبر رجل صالح ٢٦٦
لعن مَن اتخذ قبور الأنبياء مساجد ٢٦٩
النهي عن اتخاذ القبور مساجد ٢٧٢
شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد ٢٧٧
١٥ ـ باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تُعبد من دون الله ٢٨٤
١٦ ـ باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك ٢٩٢

١٧ ـ **باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبدون الأوثان** ٣٠٦
إخبار الرسول ﷺ بأن أمر أمته سيتّسع ٣١٣
خوف الرسول ﷺ على أمته من الأئمة المضلّين ٣١٧
لا تقوم الساعة حتى تعبد فئام من الناس الأوثان ٣٢٠
إخبار الرسول ﷺ بأنه سيكون في هذه الأمة دجّالون كذّابون ٣٢٠
لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق حتى يأتي أمر الله ٣٢٢
١٨ ـ **باب ما جاء في السحر** ٣٢٥
أمر الرسول ﷺ أمته باجتناب السبع الموبقات ٣٢٨
ما ورد في حدّ الساحر ٣٣١
أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقتل الساحر ٣٣٣
١٩ ـ **باب بيان شيء من أنواع السحر** ٣٣٥
الفرق بين الكرامة والاستدراج ٣٣٨
العيافة والطرق والطّيرة من الجبت ٣٣٩
٢٠ ـ **باب ما جاء في الكهان ونحوهم** ٣٤٦
مَن أتى عرّافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً ٣٤٧
مَن أتى كاهناً أو عرّافاً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ٣٤٨
تعريف الكاهن والعرّاف ٣٥١
٢١ ـ **باب ما جاء في النشرة** ٣٥٦
النشرة من عمل الشيطان ٣٥٦
أنواع النشرة ٣٥٨
٢٢ ـ **باب ما جاء في التطير** ٣٦٠
لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ٣٦٢
أقوال العلماء في الشؤم ٣٦٧
الكلام على الهامة وصفر ٣٧٠
كان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل ٣٧٢
تعريف الفأل ٣٧٢
الطّيرة شرك ٣٧٥
٢٣ ـ **باب ما جاء في التنجيم** ٣٧٨
التنجيم على ثلاثة أقسام ٣٧٨
خلق الله النجوم لثلاث ٣٧٩

النجوم علامات يهتدى بها ٣٨٠
ثلاثة لا يدخلون الجنة ٣٨٦
٢٤ ـ باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء ٣٨٧
أربع في أمتي من أمر الجاهلية ٣٨٨
تعريف الاستسقاء بالنجوم ٣٩٠
تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ ٣٩٦
الكلام على القرآن الكريم المقسم عليه ٣٩٨
المراد من قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ ٣٩٩
تفسير قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ ٣٩٩
٢٥ ـ باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ ٤٠١
أقسام المحبة وأنواعها ٤٠٢
توعد من قدم شيئاً على محبة الله ورسوله ٤٠٤
لا يكمل إيمان العبد حتى يحبّ الرسول ﷺ أكثر من جميع البشر ٤٠٧
ثلاث مَن كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان ٤٠٩
لا تنال ولاية الله إلا بالحب في الله والبغض في الله ٤١٤
٢٦ ـ باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥﴾ ٤١٦
الخوف على ثلاثة أقسام ٤١٧
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ٤١٩
إن من ضعف اليقين أن تُرضي الناس بسخط الله ٤٢٢
من التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه ٤٢٥
٢٧ ـ باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ٤٢٧
التوكل قسمان ٤٢٨
تفسير قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ ٤٣٠
تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ ٤٣٢
﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قول إبراهيم ومحمد عليهما السلام ٤٣٣
٢٨ ـ باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ ٤٣٥

لا يقنط من رحمة الله إلا الضالون ٤٣٧
٢٩ - **باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله** ٤٤٠
﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ ٤٤١
اثنتان في الناس هما بهم كفر ٤٤٣
ليس منا مَن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية .. ٤٤٣
إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا ٤٤٦
إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ٤٤٨
كيف يبتلي الله أحبابه ٤٤٩
الفرق بين الرضا والصبر ٤٥٢
٣٠ - **باب ما جاء في الرياء** ٤٥٢
الرياء من الشرك الأصغر ٤٥٣
الرياء من الشرك الخفي ٤٥٨
٣١ - **باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا** ٤٦١
أنواع الأعمال التي يقوم بها الإنسان ٤٦٣
تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم ٤٦٤
٣٢ - **باب مَن أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلّ الله أو تحليل ما حرّم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله** ٤٦٩
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ٤٦٩
التحذير من مخالفة الرسول ﷺ ٤٧٠
قراءة كتب الفقه ينبغي أن تكون للاستعانة على فهم الكتاب والسنة وتصوير المسائل ٤٧٣
٣٣ - **باب قول الله تعالى**: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ ٤٧٩
تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ٤٨٦
تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ ٤٨٩
لا يؤمن العبد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ ٤٩٢
سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ ٤٩٤
٣٤ - **باب مَن جحد شيئاً من الأسماء والصفات** ٤٩٧

قول علي بن أبي طالب ﷺ: حدّثوا الناس بما يعرفون ٤٩٩
تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾ ٥٠٢
٣٥ ـ باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ ٥٠٥
حكم الإيمان بالأنواء ٥٠٧
٣٦ ـ باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٥٠٨
بعض أنواع الشرك الأصغر الخفي ٥٠٩
تأويل قوله ﷺ: «مَن حلف بغير الله فقد أشرك» ٥١٠
أقوال العلماء في قوله ﷺ: «أفلح وأبيه إن صدق» ٥١٢
٣٧ ـ باب ما جاء في من لم يقنع بالحلف بالله ٥١٦
٣٨ ـ باب قول: ما شاء الله وشئت ٥١٨
٣٩ ـ باب مَن سبّ الدهر فقد آذى الله ٥٢٦
النهي عن سبّ الدهر ٥٢٧
٤٠ ـ باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه ٥٣٠
٤١ ـ باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك ٥٣٣
يُكنَّى الرجل بأكبر أولاده ٥٣٥
٤٢ ـ باب مَن هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ٥٣٥
النهي عن الخوض بآيات الله والاستهزاء بها ٥٣٦
٤٣ ـ باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى . . .﴾ ٥٤١
حديث الأبرص والأقرع والأعمى الذين ابتلاهم الله ٥٤٢
بحث في الشكر ٥٤٤
٤٤ ـ باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ ٥٤٤
تحريم كل اسم معبد لغير الله ٥٤٧
٤٥ ـ باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ ٥٥٢
الخلاف في أسماء الله الحسنى هل هي توقيفية أم لا؟ ٥٥٤
إن لله تسعة وتسعين اسماً مَن أحصاها دخل الجنة ٥٥٦
الإلحاد في أسماء الله: تسميته بما لا يليق بجلاله ٥٦٠

٤٦ - باب لا يقال: السلام على الله ٥٦٢
اختلاف العلماء في معنى السلام المطلوب عند التحية ٥٦٣
٤٧ - باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت ٥٦٥
٤٨ - باب لا يقول: عبدي وأمتي ٥٦٦
٤٩ - باب لا يردّ مَن سئل بالله ٥٧٠
الأمر بإعطاء مَن سأل بالله ٥٧١
الأمر بإجابة الداعي ٥٧١
الأمر بمكافأة من صنع معروفاً ٥٧٢
٥٠ - باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة ٥٧٢
٥١ - باب ما جاء في الـ «لو» ٥٧٤
تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ .. ٥٧٥
تفسير قول رسول الله ﷺ: «وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان» ٥٧٦
٥٢ - باب النهي عن سبّ الريح ٥٨١
ما يدعو به المسلم إذا هبّت الريح ٥٨٢
٥٣ - باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ ٥٨٢
تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ .. ٥٨٦
بعض أنواع ظن السوء برب العالمين ٥٨٩
مَن ظن بالله خلاف ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فقد ظن به ظن السوء ٥٩١
بعض المعترضين على الله تعالى ٥٩٢
النهي عن ظن السوء برب العالمين ٥٩٤
٥٤ - باب ما جاء في مُنكِري القدر ٥٩٥
معنى القدر ٥٩٦
من أركان الإيمان: الإيمان بالقدر خيره وشره ٥٩٨
إثبات الشر في القضاء والقدر إنما هو بالإضافة إلى العبد ٦٠١
ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ٦٠٢
لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ٦٠٣

الكلام على القلم والعرش وأيّهما خلق أول ٦٠٣
مَن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار ٦٠٦

أول التكملة من «فتح المجيد» ٦٠٩

٥٥ ـ باب ما جاء في المصوّرين ٦٠٩
أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوّرون ٦٠٩
الأمر بطمس الصور وتسوية القبور ٦١٠
النهي عن تجصيص القبور ٦١١
لعن مَن اتخذ القبور مساجد ٦١٢
بعض ما يفعله الناس عند القبور من البدع ٦١٢
مشروعية زيارة القبور والدعاء للأموات ٦١٤
بعض المفاسد التي تحصل عند القبور ٦١٥
٥٦ ـ باب ما جاء في كثرة الحلف ٦١٧
الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة ٦١٧
ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم ٦١٨
خير القرون قرن محمد ﷺ ٦٢٠
٥٧ ـ باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ٦٢٢
النهي عن الغدر والتمثيل بالمشركين ٦٢٥
ما يدعى إليه المشركون قبل قتالهم ٦٢٥
٥٨ ـ باب ما جاء في الإقسام على الله ٦٢٨
٥٩ ـ باب لا يستشفع بالله على خلقه ٦٣٠
إثبات علو الله على خلقه وأن عرشه فوق سمٰواته ٦٣١
المراد في الاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته ٦٣٢
٦٠ ـ باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسدّه طرق الشرك . ٦٣٣
النهي عن الإطراء وهو مجاوزة الحدّ في المدح ٦٣٤
اختلاف العلماء في جواز إطلاق السيد على البشر ٦٣٦
[الخاتمة] ـ ... **باب ما جاء في قوله تعالى**: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ٦٣٦
ما ورد من الأدلة في الكتاب والسُّنّة على أن الله فوق العرش ٦٤١

مصنفات العلماء في الرد على نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة وغيرهم ٦٤٣
أول مَن أنكر أن الله فوق عرشه هو الجعد بن درهم ٦٤٥
الكلام على حديث الأوعال وبيان أنه ضعيف ٦٤٥
* **الفهارس** ٦٤٧
١ - فهرس الأحاديث والآثار ٦٤٩
٢ - فهرس الأعلام المترجم لهم ٦٧٠
٣ - فهرس الشعر ٦٧٤
٤ - فهرس ببعض المسائل الأصولية والفقهية ٦٧٦
٥ - فهرس الموضوعات ٦٧٩